

رِيَاضُ الْجَنَّةِ  
فِي

الرَّدُّ عَلَى الْمَدْرَسَةِ الْعُقْلِيَّةِ وَمُنْكِرِيِّ السَّنَةِ

تألِيف

دَكْتُورُ سَيِّدٌ بْنُ حَسَيْنِ الْعَفَانِيِّ

الناشر  
دار العفاني

الصَّرِين  
لِلْكُمْبِيُوتُرِّ  
٦٤٣٢٨٣٧

رِيَاضُ الْجَنَّةِ  
فِي

الرَّدُّ عَلَى الْمَدْرَسَةِ الْعُقْلِيَّةِ وَمُنْكِرِيِّ السَّنَةِ

تألِيف

دَكْتُورُ سَيِّدٌ بْنُ حَسَيْنِ الْعَفَانِيِّ

الناشر  
دار العفاني

الصَّرِين  
لِلْكُمْبِيُوتُرِّ  
٦٤٣٢٨٣٧

**حقوق الطبع محفوظة للمؤلف  
الطبعة الأولى**

١٤٢٦ م ٢٠٠٦

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٥ - ١٨٥٠٤

**دار العفاني**

٣ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - القاهرة

٠١٢٧٥٢٠١٢٠٨٢٥٢٧ - ت

فرعبني سويف - برج الري - حي الرمد - بجوار مجمع المحاكم - بني سويف

٠٨٢٧٢٣١٢٤٤ - ت

الشركة الفنية للطباعة ت: 7771039

**(الصريح  
للكمبيوتر)**

٦٤٣٢٨٣٧ / ت

رِيَاضُ الْجَنَّةِ  
فِي  
الرَّدِّ عَلَى الْمَدْرَسَةِ الْعُقْلِيَّةِ وَمُنْكَرِيِّ السَّنَةِ



**رِيَاضُ الْجَنَّةِ  
فِي الرَّدِّ عَلَى  
الْمَدْرَسَةِ الْعُقَالِيَّةِ  
وَمُنْكَرِيِ السَّنَةِ**



## منكرو السنة كُلّيًّا أو جزئيًّا

### العقلانيون أفراخ المعتزلة - القرآنيون

أقلام وعقول تستجدي سقط متابع التاريخ وزيالة أحداه، قطوف عفنة من حدائق الخوارج الدموية.. أو حنظل المعتزلة وثمارها النكدة.. وفروع جافة من أشجار مدرسة القرآنيين التي لا ظل لها وغوص في مستنقع الضلال، يعلن الحرب على عائشة أم المؤمنين تارة، وعلى أبي هريرة والرسول ﷺ تارة أخرى، ثم بلا لف أو دوران وجهوا سهامهم نحو الإمام البخاري، لا تصفية حسابات مع عائشة أو أبي هريرة أو البخاري إنما الحقيقة التي طالما ترددوا كثيراً في إعلانها هي إنكار سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إجمالاً..

وفي سنوات ضعف فيها ساعد الحق تم توزيع الأدوار، وانتشرت الأفاعي والخفافيش هنا وهناك، تعلن في صوت واحد لا للسنة النبوية المشرفة»<sup>(٢)</sup>.

□ وتاريخ إنكار السنة تاريخ أسود.

فللحديث رجال يُعرفون به وللتتساovid نسّاخ وكتاب يبدأ هذا التاريخ من الخوارج الذين أنكروا كل سنة يظنون أنها تخالف

(١) «بدائع الغوائد» لأبي القيم (٢٧٥/٢). ويراجع كتاب «إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء» لخالد بن ضحوي الظفيري فهو نافع في بابه، وأبي الله العصمة إلا لكتابه.

(٢) «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبدالله ص(٣) - بيت الحكمة.

القرآن كالرجم ونصاب السرقة..

والشيعة الذين جرّحوا العدول بل وكفروا جمهور الصحابة حملة الحديث إلى من بعدهم.

﴿ والمعتزلة الذين قدموا العقل على النقل، وأتوا بمنطق اليونان وحكمه في الأمة وافتربى النظام منهم وأنكر حجية الحديث المتواتر ولم يحتاج به وقال: إن القرآن غير معجز في نظمه، وزعم هذا الزنديق أن أبا هريرة كان أكذب الناس، وينكر حديث انشقاق القمر وهو متواتر ويكتُب ابن مسعود، ويقول هذا الزنديق عن سمرة بن جندب الصحابي الجليل: ما نصنع بسمرة ابن جندب؟ قبح الله سمرة. .

﴿ وقال عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة: لما ذكر حديث النبي ﷺ الذي رواه الأعمش قال: «لو سمعت الأعمش يقول هذا لكتابته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا ميثاقنا». .

ويرى الدكتور محمد عمارة تلميذ الغزالى والممثل لمدرسته من بعده أن «التوحيد بمعناه التقى المبرأ من الشبهات هو الذى دعا المعتزلة لنفي القدم عن القرآن لأنهم ينفون الصفات عن الذات العلية حتى لا يكون هناك إقرار بقدم هذه الصفات فيكون مع القديم قديم آخر»<sup>(١)</sup>.

بل ويكتب فصلاً كاملاً عن بدعتهم «المنزلة بين المنزلتين» في آخر كتابه «الإسلام والمستقبل» ص(٢٥٦) لينصر هذه البدعة.

﴿ وهو يثنى على رجال المعتزلة القدريّة قبلهم ثناءً حاراً وعلى مواقفهم ويعتبرهم من أفذاذ رجال الإسلام وأصحاب الفكر المستثير فيتراثنا.

(١) «نظرة جديدة إلى تراث» للدكتور محمد عمارة ص(٩١).

فيقول عن غيلان الدمشقي المبتدع: «كانت حياة غيلان نموذجاً فريداً يُجسّد الموقف الثوري من سلبيات مجتمعه كذلك كان ماته نموذجاً فريداً يجسّد سلبيات هذا المجتمع ويدين هذه السلبيات»<sup>(١)</sup>.

□ يقول محمد عمارة عن مدرسة الأفغاني «هي بحق مدرسة الجامعة الإسلامية كان روادها الشيخ الغزالى ومن قبله الإمام محمد عبده والكاوكبي والمراغي»<sup>(٢)</sup>.

□ ولقد رد العقلانيون بعض الأحاديث الصحيحة التي سلطوا عليها عقولهم باعتبار أنها أحاديث آحاد منها:

- ١ - حديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وهو حديث متواتر تواتراً معنوياً ردوه وطعنوا فيه<sup>(٣)</sup>.
- ٢ - أحاديث الدجال<sup>(٤)</sup> والجحاسة وقد أخرجه مسلم.

(١) «مسلمون ثوار» لمحمد عمارة ص(١٤٩).

(٢) «هامش (١) ص(١٣٩) من كتاب «محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة» لسلiman ابن صالح الخراشي دار الجواب.

(٣) انظر قول الشيخ محمد عبده في «المنار» (١٠/٢٤٥ - ٢٤٦)، والشيخ المراغي مجلة الرسالة العدد ٥١٩ ص(٤٦٦)، والشيخ رشيد رضا - «المنار» (٨/٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧)، والشيخ شلتوت - مجلة الرسالة العدد ٥١٤ ص(٣٦٥)، ومجلة الرسالة - العدد ٥١٨ ص(٤٤٥)، و«أصوات على السنة النبوية» لعدو السنة أبي رية ص(١٤١)، و«السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» لمحمد الغزالى - طبعة دار الشروق.

(٤) وأحاديث الدجال في صحيح البخاري ومسلم.

قال القاضي عياض فيما نقله عنه النووي: «هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده.. هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظراء خلافاً من أنكروه وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة» «شرح النووي على مسلم» (١٨/٥٨).

انظر الطعن في الدجال والجحاسة في مجلة المنار (١٠/٢٤٦)، (١٩/٩٩) و«أصوات على السنة المحمدية» ص(١٤١ - ١٤٠)، و«موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي» =

## رياض الجنّة في الرد

- ٣ - حديث موسى عليه السلام وملك الموت<sup>(١)</sup>.
- ٤ - حديث عدم مس الشيطان لعيسي بن مرريم وأمه عليهما السلام<sup>(٢)</sup>.
- ٥ - حديث سحر النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

= محمد إسماعيل السلفي ص(٣٩)، و«السنة النبوية» ص(١٢٢ - ١٢٥).

(١) انظر «أصوات على السنة المحمدية» ص(١٩٨)، «السنة النبوية» للغزالى ص(٢٦ - ٢٩) والحديث أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ٢٣ باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة ٩٢/٢ - ٩٣، وكتاب الأنبياء باب وفاة موسى (٤ / ١٣٠ - ١٣١).

وأخرجه مسلم في «صححه» كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى (٤ / ١٨٤٢ - ١٨٤٣) والنمساني في «ستة» - كتاب الجنائز - باب نوع آخر من التعزية (٤ / ٩٦) وأخرجه أحمد في «مستنده» نحوه (٢ / ٣١٥، ٥٣٣)، وابن حبان في «صححه» (٦٢٢٣)، ولقد زعم عدو السنة أبو رية أن رائحة الإسرائيلية تفوح منه - «أصوات على السنة المحمدية» ص(١٩٨)، فوسمه الشيخ المعلمى على خرطومه في كتابه القيم «الأنوار الكاشفة لما في كتاب أصوات على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة» ص(١٩٤) - المطبعة السلفية «ولو جاز الحكم بالرائحة لما ساغ أدنى تشكيك في حكم البخاري؛ لأنَّه أعرف الناس برائحة الحديث النبوي، وبالنسبة إليه يكون أبو رية أخشم فاقد الشمَّ أو فاسدَه». أما الشيخ الغزالى فقد قال: «والحق أنَّ في متنه علة قادحة تنزل به عن مرتبة الصحة. ورفضه أو قبوله خلاف فكري، وليس خلافاً عقائدياً، والعلة في المتن يتصدرها المحققون، وتخفى على أصحاب الفكر السطحي» - انظر «السنة النبوية» ص(٢٩) فهل أصحاب الفكر السطحي هم أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم والنمساني وابن قتيبة وابن خزيمة والمداري والقاضي عياض والنwoy وآئمة الإسلام.. إنها إساءة بالغة توجه علماء الإسلام وأئمتهم وهذا جور وظلم وتجني عليهم.

(٢) والحديث رواه البخاري في كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى: «وإذكُر في الكتاب مريم» (٤ / ١٣٨)، ومن ثم حديث رقم (٢٣٦٦). وانظر الطعن في الحديث في «تفسير المنار» (٣ / ٢٩٢)، ومجلة المنار (١٦٦ / ١٠)، (٥٣٦ / ١٩)، (٥٣٧)، «أصوات على السنة المحمدية» ص(٤، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨)، و«السنة النبوية» ص(٩٧ - ٩٨).

(٣) رواه البخاري - كتاب الطب - باب السحر (٧ / ٣٠)، وكتاب الأدب بباب قول الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» (٧ / ٨٨)، وكتاب بدء الخلق بباب صفة إبليس وجندوه، وكتاب الطب: باب هل يستخرج السحر (٧ / ٢٩ - ٣٠) وكتاب الدعوات بباب =

٦ - حديث شق صدر النبي ﷺ وإخراج حظ الشيطان منه<sup>(١)</sup> .

٧ - حديث إسلام شيطان النبي ﷺ<sup>(٢)</sup> .

٨ - حديث المعراج<sup>(٣)</sup> .

٩ - حديث وقوع الذباب في الإناء<sup>(٤)</sup> .

= تكثير الدعاء. و«مسلم» - كتاب السلام باب السحر حديث رقم (٢١٨٩ - ١٧١٩/٤) - (١٧٢١) وأنكره محمد عبده في «تفسير جزء عم» ص(١٨١ - ١٨٣)، ومجلة المنار (٦٩٧/١٢)، (١٠٤/٢٩)، وأضواء على السنة المحمدية ص(٢٥٩)، وسيد قطب. (١) والحديث أخرجه البخاري (٩١ - ٩٣/١)، (٩٣ - ٩١/١)، (٢/٢)، (٧٧ - ٧٨)، (٤/٤)، (١٠٦ - ١٠٨)، (٤/٤)، (٢٤٨ - ٢٥٠)، (٨/٢٠٣ - ٢٠٥)، و«مسلم» (١٤٧/١)، (١٥١ - ١٤٧). وانظر الطعن في الحديث في «تفسير المنار» (٢٩٢/٣)، مجلة المنار (١٦٦/١٠)، (٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٦)، «أضواء على السنة» ص(١٤٥ - ١٤٨)، و«السنة النبوية» ص(٩٨).

(٢) رواه مسلم (٤/٢٨ - ٤/٢١٦٧ - ٤/٢١٦٨).

انظر الطعن فيه في «تفسير المنار» (٣/٢٩٢)، مجلة المنار (١٦٦/١٠)، وأضواء على السنة» (١٤٧ - ١٤٨)، و«السنة النبوية» ص(٩٨).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وطعن فيه أبو رية في «أضواء على السنة المحمدية» ص(١٢٣ - ١٢٤).

(٤) رواه البخاري (٧/٣٣)، والدارمي نحوه (٢/٩٨ - ٩٩)، ونحوًا منه البهقي في سنته. وابن خزيمة في «صحيحه» (١/٥٥ - ٥٦)، وأحمد في «مسنده» (٢/٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٦، ٤٤٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٢٤٦)، والبغوي في «شرح السنة» والطبراني في «الأوسط»، وابن الجارود في «المتنقى».

انظر مجلة المنار (٩٧ - ٩٩/١٩)، (٥١ - ٤٨/٢٩)، وأضواء على السنة المحمدية ص(١٩٩ - ٢٠١)، و«السنة النبوية» للغزالى.

ولله در لـ ثـ الحـ دـ يـ أـ بـ الـ أـ شـ بـ الـ شـ يـ أـ حـ مـ مـ شـ اـ كـ إـ ذـ يـ قـ وـ لـ فـ تـ حـ قـ يـ تـ حـ قـ (الـ مـ سـ نـ دـ) (١٢٥/١٢) - «الهامش»: «والحق أنه لم يعجبهم هذا الحديث، لما وقر في قلوبهم من أنه ينافي المكتشفات الحديثة من المicrobes ونحوها، وعصمهم إيمانهم من أن يجرؤوا على المقام الأسمى، فاستضعفوا أبا هريرة.

والحق أيضًا أنهم آمنوا بهذه المكتشفات الحديثة أكثر من إيمانهم بالغيب ولكنهم =

١٠ - حديث: إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة<sup>(١)</sup>.

١١ - حديث تهاجرت الجنة والنار<sup>(٢)</sup>.

\* الشيخ محمد حسين الذهبي والمدرسة العقلية الحديثة:

قال - رحمه الله - عنها: «إنها أعطت لعقلها حرية واسعة فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وليس هناك ما يدعو لذلك إلاً مجرد الاستبعاد أو الاستغراب، استبعاد بالنسبة لقدرة البشر القاصرة، واستغراب لا يكون إلا من جهل قدرة الله وصلاحيتها لكل ممكن».

كما أنها بسبب هذه الحرية العقلية الواسعة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها، وحملت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهوداً عند العرب في زمن نزول القرآن، وطعنت في بعض الحديث تارة بالضعف وتارة بالوضع، مع أنها أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم وهم أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى بإجماع أهل العلم، كما أنها لم تأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة الثابتة في كل ما هو من قبيل العقائد أو من قبيل السمعيات مع أن أحاديث الآحاد في هذا الباب كثيرة لا يستهان بها»<sup>(٣)</sup>.

= لا يصرّحون! ثم اخترعوا لأنفسهم خط عجيبة: أن يقدموها على كل شيء، وأن يقولوا القرآن بما يخرجه عن معنى الكلام العربي، إذا ما خالف ما يسمونه «الحقائق العلمية» وأن يردوا من السنة الصحيحة ما يظنون أنه يخالف حقائقهم هذه! افتراء على الله، وحبأ في التجديد».

(١) رواه البخاري (٧/٢١٠)، (٤/٧٨ - ٧٩)، (٤/١٠٣ - ١٠٤)، (٨/١٨٨)، ورواه مسلم (٢٦٤٣)، (٤/٢٠٣٦).

وانظر الطعن فيه في «السنة النبوية» للغزالى ص(١٤٥ - ١٤٦، ١٥٩).

(٢) رواه البخاري (٦/٤٨)، (٨/١٨٦)، ومسلم (٢٨٤٦، ٢٨٤٧). والطعن فيه في «أصوات على السنة المحمدية» لعدو السنة أبي رية ص(١٩٨).

(٣) «التفسير والمفسرون» محمد حسين الذهبي (٣/٢١٥ - ٢١٦).

وقال: «وإذا كان الأستاذ الإمام قد أعطى لعقله الحرية الكاملة في تفسيره للقرآن الكريم فإننا نجده يُغرق في هذه الحرية ويتوسع فيها إلى درجة وصلت به إلى ما يشبه التطرف في أفكاره والغلو في آرائه»<sup>(١)</sup>.

وقال في موضع آخر ما خلاصته «الأستاذ الإمام ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخاري وغيره فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخاري، كما أنه لو صح في نظرهم فهو لا يعدو أن يكون خبر أحد لا يثبت به إلا الظن وهذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السنة»<sup>(٢)</sup>.

وقال عن موقفه من حديث: «كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها»، وقد رواه الشيخان قال الذهبي عن موقف محمد عبده: « فهو لا يثق بصحة الحديث رغم رواية الشيفيين له ثم يتخلص من إرادة الحقيقة على فرض الصحة بجعل الحديث من باب التمثيل، وهو ركون إلى مذهب المعتزلة الذين يرون أن الشيطان لا تسلط له على الإنسان إلا بالوسوء والإغواء فقط»<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضًا: «وهذا المسلك الذي جرى عليه الشيخ رشيد هو مسلك شيخه ومسلك الزمخشري وغيره من المعتزلة الذين اتخذوا التشبيه والتمثيل سبيلاً للفرار من الحقائق التي يصرح بها القرآن ولا تعجز عنها قدرة الله وإن بعدت عن منال البشر»<sup>(٤)</sup>.

وقال: «ثم إن صاحب المنار لا يرى السحر إلا ضرباً من التمويه والخداع وليس له حقيقة كما يقول أهل السنة وهو يوافق بهذا القول قول

(١) المرجع السابق (٢٣٥/٣).

(٢) «التفسير والمفسرون» لمحمد حسين الذهبي (٢٤١/٣).

(٣) المرجع السابق (٢٤١/٣).

(٤) المرجع السابق (٢٤٩/٣).

شيخه وقول المعتزلة من قبله»<sup>(١)</sup>.

ولم يكن الشيخ الذهبي بالوحيد الذي ربط بين اتجاههم واتجاه المعتزلة بل حتى أنور الجندي الذي أشاد بهذه المدرسة وخدع بها قال: «إذا كان جمال الدين الأفغاني هو أول من فتح باب المنطق والفلسفة في الفكر العربي الحديث بحسبانه طريقاً إلى الدفاع عن الإسلام في مواجهة الفلسفات الحديثة على نفس المنهج الذي اتخذه المعتزلة فإن محمد عبده هو الذي عمق هذا الاتجاه حتى أطلق عليهما اسم «معتزلة العصر الحديث»<sup>(٢)</sup>.

أما الدكتور علي محمد جريشة ومحمد شريف الزبيق فقالا عن المدرسة العقلية: «ونحن - على عكس كثير غيرنا - نحسن الظن بأصحاب هذه المدارس ولا نقبل أن نسميهم عملاء، وإن بدا منهم لون من الاتصال أو التعاون مع العدو المستعمِر»، «ولتكنا وإن نفيينا عنهم «العملة» فلا نستطيع أن ننفي عنهم «السذاجة» أنهم ظنوا أنهم يستطيعون أن يضحكوا على الاستعمار ويكرروا به فإذا به أشد مكرًا ظنوا أنهم يستطيعون أن يتمطوه ليسخروه لصالح الإسلام وامتطاهم الاستعمار ليسخراهم لصالح التغريب والتغيير الاجتماعي»<sup>(٣)</sup>.

وقالا: «وبهذه النية التي نحسن الظن بها ألف صاحب مدرسة العقل جمعية التقرير بين الأديان فيها المسلمين والنصارى واليهود.. ولعله لم يدرك أن التقارب بين الإسلام والمسيحية واليهودية لا يمكن أن يكون إلا على حساب الإسلام.. لأنَّه الوحدَ الدينُ الصَّحِيحُ وغَيْرُه مُحَرَّف.. ولعله لم يدرك أنَّ المشركين حاولوا مع رسول الله ﷺ ذلك التقارب حين قالوا نعبد إلهك يوماً وتعبد آلهتنا يوماً فأنزلها رب السماء والأرض قاطعة حاسمة **﴿فُلِّ**

(١) المرجع السابق (٢٤٩/٣ - ٢٥٠).

(٢) «البيضة الإسلامية في مواجهة الاستعمار» لأنور الجندي ص(١٣٢).

(٣) «أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي» لعلي جريشة ومحمد الزبيق.

يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾  
السورة»<sup>(١)</sup>.

وقالا : - «وأما الذي نأخذه على الرجل العالى :

**أولاً:** اقتصره من الإسلام على الإصلاح عن طريق التعليم فالإسلام ليس مجرد ثقافة فقط لكنه منهاج تربية ومنهاج حياة، وليته في هذا الجانب استطاع أن يصلح.

**ثانياً:** أن الرجل وهو في موضع القدوة لل المسلمين مالاً «الكافرين» الذين غصبوا الديار وما بعد الديار! .. ولا ندري هل كان الإمام يحفظ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ...﴾ الآية وهل قرأ غيرها من الآيات في نفس المعنى أم أن له فيه تأويلاً كتاوile في الملائكة أو في سجودهم أو في معصية آدم أو في خلق عيسى عليه السلام أو في الجن أو في السحر أو غير ذلك مما أعمل فيه عقله (الكبير) ليقول «بالرأي في كتاب الله؟!» لقد مضى الرجل إلى ريه فترك له حساب سره وعلاناته لكننا إزاء الظاهر.

وعمره الذي أفنى في محاولة إصلاح التعليم بلوغاً إلى مقاومة الاستعمار أو إلى النهوض بالإسلام لا نملك إلا أن نتلن قول الله ﴿قُلْ هَلْ نُبَشِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ﴿١٠٣﴾ **الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤، ١٠٣]. وترك من قبل ذلك ومن بعد ذلك حسابه على الله لكننا نسوق ما نسوق ليعتبر أولو الأ بصار.. ويذكر أولوا الألباب فلا تكرر الصورة مرة أخرى»<sup>(٢)</sup>.**

(١) المرجع السابق ص(٢٠٣ - ٢٠٤).

(٢) «أساليب الغزو الفكري» ص(٢٠٤ - ٢٠٥).

## رياض الجنة في الرد

أما الأستاذ غازي التوبي فقد من أخطاء محمد عبده دعوته للتقرير بين الأديان فقال: «قد أخطأ محمد عبده في دعوته إلى التأليف والتقرير بين الأديان حتى صار مطية لهيئات ودول حاقدة على الإسلام والمسلمين، وما ذلك إلا لأنه لم يلتزم حد الإسلام بل اتبع هواه فكان أمره فرطاً»<sup>(١)</sup>.

واستعرض الأستاذ غازي جملة الأخطاء والانحرافات بعد أن قسمها إلى قسمين:

### \* نتائج سياسية: وعد منها:

- ١ - التعاون مع رياض باشا عميل الإنجليز.
- ٢ - التعاون مع المحتل الإنجليزي.
- ٣ - الاصطدام مع عباس الثاني فقد كانت في مصر آنذاك سلطان سلطة الاحتلال وسلطة الخديوية إحداهما مغتصبة والأخرى شرعية تمثلت الأولى في الثعلب العجوز اللورد كرومر والثانية في الخديوي عباس الثاني.
- ٤ - تبرير وجود المحتل.
- ٥ - تكوين مدرسة سياسية باسم محمد عبده حيث وجد الاحتلال في محمد عبده وتلاميذه مدرسة سياسية تحقق أغراضه وتنفذ مآربه فرعاها وغاها.

### \* النتائج الفكرية:

كان الاستعمار يشعر بتحول المجتمع المسلم نحو الحضارة الغربية وأخذه منها في كل مجال وتقليله لها في كل أمر ولكنه كان يؤمن - في الوقت نفسه بأن الهوة ستبقى قائمة بين الغرب والمسلمين من جهة ولا يؤمن الانهيار من

(١) «الفكر الإسلامي المعاصر» لغازي التوبي ص(٢٣).

جهة ثانية طالما أن الإسلام باق على طبيعته وحقيقة لذلك فقد صب جهوداً كبيرة كي يحول الإسلام من الداخل ليعطي السنن الفكري والدعم الديني لمعطيات الحضارة الغربية من ناحية وتناولها دون التبرج من ناحية أخرى، وقد وجد الاستعمار في محمد عبده ضالته التي تحقق له هدفه ذلك في التحويل والتحوير أو قل التي تبدأ له بالخطوة الأولى في ذاك التحويل والتحوير»<sup>(١)</sup>.

\* قول هام للدكتور محمد محمد حسين عن المدرسة العقلية الحديثة :

والدكتور محمد محمد حسين غير مكثر في ميدان الكتابة لكنه رصين الأداء مقتدر في استيفاء جوانب موضوعه ينظر إلى الأمور في عمق كما قال الأستاذ أنور الجندي<sup>(٢)</sup> ، وقد كان لدراساته العميقه في دعوه الأفغاني وتلاميذه نتيجة خطيرة توصل إليها حيث يقول : «الذى يبدو لي هو أن دعوه الأفغاني التي ربي محمد عبده في أحضانها كان لها - ككل الدعوات السرية - ظاهر وباطن فظاهرها يخاطب الجماهير . وهو يصور ما يريد صاحب الدعوه أن يعرفه جمهور المسلمين مما يعجبهم ويقع في قلوبهم موقع الارتياب والقبول ، وباطنه يمثل حقيقتها التي يخفىها أصحابها عن الناس ، ولا يكشفون الستر عنها قبل أن تتحقق أهدافها بالوصول إلى مركز السلطة ومحمد عبده كان تابعاً لسيده الأفغاني أو خادماً له كما تعود هو نفسه أن يكتب إليه في بعض رسائله والأفغاني كان يريد أن يعيد الدور نفسه الذي لعبه الإسماعيلية من أصحاب الدعوات الباطنية التي تستتر وراء التشيع»<sup>(٣)</sup> .

(١) «الفكر الإسلامي المعاصر» لغاري التوبة ص(٤٤ - ٦٥).

(٢) «مفكرون وأدباء» لأنور الجندي ص(٢٦٤).

(٣) «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد حسين ص(٨٣).

وإذا أردت أن تعرف أي تخطط وقعت فيه المدرسة العقلية الحديثة فانظر إلى قول الشيخ محمد عبده حيث يقول: «اتفق أهل الملة الإسلامية، إلا قليلاً من لا يُنظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل وبقي في النقل طريقان: طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه».

والثانية: تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل<sup>(١)</sup>.

﴿وإذا أردت أن تعرف الطوام في عقيدتهم فانظر إلى عقيدتهم وتأويلهم الفاسد للملائكة وأصل الإنسان، والجنة، وإنكارهم للمعجزات، قولهم في القضاء والقدر، وأمارات الساعة، والدجال والمهدى﴾.

ولعل الله يأذن في كتابة مجلد مستقل عن أخطاء المدرسة العقلية الحديثة وطوامها.

\* الدكتور التركي محمد توفيق صدقى دجال من الدجالية:  
ينكر الدكتور توفيق صدقى حجية السنة ويعلن عنوان مقاله «الإسلام هو القرآن وحده» وينشر له الأستاذ محمد رشيد هذا المقال في عددين من مجلته المنار السابع والثاني عشر من السنة التاسعة.

ويزعم في مقاله أن القرآن قد حوى كل شيء من أمور الدين، وكل حكم من أحكامه وأنه بينه وفصله بحيث لا يحتاج إلى شيء آخر كالسنة إلا كان الكتاب مفرطاً فيه ولما كان تبياناً لكل شيء.

ويلحد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فيزعم أنه تكفل بحفظ القرآن وحده دون السنة، ولو كانت دليلاً

(١) «الأعمال الكاملة» لمحمد عبده (٣/٢٨٢) جمع وتحقيق د. محمد عمارة.

وحجة كالقرآن لتکفل بحفظها؟ .

\* أَحْمَدُ أَمِينٍ يَدْسُ السُّمْ بِالْعَسْلِ وَيُخْلِطُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ :

وجاء من بعده أَحْمَدُ أَمِينٍ صاحب كتب «فجر الإسلام، وضحاه، وظهره» تحدث في فجر الإسلام عن الحديث النبوي فمزج السم بالدسم وخلط الحق بالباطل كما يقول المرحوم مصطفى السباعي <sup>(١)</sup> .

زعم أن هناك أموراً كثيرة تضعف من حجية السنة منها أن الحديث لم يدون في عهد رسول الله ﷺ وزعم أنه نشأ عن هذا كثرة الوضع والكذب على الرسول ﷺ ساعد على ذلك كثرة دخول الشعوب في الإسلام، وزعم أن علماء الحديث إنما اعتمدوا بالسند ولم يعتنوا بفقد المتن عشر عنايتهم بالسند ثم شكك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي حفظه؟ !

وأنت قد لا تجد في كلامه نصاً صريحاً واضحاً في إنكار حجية السنة فهو أدهى من أن يظهر هذا بل يرشد من يريد إنكار حجية السنة إلى السبيل لذلك فيقول للدكتور علي حسن عبد القادر: «إن الأزهر لا يقبل الآراء العلمية الحرة، فخير طريقة لبث ما تراه مناسباً من أقوال المستشرقين ألا تنسبها إليهم صراحة، ولكن ادفعها إلى الأزهريين على أنها بحث منك وألبسها ثوباً رقيقاً لا يزعجهم مسها، كما فعلت أنا في فجر الإسلام، وضحي الإسلام» هذا ما قاله الدكتور علي حسن نفسه للمرحوم مصطفى السباعي <sup>(٢)</sup> .

\* إِسْمَاعِيلُ أَدْهَمٌ يَفْتَرِي عَلَى الْأَئِمَّةِ :

وقد نشر إِسْمَاعِيلُ أَدْهَمٌ رسالة سنة ١٣٥٣هـ زعم فيها أن الأحاديث التي تضمنتها كتب الصلاح ليست ثابتة الأصول والدعائم بل هي مشكوك

(١) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» لمصطفى السباعي ص(٢٣٦).

(٢) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» لمصطفى السباعي ص(٢٣٨).

## رياض الجنة في الرد

فيها ويغلب عليها صفة الوضع، وثارت حول هذه الرسالة ضجة انتهت بتصادرتها ودافع أدهم عن نفسه بأن ما قاله قد وافقه عليه كبار أدباء وعلماء ذكر منهم أحمد أمين، ولم يكذب أحمد أمين ما قال هذا بل كتب ما يفيد تأله مما حصل لصاحبها واعتبار ذلك محاربة لحرية الرأي، وحجر عشرة في سبيل البحوث العلمية<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

□ وكتاب الدكتور إسماعيل أدهم هذا هو «مصادر التاريخ الإسلامي». ولقد كان هذا الرجل عضو في المجمع الشرقي لنشر الإلحاد ثم مات متحرماً.. ومزابر التاريخ تسع الكثير.

كان هذا المفترى على حفاظ الحديث قد أرسل رسالة إلى مجلة الفتح الإسلامي نُشرت في العدد ٤٩٤، يؤكّد فيها أن ما ذهب إليه من الشك في صحة السنة لم ينفرد به، إنما هو بموافقة جماعة من كبار الأدباء، ذكر من بينهم الأستاذ أحمد أمين عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية بعد ذلك، والذي لم يكن قد أفصح عن عدائه للسنة.

### \* أحمد أمين وإنكاره للسنة وخيانة الأمة وأسفه على موت المعتزلة:

في كتبه الثلاث فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام قبح وجرائم وخيانة الأمانة العلمية وعدم التزام الدقة البحثية والاعتماد القصدي للنقل المكذوبة والتغاضي عن الصالحة والموثوقة، الحد الذي وصفه الأستاذ أنور الجندى ببراعة التضليل، وقد حدا حدود المستشرقين وبعض زعماء الخوارج والمبتدةعة في إنكارهم للسنة النبوية المطهرة، وينقل كذباً عن الإمام أحمد أنه لم يصح من أحاديث التفسير شيء، وتشكيكاً في صحابة رسول الله

(١) المرجع السابق ص(٢٣٧ - ٢٣٨).

(٢) «منهاج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٧٤٦).

الذين نقلوا أحاديثه أو رووها أنهم صلوات الله عليه كانوا يتقدون بعضهم بعضاً بعدم الثقة والتکذیب والریبة، ويطعن في أبي هريرة رضي الله عنه ويدلس تدليساً علمياً لا يخفى على الحذاق.

يقول تابعه على الدرب زكي مبارك: «إن أحمد أمين لا يهمه أن يرد الحقوق إلى أربابها، إلا في موطن واحد هو اعترافه بأنه استأنس بأراء المستشرقين ليُقال إنه يطلع على أقوالهم فخراً». يقول أحمد أمين: «في رأيي أن من أكبر مصائب المسلمين موت المعزلة»<sup>(١)</sup>.

\* الدكتور محمد حسين هيكل صاحب «حياة محمد» من الطاعنين في السنة:

وهو من يستخدم سلاح القرآن ليطعن به السنة ويشكك في صحتها، وفي صدق الأحاديث التي انطوت عليها بصورة قطعية.

وهو يشكك في رصد الشبهات التي تشكيك في رواة الحديث وفي صدق الأحاديث وفي ضوابط جمعها والقائمين عليها، ثم ما لبث أن أهال التراب على معجزات الرسول صلوات الله عليه بحججة أن القرآن لم يشر إليها فيقول: «لقد أضافت أكثر كتب السيرة إلى حياة النبي ما لا يصدقه العقل ولا حاجة إليه في ثبوت الرسالة، لو أن أمة مسلمة آمنت اليوم بهذا الدين ولم تحتاج إلى التصديق بمعجزة غير القرآن لما طعن ذلك في دينها ولا نقص من إسلامها».

■ لقد تبع الدكتور هيكل وزير المعارف بغير إحسان المستشرقين فقال منكراً معجزات النبي صلوات الله عليه غير القرآن: «إن الشهادة برسالة محمد لا تحتاج

(١) «ضحى الإسلام»، لأحمد أمين (٣/٧٢).

## رياض الجنة في الرد

إلى معجزة غير القرآن ولا تحتاج إلى أكثر من تلاوة الكتاب الذي أوحاه الله إليه». وقد أنكر هذا الرجل معجزات النبي إلا القرآن وقال: «كتب السيرة تذكر أن طائفه من المسلمين قد ارتدوا عن إسلامهم حينما ذكر لهم النبي، أنه أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى».

ويقول: «وندع الدين جانباً (!!) ونقف عند سيرة صاحبه عليه السلام فقد أضافت أكثر كتب السيرة إلى حياة النبي ما لا يصدقه العقل ولا حاجة إليه في ثبوت الرسالة»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث شق الصدر الذي رواه البخاري ومسلم يقول هيكل: «لا يطمئن المستشركون ولا يطمئن جماعة من المسلمين كذلك إلى قصة الملائكة ويرونها ضعيفة السند»<sup>(٢)</sup>.

والصلة بين هيكل والمدرسة العقلية الحديثة عميقة الصلة.. يكفي أن تعلم أن «الشيخ مصطفى المراغي هو الذي كتب المقدمة لهذا المؤلف مشيداً بما جاء فيه ومعجباً به ومؤيداً له. ودافع عن المؤلف والكتاب السيد رشيد رضا في مجلته المنار وجاء في دفاعه «أهم ما ينكره الأزهريون والطريقيون على هيكل أو أكثره مسألة المعجزات أو خوارق العادات وقد حررتها في كتاب الوحي المحمدي بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة الله القطعية على ثبوت نبوة محمد ﷺ بالذات.. وإن الخوارق الكونية شبهة عند علمائه لا حجة لأنها موجودة في زماننا ككل زمان مضى وأن المفتونين بها هم الخرافيون من جميع الملل»<sup>(٣)</sup>.

والمؤلف - هيكل - نفسه كثيراً ما يستشهد فيما يذهب إليه بأقوال محمد

(١) «حياة محمد» لمحمد حسين هيكل ص(٣٤).

(٢) «حياة محمد» ص(١١١ - ١١٢).

(٣) مجلة المنار مجلد ٣٤ الجزء العاشر ص(٧٩٣) - عدد ٣ مايو ١٩٣٥ م.

عبده نفسه ويشيد به<sup>(١)</sup>.

﴿ ويقول عن الشيخ محمد عبده دعوته «وكانت دعوته موضع إعجابي<sup>(٢)</sup> »<sup>(٣)</sup>.

### \* زكي مبارك:

نشر في مقال له بالعدد الممتاز من مجلة الرسالة «كان محمد إنساناً بشهادة القرآن» ويعلن انضمامه إلى منكري السنة النبوية فيكمل النص بشيء من التعریض الذي هو سمة من سماتهم جميعاً في قلة الأدب والحياء في خطابهم مع النبي الكريم ﷺ فيقول: «وبنوا آدم يؤذيهم أن يتلقوا الحكمة عن رجل يأكل الطعام ويعيش في الأسواق!!».

\* عدو السنة وعدو أبي هريرة محمود أبو رية يتصدى لظلماته العالман الجليلان: محمد عبدالرزاق حمزة وعبدالرحمن المعلمي اليماني:

لقد كان هذا الهالك سباقاً في جرأته على النبي الكريم بما لم يتجرأ به أحد، نشر مقالاته في مجلة الرسالة منذ إبريل ١٩٥١م، ونشرت أبحاثه تحت عنوان «في الحديث النبوي» ثم جُمعت في كتاب «أضواء على السنة المحمدية» ورد عليه الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة في كتاب «ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية».

ثم رد عليه الشيخ عبدالرحمن المعلمي اليماني في كتابه «الأنوار

(١) انظر الصفحات (٣٤، ٧٠، ١٨١، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٧٣).

(٢) «حياة محمد» ص (٧٠).

(٣) «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص (٧٧٩ - ٧٧٧) للدكتور فهد الرومي - مؤسسة الرسالة.

## رياض الجنة في الرد

الكافحة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة»، ثم سوَّد كتاباً آخر فيه من الفحش والفسق والفحش والطعن على أبي هريرة رضي الله عنه ما يفهُ اللسان عن نطقه ويأبى القلم أن يخطه على الورق، يتهم فيه أبا هريرة بالكذب، هذا الدجال عدو أبي هريرة لما مات أسود وجهه وجعل يقول: «ما لي ولا بي هريرة».

هذا الذي ما أقرَّ بعدلة الصحابة ولم يُسلِّم بهدا. وقال طاعنا في حفاظ الحديث وحملة سنة النبي ﷺ ساخراً منهم:

«ما زلت أشك أنكم ترون حال كثيرين من الذين يزعمون اليوم أنهم من المحدثين، أولئك الذين يتسللون بين أشباههم من العامة - وبلغ علمهم أنهم قرءوا بعض كتب الحديث واستظهروا عدداً مما فيها، يجترؤونه ليفيدوا به باطل المعتقدات وسوء العادات ويروجوا به ما فشى بين الناس من الترهات والخرافات، لكي يختلسوا احترام الدهماء وثقتهم، ويأكلوا بالباطل والإثم أموالهم».

على أنهم لو عرفوا قدر أنفسهم، وأن ما يحفظونه مما لا يزيد أكثره عند أحفظتهم على عشرات من الأحاديث، وأن كتاباً من كتب الحديث لا يزيد ثمنه عن بضعة قروش يغنى عنهم جميعاً! لو أنهم عرموا ذلك كله واستيقنوه لقيعوا في جحورهم، ولأراحوا الناس من نقدهم.

ورحم الله أستاذنا الإمام محمد عبده - رحمه الله - حيث قال في رجل وصفوه بأنه قد جدَّ واجتهد حتى بلغ ما لم يبلغه أحد، فحفظ متن البخاري كله - «القد زادت نسخة في البلد». حقاً والله ما قاله الإمام، أي أن قيمة هذا الرجل - الذي أعجب الناس جميعاً به لأنَّه حفظ البخاري - لا تزيد عن قيمة نسخة من كتاب البخاري لا تتحرك ولا تعي»<sup>(١)</sup>.

(١) «أضواء على السنة المحمدية» ص(٣٢٩).

\* ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾ :  
وصدق أبو حاتم الرazi لما قال: «علامة أهل البدع الواقعة في أهل  
الآخر»<sup>(١)</sup>.

□ وقال الإمام أبو عثمان الصابوني: «وعلمات البدع على أهلها بادية  
ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلماتهم: شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ  
واحتقارهم واستخفافهم»<sup>(٢)</sup>.

□ وقال ابن أبي داود في قصيده الشهيرة:  
ولا تك من قوم تلهوا بدينهم فتطعن في أهل الحديث وتقدح  
□ ورحم الله الفضيل لما قال: «الملائكة حراس السماء، وأهل الحديث  
حراس الأرض».

□ ولله در من قال: «من لم يقر بأن أهل الحديث هم أنصار هذا الدين  
فإنه يُعد في ضعفاء المساكين الذين لا يدينون لله بدين».

□ وقال السفاريني: «ولسنا بصدّ ذكر مناقب أهل الحديث فإن مناقبهم  
شهيرة وما ثرّهم كثيرة وفضائلهم غزيرة، فمن انتقصهم فهو خسيس ناقص،  
ومن أبغضهم فهو من حزب إبليس ناكص»<sup>(٣)</sup>.

□ لقد قال الدجال أبو رية عن أبي هريرة أن كبار الصحابة جرحوه  
وشكوا في روایته لأجل إثاره من الحديث واتهامه بالكذب عمر وعثمان  
وعلي<sup>(٤)</sup>.

(١) «السنة» للالكائي (١٧٩/١).

(٢) «عقيدة السلف» للصابوني ص (١٠١).

(٣) «لواحة الأنوار» للسفاريني (٣٥٥/٢).

(٤) «أضواء على السنة المحمدية» ص (١٥٤ - ١٥٥).

□ وقال إن عمر ضربه بالدرة وأوعده إن لم يترك الحديث ليلحقنه بأرض دوس أو بأرض القردة، ولذا لم يحدث إلا بعد قتل عمر<sup>(١)</sup>.

□ ويقول عن أبي هريرة أيضاً أنه كان كثير النسيان لضعف ذاكرته، فاختلق قصته ليسوغ بها كثرة أحاديثه، ويثبت صحة ما يرويه في أذهان السامعين<sup>(٢)</sup>، وأنه «لم يكن له علم ولا فقه ولا رأي ولا نصيحة، ولذا لم يجعله عمر في أهل شورته»<sup>(٣)</sup>، وأنه «كان من عامة الصحابة، ولم يكن بينهم في العير ولا في النفي»<sup>(٤)</sup>. ولم يُذكر في طبقة من طبقاتهم، ولم يرد في فضله حديث<sup>(٥)</sup> وأنه «كانت به غفلة وغرة وسذاجة. ولذا استغله أعداء الإسلام في بث الخرافات والأوهام في الدين الإسلامي»<sup>(٦)</sup>.

□ أما زعمه بأن أبي هريرة غير فقيه، فلا يؤخذ بما رواه مخالفًا للقياس فهو زعم واه ضعيف، ولذا قال الحافظ ابن حجر: «وهو كلام آذى قائله به نفسه، وفي حكايته غنى عن تكليف الرد عليه»<sup>(٧)</sup>.

□ وقد كان أبو هريرة ~~خواست~~ من يرجع إليه في الفتوى.

روى مالك بسنده إلى معاوية بن أبي عياش الانصاري، أنه كان جالساً مع عبدالله بن الزبير، وعاصم بن عمر بن الخطاب. قال: فجاءهما محمد بن إياس بن البكير. فقال: «إن رجلاً من أهل البداية طلق امرأته ثلاثة قبل أن

(١) المرجع السابق ص(١٦٣، ١٩٧).

(٢) المرجع نفسه ص(١٧٧).

(٣) المرجع السابق ص(٢٠٣) الهاشم.

(٤) المرجع نفسه ص(١٥٢).

(٥) المرجع نفسه ص(١٨٤ - ١٨٥).

(٦) المرجع نفسه ص(١٧٢ - ١٧٣).

(٧) «فتح الباري» (٣٦٤ / ٤).

يدخل بها. فماذا تريان؟ فقال عبد الله بن الزبير: إن هذا الأمر ما لنا فيه قول، فاذهب إلى عبد الله بن عباس، وأبى هريرة، فإني تركتهما عند عائشة، فسلّهما. ثم أتتنا فأخبرنا، فذهب فسألهما، فقال ابن عباس لأبى هريرة: أفتنه يا أبا هريرة، فقد جاءتك معضلة، فقال أبو هريرة: الواحدة تبينها، والثلاثة تحرّمها حتى تنكح زوجاً غيره، وقال ابن عباس مثل ذلك رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

□ فقد دفع ابن عباس رضي الله عنه الفتوى إلى أبي هريرة لما كان يعلمه عنه من فقهه وسعة علمه، ولذا قال الذهبي: «احتج المسلمون قديماً وحديثاً بحديثه، لحفظه وجلالته وإنقاذه وفقهه، وناهيك أن مثل ابن عباس يتأدّب معه، ويقول: افت يا أبا هريرة»<sup>(٢)</sup>.

□ وقد ذكره ابن سعد في النفر من الصحابة رضي الله عنه الذين صارت إليهم الفتوى بالمدينة وهم: ابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأبوا هريرة وجابر رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

□ كما ذكره ابن حزم في المتوسطين من الصحابة رضي الله عنه من روی عنهم الفتيا<sup>(٤)</sup>. وذكر ذلك أيضاً ابن القيم<sup>(٥)</sup> .

□ يقول الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي في كتابه القيم «منهاج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩):

(١) إسناده صحيح: رواه مالك في «الموطأ» - كتاب الطلاق - باب طلاق البكر (٥٧١/٢). وذكره الذهبي في «السير» (٦٠٧/٢)، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦٠٩/٢).

(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣٧٢/٢).

(٤) «الإحکام في أصول الأحكام» (٩٢/٥).

(٥) «أعلام الموقعين» لابن القيم (١٣/١).

(٦) « موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية» للأمين الصادق الأمين ص(٣٧٩) - مكتبة الرشد.

## رياض الجنّة في الرد

«وفي عام ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٧م ظهر كتاب جديد وأعني بالجديد فيه ذلكم الأسلوب الذي نهجه صاحبه وما رأيت مثله؟! رجل يحمل معول هدم السنة ينكر أحاديثها ويلقي أفظع السباب والشتائم على ناقلها الأول أبي هريرة رضي الله عنه ثم يزعم بعد هذا أنه يدافع عن الحديث؟!

أما المؤلف فمحمود أبو رية، وأما الكتاب فـ «أضواء على السنة الحمدية أو دفاع عن الحديث»؟.

ومن التوافق العجيب أن الذي قدم لهذا الكتاب الذي أنكر حجية السنة هو الذي أنكر صدق قصص القرآن وأنكر حجيته فيما يخبر به - كما مر بنا - وأعني به طه حسين.

أنكر محمود أبو رية حجية السنة، وإذا ما قال له قائل كيف تنكر حجية السنة وأنت تستدل على ما ذهبت إليه بأحاديث منها؟ أجاب «أن الأحاديث التي أوردها في سياق كلامي للاستدلال بها على ما أريد في كتابي إنما أسوقها لكيقنع من لا يقنع إلا بها على اعتبار أنها عنده من المسلمات التي يصدقها ولا يماري فيها «ويشبه أسلوبه هذا باحتجاج» المسلم على النصراني بما في الإنجيل وهو في نفسه غير مؤمن بما يحتاج به أو عكس ذلك<sup>(١)</sup>؟!

وحتى ندرك أيضًا الصلة التي تربطه برجال المدرسة العقلية الحديثة وتأثيره بهم فيما ذهب إليه نقول إنه كثيراً ما يسوق نصوصهم ويستشهد بها في التقليل من شأن حجية السنة أو التجريح بصاحبِي جليل، وحينما عاب عليه طه حسين كثرة نقله عن رشيد رضا أجاب بأنه لم يصنع ذلك «عفواً أو فقرأ من الأدلة»<sup>(٢)</sup>، وإنما كان يقصد من ذلك أموراً مهمة، «منها أن هذا السيد

(١) «أضواء على السنة الحمدية» ص(٣٣).

(٢) المصدر السابق ص(٣٤ - ٣٥).

يعتبر في هذا العصر من كبار أئمة الفقهاء المجتهدين عند أهل السنة الذين يعتد برأيهم. إلخ<sup>(١)</sup> « وأنه بلا منازع شيخ محدثي أهل السنة في عصرنا بحيث يعلم من أمر الأحاديث التي حملتها الكتب المشهورة لدى الجمهور ويدرك ما اعتبرها من فعل الرواة وغير ذلك مما يتصل بكتابي ما لم يعلم مثله سواه»<sup>(٢)</sup> « على أنه فوق ذلك ورث علم الأستاذ الإمام محمد عبده وناهيك به علماً وفضلاً بحيث لا يختلف اثنان في أنه من كبار أئمة الدين المجتهدين فما ي قوله السيد رشيد إنما اعتبره بأنه صادر عن أستاذه الإمام، وذلك فيما أرى أنه من منهج الأستاذ الإمام وأسلوبه في النظر إلى الدين»<sup>(٣)</sup> ، وفوق هذا وذلك فهو يكتب عن السيد رشيد بمناسبة مرور خمسة أعوام على وفاته ويسميه «شيخنا» ويردد هذه العبارة<sup>(٤)</sup> .

إذن فهو يستند فيما ذهب إليه إلى أقوال أئمة رجال المدرسة العقلية الحديثة الأستاذ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد، ويحسب قوله بعد هذا فوق الشبهات!! اهـ.

\* أخي :

هل تخيل أن عدو السنة أبا رية يقول عن الإمام أبي هريرة: «إنه شخصية وهمية لم يقف أحد على اسمه، فكان حريًا عدم الثقة في شخصه والتشكيك في كل ما يُروى على لسانه»<sup>(٥)</sup> .

وقال عنه أنه: «نقل من الأحاديث أكثر مما يطيق عقل بشر».

(١) «أضواء على السنة المحمدية» ص(٣٤ - ٣٥).

(٢) المصدر السابق ص(٣٥).

(٣) «مجلة الرسالة» أغسطس ١٩٤٠ مقال: «السيد رشيد رضا» بقلم محمود أبو رية ص(١٣٥٥).

(٤) «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبدالله ص(٣٢).

ويأتي الدكتور طه حبيش إلا أن يكشف لنا النقاب ويفك اللغز المثير في سبب هذا الكم من حقد أبي رية الباجحد على أبي هريرة رض، إذ اشتهر عن محمود أبو رية فشله في الدراسة الأولية بالأزهر الشريف، وتردداته الدائمة على بعض الأديرة والكنائس، والتلقائه فيها بمن أوهمه بأنه سوف يكون رجلاً ذا شأن إذا ما سلك هذا الطريق الوعر»<sup>(١)</sup>.

□ يقول الشيخ صالح الدين مقبول أحمد في مقدمته لكتاب « موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي» ص(٥) عن أبي رية: وكتابه «أصوات على السنة المحمدية» صادف رغبة أعداء الإسلام حتى اشتربت إحدى السفارات الأجنبية في القاهرة أكثر نسخه، وأرسلتها إلى مكتبات الجامعات الغربية لتكون بين يدي الحاقدين على الإسلام ورسوله وصحابته وليستندوا إليها فيما أورده من أكاذيب وأباطيل»<sup>(٢)</sup>.

\* الكذاب الأشر المدعو «السيد صالح أبو بكر» وجحونه العجيب !!  
«كأن خداع العناوين مرض انتقل من أبي رية في زعمه الدفاع عن الحديث النبوي في عنوان كتابه إلى المدعو «السيد صالح أبو بكر» فنشر كتاباً زعم أنه «الأصوات القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها» زعم فيه أن من أهدافه «تقديم حصيلة الفحص الدقيق للأحاديث المعارضة للقرآن، والمنافية لما يليق بالله وبرسوله والتي جمعناها من صحيح البخاري باعتباره عمدة المراجع في هذا المجال وعددها مائة وعشرون حديثاً والتعليق القرآني على كل منها بما يثبت أنها دخيلة على كلام النبي

صلوات الله عليه وسلم»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق ص(٣٣).

(٢) نقلًا عن «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص(٤٦٧).

(٣) «الأصوات القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية».

وعدَّ من أهدافه «القضاء على منازعة الحديث الباطل للقرآن الكريم»<sup>(١)</sup>، ومنها «إدراك العواقب المترتبة على ترك الأحاديث المخالفة للقرآن الكريم دون تجريح وإظهار لعيوبها»، و«إثبات أن دين الله هو القرآن بداية ونهاية» ، وقال أخيراً: «كتابنا هذا يستند إلى كتاب الله نصاً ومعنى»<sup>(٢)</sup>.

والحق أننا في حاجة ماسة إلى مثل هذه الأهداف والحق أيضاً أن هذا الرجل بعيد كل البعد عن المنهج الذي زعم بل عماد نقله وأسسه محمود أبو رية السالف ذكره فهو كثيراً ما ينقل عنه بل نستطيع القول أن الجزء الأول منه خلاصة لكتاب أبي رية، ثم أراد المؤلف مناقسة أبي رية على مناهله الأولى فنقل أيضاً عن محمد عبده وعن رشيد رضا وغيرهم من مدرسة المنار.

بل إن بدء هجومه على أبي هريرة رضي الله عنه يصدره برأي مدرسة المنار فيوضع عنواناً «أبو هريرة ورأي علماء الحديث فيه مثلاً في مدرسة المنار»<sup>(٣)</sup>.

وقد خصص المؤلف الصفحات من ٥٨ إلى ٦٣ للتشكيك في أبي هريرة رضي الله عنه وفي روايته.

وإن شئت مثلاً من الأحاديث المائة والعشرين التي كذبها المؤلف من صحيح البخاري وأسلوبه في التكذيب، حتى تدرك بعد منهجه عن عنوان الكتاب «الأضواء القرآنية» وعن أهدافه التي زعمها فإليك واحداً منها.

● ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما «قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهل، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه وما من نبي إلا أنذره قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكنني أقول لكم فيه قولًا لم يقله النبي لقومه:

(١) «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها» للسيد صالح أبو بكر ص(٣ - ٦).

(٢) المصدر السابق ص(٣ - ٦).

(٣) المصدر السابق ص(٥٨).

تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور» رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾.

﴿أتدرؤن ماذا قال المؤلف بعد أن نقله نقاً غير ملتزم بالفاظه كما هو شأن علماء الحديث الصالحين أتحسبون الرجل استند إلى ضوء آية قرآنية واحدة في رد الحديث فضلاً عن التزام «الأضواء القرآنية»!! لا لا ليس الأمر كما تحسبون. بل قال: «ودلائل الزيف في هذا الحديث وغيره من أحاديث الدجال كلها نقول فيها ما يلي:»

أولاً: إن المسيح الدجال هو كل مبدل وكل ماسخ لجمال الحق.. وأن هذا المسيح ليس رجلاً واحداً فقط، ولكنهم كثيرون وهم عور وغير عور يعيشون معنا وأناس منا و كانوا مع من قبلنا وسيكونون مع من بعدهنا وفي كل زمان ومكان.. وليسوا مسيحيّاً واحداً كما يقول الحديث.

ثانياً: إذا كان المسيح سيظهر في آخر الزمان فقط.. فمن هو المسيح الدجال الذي كان سبباً في ظهور الفساد والفتنة في عهود الخلفاء وزمن التابعين بل زماننا هذا.

ثالثاً: إذا كان المسيح الدجال رجلاً واحداً ولا يأتي إلا في آخر الزمان فمن أي مسيح كان يتغوز النبي عليه السلام هو وأصحابه والتابعون.. ومن أي مسيح نتعوذ نحن الآن في نهاية كل صلاة كما علمنا النبي عليه السلام؟؟

رابعاً: .. بأي عقل نصدق أن يعطيه الله كل هذه الأسباب ثم يأمرنا بمحاربته أو يلوم أتباعه وقد أعطاه من وسائل الإغراء والإقناع للناس ما لا يعطي الأنبياء والمرسلين.

خامساً: في هذا الحديث أن النبي عليه السلام يقول إن المسيح الدجال رجل أعور وإن ربكم ليس بأعور فكيف يعقل أن تجري هذه الألفاظ على لسان

النبي ﷺ وأن تكون ألفاظه قد وصلت إلى هذا النقص في التعبير عن ذات الله وأن يتكلّم عن خالقه بتلك الصورة المزريّة الركيكة.

سادساً: كيف أنذر نوح قومه من المسيح الدجال كما يقول الحديث مع أن الأحاديث التي وردت فيه تقول كلها أن المسيح سيأتي في آخر الأزمان<sup>(١)</sup>.

«وليس هدفنا هنا أن نرد على شبهه ونبطلها فليس هذا موضوعه وإنما أردنا أن نظهر أسلوبه في النقد وأن أدلة تلوك ليست أصواتاً قرآنية كما زعم، ولم يستند فيها إلى آية آية قرآنية بل كلها شبه من فكره ومن مفهومه الضال الذي لم يستند إلى كتاب ولا إلى سنة أيضاً».

وليس هذا الأمر في هذا الحديث فحسب، بل هو في كل الأحاديث التي أوردها لم يستدل فيها بآية قرآنية إلا آية تُعرض عرضًا في حديثه وليس فيها من معارضة الحديث شيء.

إذن فلا عجب إذا ما أكثر النقل عن محمود أبو رية وغضّ على أقواله بنواجذه ولا عجب أيضاً إذا ما استند إلى أقوال محمد عبده ورشيد رضا بل إلى مدرسة المنار<sup>(٢)</sup> اهـ.

\* \* \*

(١) «الأصوات القرآنية» ص(٦ - ٢٠٧).

(٢) «منهاج المدرسة العقلية الحديث في التفسير» ص(٧٤٩ - ٧٥٢).

\* «الرد القوي على المجرم الأثيم» لفضيلة الشيخ حمود التويجري:

لقد رد الشيخ حمود التويجري على السيد صالح أبي بكر في كتابه «الرد القوي على المجرم الأثيم» في جزءين فأفحشه.. قال الشيخ: «فقد رأيت كتاباً لبعض أهل الزيف والفساد والإلحاد من العصررين تهجم فيه على بعض الصحابة والتابعين وعلى مائة وعشرين حدثاً في صحيح البخاري الذي هو أصح الكتب بعد القرآن، وزعم أنها أحاديث إسرائيلية وأنه يكتسحها بالأضواء القرآنية ويظهر البخاري منها. وتهجم أيضاً على غير ذلك من الأحاديث الصحيحة وقابلها بالرد والإنكار.

وقد سمي المؤلف نفسه بالسيد صالح أبي بكر، وليس بسيد ولا صالح ولا كرامة ولا نعمة عين، لما رواه أبو داود والنسائي والبخاري في الأدب المفرد عن أبي بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيداً فقد أستخطتم ربكم عز وجل» ورواه الحاكم في مستدركه والبيهقي بنحوه وصححه الحاكم.

وفي تهجمه على بعض الصحابة والتابعين وعلى الأحاديث الصحيحة أوضح دليل على زيفه وفساد عقیدته وأنه ليس بصالح في الحقيقة.

وقد سمي الملحد كتابه «الأضواء القرآنية»، في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها». . وكلام الملحد كله شبكات وحمل لكتاب الله عليه السلام على غير محامله، فهو في الحقيقة ظلمات بعضها فوق بعض كما سأبینه إن شاء الله تعالى.

ومن تأمل كتابه لم يشك أنه محارب للإسلام والمسلمين، وأنه إنما أراد بكتابه الطعن في الإسلام وأهل الإسلام، وإن أظهر ذلك في قالب الإصلاح فهو بلا شك من يسعى في الأرض فساداً وإن كان يزعم أنه مصلح. وقد قال الله تعالى مخبراً عن سلف هذا الملحد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي

الأرض قالوا إنما نحن مُصلحون ﴿١﴾ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴿٢﴾ وهذه الآية الكريمة مطابقة لحال الملحدين غاية المطابقة، طهر الله الأرض منه ومن امثاله من المفسدين في الأرض إنه سميع مجيب. وقد رأيت من الواجب الرد على أباطيل هذا الزائف المفترى على الله وعلى رسوله ﷺ وتطهير الأحاديث في صحيح البخاري وغيره من كتب السنة من تلطيخ هذا الظالم المعتمدي»<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ التوسيجي «وقد قال المؤلف<sup>(٢)</sup> في صفحة (٤) ما نصه:

سابعاً: الاستكشاف الفعلي لأنحراف عقائد من سبقونا من أمم الدراويش وجماعات التنسك الشكلي وأصحاب الدعاوي بخروج بشريتهم أو بشرية شيوخهم على سنن الله في خلقه ادعاءً للكرامات المصطنعة وزعمًا للمعجزات الخيالية التي ملأت المدونات الصفراء وليس لهم فيها من سند ولا أصل إلا أحاديث الخيال المفترة على رسول الله ﷺ تلك التي استقرت في كتب الأحاديث المعتمدة لدى المسلمين بحسن القصد من الناشرين والمستطلين.

والجواب: أن يُقال هذه الجملة في أول كتاب المؤلف الجاهل كافية في بيان عداوته للرسول ﷺ وللسلف الصالح من الصحابة والتبعين وأئمة العلم والهدى من بعدهم، وبيان ذلك من وجوه:

أحدها: زعمه أن معجزات النبي ﷺ خيالية وأن كراماته وكرامات غيره من أنبياء الله وأوليائه مصطنعة. وهذا قول أعداء الله من الإفرنج

(١) «الرد القوي على المجرم الأثيم» للشيخ حمود التوسيجي ص(١، ٢) - مكتبة دار العليان الحديثة.

(٢) يعني السيد صالح أبو بكر.

## رياض الجنة في الرد

وغيرهم من أمم الكفر والضلال. وقد تلقاه هذا الجاهل وأشباهه من زنادقة العصررين بالقبول والرضا. وهذا القدر كاف في الحكم بردة المؤلف وخروجه من الإسلام.

وقد أجمع العلماء على تكفير من عبث في جهة النبي ﷺ بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور. وأجمعوا على تكفير من استخف بالرسول ﷺ أو استهزأ به أو بشيء من أفعاله، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه. ذكر ذلك القاضي عياض - وابن حجر الهيثمي وكلام المؤلف هنا داخل فيما أجمع العلماء على تكفير قائله.

**الوجه الثاني:** زعمه انحراف عقائد الذين يؤمدون بمعجزات النبي ﷺ وكراماته وكرامات غيره من أنبياء الله وأوليائه. وهذا يتضمن القدح في جميع أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان. ولا يقدح فيهم إلا من هو متبوع لغير سبيلهم وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبَعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلََّ مَنْ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

وقد قال في الإقناع في ذكر ما يصير به المسلم كافراً: «أو قال قوله يتوصل به إلى تضليل الأمة أي أمة الإجابة فهو كافر؛ لأنَّه مكذب للإجماع على أنها لا تجتمع على ضلاله» انتهى.

ولا يخفى ما في كلام المؤلف من تضليل الأمة على إيمانهم بمعجزات النبي ﷺ وكراماته وكرامات غيره من أولياء الله تعالى فيكون بهذا كافراً حلال الدم والمال.

**الوجه الثالث:** تسميته علماء السلف وأئمة الخلف بالدراويش وجماعات التنسك الشكلي وأصحاب الدعاوى وزعمه أنهم قد خرجوا ببشرتهم على سن الله في خلقه، وهذه الأوصاف أولى به وبأشباهه من زنادقة العصررين

وملاحدتهم.

**الوجه الرابع:** تسميتها كتب الحديث المعتمدة عند المسلمين بالمدونات الصفراء تحبيراً لها وتصغيراً لشأنها وزعمه أن الأحاديث الواردة فيها في العجزات والكرامات أحاديث مفترقة على رسول الله ﷺ وهذا من أعظم المحادة لله ورسوله ﷺ والمخالفة لما عليه المسلمون من الاعتناء بكتب الحديث والتعظيم لشأنها والإيمان بما جاء في الصحيح منها من أخبار الغيوب والعجزات والكرامات واعتقاد أن ذلك حق وصدق.

**الوجه الخامس:** رميء المسلمين بالغباوة والتغفيل من أجل اعتمادهم على كتب الحديث وإيمانهم بما جاء في الصحيح منها من أخبار الغيوب والعجزات والكرامات، الواقع في الحقيقة أن المؤلف هو الغبي المغفل الذي انقاد للشيطان فأغواه وتلاعب به حتى انسلاخ من الدين وهو لا يشعر وصار حرباً لله ولرسوله ﷺ وللأحاديث الصحيحة والمحدثين وسائر المؤمنين وقال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهًا هُوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشاوةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

#### \* الدكتور أحمد زكي أبو شادي وإنكار السنة:

رئيس تحرير مجلة العرب الكويتية سابقًا.. تلقى تعليمه في الغرب وله كتاب «ثورة الإسلام» يقول فيه ص(٥٧): «إن القرآن الشريف والأحاديث النبوية إنما هي مجموعة مبادئ خُلُقية وسلوكية، أحكامها عُرضة للتبدل بتبدل الأحوال والأسباب، ففيه شواهد هادئة على ضوئها وأسبابها وظروفها، لا أحكام ثابتة ترفض التعديل وفقاً لتبدل الأسباب والظروف».

(١) «الرد القوي» ص(٤٩ - ٥١).

## رياض الجنة في الرد

وهكذا لم ينف أبو شادي قدسيّة السنة النبوية وحسب، إنما جمع معها القرآن الشريف حسب وصفه، بوصفها مبادئ خلقيّة، خلع عنها الثبات، وأخضعها لإمكانية التعديل والتبديل وإعادة الصياغة وفقاً للأسباب والظروف. وكان أبو شادي قبل صفحات من كتابه الذي نقل منه - قد حسم القضية ص(٤٤، ٢٥) وحدد موقفه من السنة النبوية، فقال كما قال قرناؤه المتغربون:

«إن سنن البخاري وابن ماجه وجميع كتب الحديث والسنة طافحة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل<sup>(١)</sup>، ولا نرضى بنسبتها إلى الرسول وأغلبها يدعو إلى السخرية من الإسلام والمسلمين والنبي الأعظم». وقال أيضاً: «وأما التغني بأبي داود ومسلم والنسائي وترديد الأحاديث الملفقة التي لا تنسجم مع تعاليم القرآن فبمثابة الخيانة لرسالة الإسلام الخالدة».

ويتهم هذا الرجل أبا هريرة وأنس بن مالك وعبدالله بن عباس بالغفلة وانتهال الأحاديث في صفحة ١٧٤ من كتابه، ويشترك في حركة البرلمان العالمي للديانات للجمع بين الإسلام واليهودية وال المسيحية والبوذية.

«بلغ الحال إلى إنكار أبواب كاملة في الفقه؛ لأنها تضمنت أحاديث نبوية تعارضت مع مبادئه العقلية وأخلاقه الوضعية، ولم تتطور وفقاً لهذه المبادئ والأخلاق»<sup>(٢)</sup>.

\* توفيق الحكيم أستاذ التمرّدين على السنة ورد الدكتور عبد العظيم

المطعني عليه :

«وسط زخم كثير من الطعنات الموجّهة إلى علوم المسلمين وعلمائهم ودعاتهم في ظهورهم وبطونهم وحلوقيهم، كتب توفيق الحكيم في صحيفة

(٢،١) «شبهات وشطحات منكري السنة» ص(٣٨) لأبي إسلام أحمد عبدالله.

«الأهرام» أول عام ١٩٨٣م، سلسلة من المقالات تحت عنوان متبع، اضطربت معه الصحيفة الكبيرة التي طالما فتحت صفحاتها للضالين والمنافقين والملاحدة والشuboين، فجاء العنوان «حوار مع الله» حيناً، و«حديث مع الله» حيناً آخر، و«حديث إلى الله» حيناً ثالثاً في محاولة غير كريمة وغير لائقة لامتصاص السخط الذي استقبلت به هذه السلسلة مع إصرار شديد من القائمين عليها على مواصلة عرضها ونشرها على المسلمين دون اعتبار لشاعرهم، إلى أن انتهى العنوان إلى «حديث مع نفسي» فيعلق د. عبدالعظيم المطعني الذي ندعوه الله له بالحفظ والرعاية والسلامة ودوم العطاء والجهاد ضد أعداء الإسلام قائلاً:

«الحكيم واحد من العقلانيين الذين انحرفو بعقولهم وفكيرهم، فقضوا على أنفسهم وعلى عقولهم وأفكارهم بالانتحار المريع، بيد أن الحكيم قد فاق أسلافه في هذا المجال، إذ لم نر واحداً منهم يزعم أنه قال لله أو قال الله له، فهذه أضحوكة انفرد بها من بين المتحررين عقلياً وفكرياً إلى الأبد، ما لم يجد الزمان بحكيم مثله، يزعم ما زعم وبهزي بمثل ما هزي، فقد كانت كتاباته هذه هي آخر ما يتصوره العقل من مزالق محفوفة بالمخاطر، عن إنسان يحترم عقله وفكره، إلا إذا أفلت عقله من كل المقاييس (والتعبير للدكتور المطعني) ولا مناص أن يؤدي الحكيم دوره، ويشارك في زفة إنكار السنة، في حواره الكاذب مع جلال الله فيقول نصاً:

«على رجال الدين أن يُفهموا المسلمين أن صلاح الإسلام ليس في التجدد في زمن واحد مضى، بل مع الحركة المتقدمة مع تنقية ما يُفسد ويتعثر بالحركة الطائشة».

والزمن الواحد الذي مضى ويقصده الحكيم غير الحكيم، هو تلك النصوص التي حددت للمسلم كل دقائق حياته، في نظام بديع يخضع له

الزمان والمكان، ولا يخضع هو لهما؛ لأنه ما جاء من الهوى إن هو إلا وحي يوحى، علّمه شديد القوى، إذا ضاقت به نفوس؛ فلأنها عليلة، وإذا رفضته عقول فلأنها ضالة يعزّ عليهم الاعتراف بضلالها، فيرمون أهل الهدى بما فيهم، وهو ما فعله الحكيم ونطق به قبل ذلك بسنوات خمس في مقال نُشر له في «الأهرام» أيضًا، متهمًا فيه أحكام الشريعة الإسلامية المتمثلة في سنة المصطفى ﷺ، إذ ما كان له أن يجرؤ ومسّ كتاب الله في هذه الفترة الزمنية، مطالبًا بالخروج بها من جمودها وإفساح الطريق إلى أن نطورها ونجددها، لتناسب مع روح العصر ومواكبة المفتونين بالملادة والعلمانية، وتُستباح لهم السنة النبوية فُضيّلون ويُحذفون ويُعدّلون ما يلبي حاجاتهم وشهواتهم وأوامر أسيادهم.

ولأن الله لا يغير ما يَقْوِمُ حتى يُغَيِّرَ ما بِأَنفُسِهِ يقول د. المطعني:

«وبهذه التزعة «العقلانية» نصب الحكيم نفسه أستاذًا في مدرسة المتمردين على الشريعة، قصد أم لم يقصد، فالعبرة بالعمل لا بالقصد والنية، ولتلامذته حيل غريبة في ذلك، ففريق ينكر العمل بحديث الخبر الواحد ما لم يكن متواترًا، وبعضهم ينكر صحة العمل بالأحاديث كلها صحيحها وحسنها وخبر الواحد منها، ويقول آخرون: إن الأحاديث لا تفيد العلم اليقيني وإنما تفيد الظن، والظن يبطل الاستدلال، ولا تفسير لكلام الحكيم على ضوء ذلك إلا بإجراء هذه العمليات الجراحية، التي يريدون أن يدخلوها على ثوابت الإسلام ونظمها»<sup>(١)</sup> اهـ.

\* \* \*

(١) المصدر السابق ص(٣٤).

\* الشيخ محمد فريد منكر المعجزات .. يرد بعض الأحاديث فيلقمهشيخ

### الإسلام مصطفى صبري الحجر :

الشيخ محمد فريد وجدي واحد من رموز المدرسة العقلية الحديثة، وهو أحد كتاب مجلة المنار، وصاحب المقامات الصوفية، وتلميذ علي عبدالجليل راضي، رائد المذهب الروحي في العصر الحديث، يرفع لواء استحالة وقوع معجزات النبي عقلاً، مؤكداً أن كل ما جاء عنها في السنة غير مقبول أو موثوق به على الإطلاق، برغم أن الأستاذ وجدي عاش حياته وأنهاها بما لا يخفى على كثير من القراء والمثقفين، مدعياً لنفسه ممارسة المعجزات، حيث كان واحداً من أكبر رموز العاملين في الجمعيات الروحية التي تتعامل مع الجن والعفاريت، والاعتقاد بالجحاء البصري والجحاء السمعي الذي يسمح لمن يمارسه أن يبصرنا في أماكننا، ويتصير اجتماع الكونجرس الأمريكي، ويسمع كل ما يدور بداخله وهو في قلب القاهرة.

نقول: برغم هذا كله فحتى الآيات القرآنية التي أنبأت ببعض معجزات الأنبياء، اعتبرها فريد وجدي جميماً من التشابهات التي لا تفهم معانيها، وكتب في مجلة الأزهر (ج/٥ م/٨) «إن الإيمان بالغيب الذي هو أول صفة وصف الله بها عباده المفلحين، يقابل الإيمان بالواقع» ليحط بهذه المقابلة من منزلة الإيمان الغيب.

□ وعلى صفحات الأهرام يقول في مناظرته مع شيخ الإسلام مصطفى صبري - رحمه الله - : «لقد ولد العلم الحديث وما زال يُجادل القوى التي تقف أمامه حتى تغلب عليها، فنظر نظرة في الأديان، فقدف بها جملة إلى عالم الأساطير وجعل منها (الأديان وكتابها) مجموعة كتب تقرأ لا تقدس، ليعرف الباحثون منها، الصور الذهنية، لا أن يُعبد بها ويُستعبد لها» .

## رياض الجنة في الرد

■ ويعُلّق على ذلك الشيخ مصطفى صبّري - رحمه الله - آخر من تولى منصب شيخ الإسلام قبل سقوط الخلافة عام ١٩٢٤ قائلاً: «إن إنكار العجزات النبوية يتضمن إنكار النبوة فتشتد الحماقة وتتضاعف فيمن يؤمن بالأنبياء وينكر معجزاتهم ويصورونهم كأنهم لا يتأتون عن الناس إلا بما يمتاز به العظماء».

ثم يشير شيخ الإسلام - رحمه الله، إلى جريدة الصحافة المصرية التي فتحت الباب أمام هؤلاء المتشككين في النبوة والمنكرين للسنة فيقول: «تفكرروا في كون صحافة مصر المنحرفة عن الثقافة الإسلامية إلى الثقافة الغربية لا تزال تشيد بن يقول بهذا، ثم تفكروا في إنكار الأستاذ فريد وجدي لمعجزات النبي جهاراً نهاراً على صفحات الأهرام أثناء مناقشته إياي، تلك المناقشة التي استمرت أيامًا، ثم تعينه بعد انتهائها مديرًا ورئيسًا لتحرير مجلة الأزهر المسماة يومئذ «نور الإسلام».

ونجح فريد وجدي حقيقة، أن يجعل من نور الإسلام منبراً خاصاً لأفكاره الشاذة نحو النبي الأمين وسيرته العطرة ومعجزاته القرآنية والتواترة بالحديث، بباركة شديدة من فضيلة الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر حينذاك، فانبأ فترجم أفكارهم الشاذة حول النبي الإسلام وحول النبوة ومعجزاتها في سلسلة مقالات بعنوان «السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة» فيقول في (ج ٧/ ١١م):

■ «تمتاز العصور النبوية بالخوارق للنوميس الطبيعية، فأساطير الأديان ملأى بذكر حوادث من هذا القبيل كان لها أقوى تأثير في حمل الشعوب التي شهدتها على الإذعان للمرسلين الذين حدثت على أيديهم».

■ وسريراً يكشف فريد وجدي عن وجهه في سفور وقع فيقول مستطرداً: «وقد حدثت أمور من هذا القبيل في العصر المحمدي «صاحبـ

الدعوة في جميع أدوارها، وكانت أعظم شأناً وأجلّ أثراً من كل ما سبق من نوعها».

□ وفي جرأة منقطعة النظير، يؤكد في تحدّ وعندما ذهب إليه من بطلان وضلال فيقول: «ولست أقصد بها ما تناقله الناس من شق الصدر وتظليل الغمامات وانشقاق القمر وما إليها، مما لا يمكن إثباته بدليل محسوس، وما يتّأطى توجيهه إلى غير ما فهِم منه، ولكن أقصد تلك الانقلابات الأدبية والاجتماعية التي تمت على يد محمد عاصي الله في أقل من ربع قرن، وقد أعزت أمثالها في الأمم، القرون العديدة والأمadas الطويلة».

□ ونخلص إلى أن فريد وجدي يريد أن يقول بإنكار المعجزة، ومن ثم بإنكار النبوة، خاصة أن النبوة نفسها من الأمور الغيبية التي هي اتصال خاص بين النبي وربه، ليصل إلى الغاية الشيطانية التي رضعها من الفكر الإبليسي أنه لا أنبياء على الإطلاق، إنما هم مصلحون اجتماعيون وحسب، وهو نفس ما ذهب إليه فرح أنطون منشئ مجلة «الجامعة» في مناقشة له مع الشيخ محمد عبده فقال:

- الدين هو الإيمان بخالق غير منظور، وأخره غير منظورة، ومعجزة ووحي ونبوة وبعث وحشر وسؤال وحساب وثواب وعذاب في الجنة والنار، وكلها غير محسوسة ولا معقوله، ولهذا كان العقلاء في كل ملة ينادون بإبعاد العقل عن الدين».

ولا تعليق لنا على الصليبي فرح أنطون أفضل مما كتبه، ليشهد على منكري السنة ويفضح مصادر فكرهم وتبعه إنكارهم<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) المصدر السابق ص(٢٩ - ٣٠).

\* الشيخ أبو زيد الدمنهوري صاحب كتاب «الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن»:

وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبرى في المحيط العلمي وثورة ساخطة من شيوخ الأزهر على مؤلفه وانتهى الأمر بمصادرة الكتاب والحكم على صاحبه بالزيف والضلal<sup>(١)</sup> ، ويتلخص قول هذا الضال المضل في السنة أنها نكبة على المسلمين وعلى دين الله عز وجل وهو يتمنى إحرارها وإعدامها من الوجود وتكون نقطة بداية التحرير من صحيح البخاري فمسلم في رتاح الناس من شرّ ما فيهما، وأنكر هذا الرجل نبوة آدم.

\* القرآنيون منكرو السنة بالهند وباقستان وتصدي شيخ الإسلام أبي

الوفاء ثناء الله الأمورتسي لدجالهم غلام أحمد القادياني:

قد كان لاعاجم شبه القارة الهندية النصيب الأكبر في ردّ السنة، وبدأ ذلك على يد رجل هو السير السيد خان (ت: ١٨٩٨م). ذكره أحمد أمين في كتابه المعروف «زعماء الإصلاح في العصر الحديث»<sup>(٢)</sup> وقال عنه: «هو في الهند أشبه شيء بالشيخ محمد عبده في مصر، والرجل له اتجاهات إلحادية منحرفة ومع هذا يعتبر رائد النهضة التعليمية المعاصرة في أوساط المسلمين في القاهرة الهندية فقد أنشأ «جامعة على كره الإسلامية» فله في ذلك فضل يذكر.

□ أما انحرافاته فكثيرة منها:

- أن المراج عنده عبارة عن سير النبي ﷺ في المنام.

(١) «الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم» للدكتور محمد حسين النهبي ص(٩٤)، و«منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٧٣٦).

(٢) ص(١٢١)، وما بعدها - طبعة ١٩٤٨م.

- المراد بالملائكة والشياطين هو: الأخلاق الجليلة، والأخلاق الرذيلة.
- الجنة والنار عبارة عن أمر روحي.
- الاعتقاد بالبعث والنشور، والحساب والميزان، وما في النار من ألوان العذاب، وما في الجنة من أنواع النعيم من عقائد الناس البسطاء السذج.
- وأما عذاب القبر وعلامات القيامة - مثلاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، ونزول المسيح - عليه السلام - وغيرها من الأمور ليست عنده من الحقيقة في شيء<sup>(١)</sup>.

□ ومنهم «المرزا غلام أحمد القادياني» المتبنّى الكذاب. وكان مواليًّا للحكم الإنجليزي، فأفتي بعدم جواز القتال ضد الاستعمار، وأنكر الجهاد بالسيف، وطعن في الأحاديث الواردة في فضله. هذا وأنكر نزول عيسى - عليه السلام - في آخر الزمان، وحرّف الأحاديث الواردة في هذا الأمر عن معناها العربي؛ لأنها كانت تقف في إثبات مسيحيته، ثم انتهى به الأمر إلى أدعائه للنبوة، وأنكر الأحاديث التي كانت تفنّد دعواه الباطلة وتكشف عن سخافتها وهرائها.

□ وهذا الأفيوني الخمار تطاول على نبي الله آدم ونبي الله نوح وأهان نبي الله عيسى، وفضل نفسه على يوسف الصديق، وأهان جميع أنبياء الله ورسله وفضل نفسه عليهم.

فناقشه العلماء، وعيثًا حاولوا إصلاحه وإرجاعه إلى الإسلام، وحينما رأوا إصراره وصموده على الكفر والارتداد، ودعوى النبوة، نازلوه وناظروه، وأظهروا كذبه، وبطلان دعواه، وبعد إتمام الحجة أفتوا بالإجماع على كفره

(١) مقدمة كتاب موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد ص(٦، ٧).

ودجله، فكان على رأس هؤلاء العلماء الشيخ الجليل العلامة - شيخ الإسلام - ثناء الله الأمترسي صاحب التصانيف الرائعة الكثيرة في الدفاع عن الإسلام ضد «الهندوسية» و«النصرانية» و«القاديانية» وطائفه «منكري الحديث» وهو مناظر الإسلام، ومحامي المسلمين في القارة الهندية، فقد جرى بينه وبين الغلام القادياني عدة مناظرات ومناقشات تحريرية، وتقريرية، ودوماً كان الانتصار حليفاً للرجل الإلهي وبطل الإسلام، فاستشاط من ذلك المتني القادياني غضباً، وأصدر نشرة سنة ١٩٠٧ م بتاريخ ١٥ إبريل بالضبط وكتب فيها ما يلي: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَحْمَدُهُ وَنُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، يَسْتَلُونَكَ أَحْقَنْ هُوَ قَلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقٍّ إِلَى خَدْمَةِ الْأَسْتَاذِ ثَنَاءِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى».

من زمان وأنا أكذب وأفسل في مجلتكم «أهل حديث» (اسم المجلة) ودائماً تسموني في مجلتكم هذه ملعوناً كذاباً، ودجالاً ومفسداً، وتشهرنى في العالم بأنى مفترى كذاب دجال، وأفترى في دعوای المسيحية، فأنا تاذيت منك كثيراً، وصبرت ولكنى لما رأيت نفسي بأنى مأمور لنشر الحق وأنت تمنع العالم من التوجه إلى بسبب افتراءتك علي.. فأدعوا إن أنا كذاب ومفترى كما تذكروني في مجلتك، فأهلك في حياتك لأنى أعلم أن عمر الكذاب والمفسد لا يكون طويلاً، بل هو يموت خائباً في حياة أشد أعدائه بالذلة والهوان، وتكون في موته منفعة لعباد الله حيث لا يضلهم، فإن لم أكن كذاباً ومفترياً بل أكون متشرقاً بخاطبة الله والمكالمة معه، وأكون مسيحاً موعوداً، فأدعوا أن لا تنجو من عاقبة المكذبين حسب سنة الله.

فأعلن إن لم تمت في حياتي بعقاب الله الذي لا يكون إلا من عند الله محضاً مثل أن تموت بمرض الطاعون أو الكولييرا فلا أكون مرسلاً من الله تعالى، وهذا لا أقول نبوءة بل طلبت القضاء الفيصل من الله تبارك وتعالى،

وأدعوا الله، يا مولى البصير، القدير، العليم الخبير، يا عالم أسرار القلوب، إن أنا كاذب ومفسد في نظرك، وأفترى عليك ليلاً ونهاراً يا الله فأهلكني في حياة الأستاذ ثناء الله، وسره وجماعته بموتى - آمين - وبما الله إن أنا صادق، وثناء الله على باطل، وكذاب في التهم التي يلصقها بي، فأهلكه يا رب العالمين في حياتي بالأمراض المهلكة مثل الطاعون أو الكولييرا أو غيره من الأمراض، آمين.

يا رب أنا أوذيت وصبرت، ولكنني أرى الآن أنه قد تجاوز الحد، وأنه يظنني أفسق من السارقين والغاصبين الذين يضررون العالم، ويحسبني أرذل خلق الله، وقد شهרתי في البلدان النائية بأنني في الحقيقة مفسد ونهاب، وطماع وكذاب، ومفتري وخبيث، وإن لم يكن لهذه الكلمات صدى كنت صبرت عليها، ولكنني أرى أن ثناء الله يريد بهذه التهم أن يفني دعوتي ويهدم عماراتي التي بنيتها أنت يا ربى ويا من أرسلتني، ولذا أتجئ إليك يا الله آخذاً بذيل رحمتك وتقدسك فاقض بيني وبين ثناء الله بالحق، وأهلك الكذاب والمفسد في حياة الصادق، أو ابتليه في آفة تكون مثل الموت، فافعل هكذا يا ربى الحبيب - آمين ثم آمين - ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

وأخيراً أرجو من الأستاذ ثناء الله أن ينشر هذه النشرة في مجده، ثم يعلق عليها ما يشاء، فالقضاء الآن بيد الله». الرقم: عبدالله الصمد غلام أحمد المسيح الموعود عفاه الله وأيده» (إعلان الغلام القادياني المنشور بتاريخ ١٥ إبريل ١٩٠٧ المندرج في «تبليغ رسالت» (١٢٠/١٠)، مجموعة إعلانات الغلام المرتبة من قاسم القادياني).

وفعلاً قبلت دعوته هذه، وقضى الله بينه وبين ثناء الله بالحق، وبعد ثلاثة عشر شهراً وعشرة أيام بالضبط جاءه قضاء الله وقدره بصورة بشعة كان

يتمناها للشيخ الجليل ثناء الله، نعم بنفس الصورة وبنفس المرض الذي نص عليه هو؟ بالكوليرا، وإليك بيانيه، يكتب ابن الغلام القادياني، وزعيم القاديانية «بشير أحمد» في سيرته: «أخبرتني أمي أن حضرته (أى الغلام) احتاج إلى بيت الخلاء بعد الطعام مباشرة، ثم نام قليلاً، وبعد ذلك احتاج مرة أخرى إلى بيت الخلاء فذهب مرة أو مرتين إليها بدون أن يُشعرني، ثم أيقظني، فرأيت أنه قد ضعف جداً وما استطاع الذهاب إلى سريره فلذا جلس على سريري أنا، فبدأت أمسحه وأمسجه، وبعد قليل أحس الحاجة مرة أخرى، ولكن الآن ما استطاع الذهاب إلى بيت الخلاء فلذا قضاها عند السرير واضطجع قليلاً بعد القضاء، ولكن الضعف بلغ متنه فجاءته الحاجة مرة أخرى فقضتها ثم جاءه القيء وبعدما فرغ من القيء خرّ على ظهره وأصطدم رأسه بخشب السرير وتغيرت حالته» («سيرة المهدى» ص(١٠٩) لـ بشير أحمد بن الغلام).

□ وكتب رحيمه (أبو زوجه) «الليلة التي مرضها حضرته (الغلام) كنت نائماً في غرفتي، ولما اشتد مرضه أيقظوني فذهبت إلى حضرته ورأيت ما يُعانيه من الألم فخاطبني قائلاً: أصبت بالكوليرا، «ثم لم ينطق بعد هذا بكلمة صريحة حتى مات اليوم الثاني بعد العاشرة من الصباح» («حياة ناصر» رحيم الغلام القادياني ص(١٤)).

هذا وقد نشرت الجرائد الهندية آنذاك «أن غلام أحمد المتتبى القادياني لما ابتلى بالكوليرا كانت النجاسة تخرج من فمه قبل الموت».

فمات وكان ثناء الله حياً وبقي حياً بعد موته قريباً من أربعين سنة يهدم بنية القاديانية ويقمع جذورهم، وهكذا كذب الله الكذاب حتى وإلى آخر لحظة من حياته، وعذبه في الدنيا وعذاب الآخرة أشد وأقوى، ولقد صدق الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِي إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾

وَمَنْ قَالَ سَأَنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ  
وَالْمَلَائِكَةُ بَاسْطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ  
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ [الأنعام: ٩٣].<sup>(١)</sup>

■ وقبل القاديانيي كان جراغ علي ينكر الحجاب، وقال إن النبي ﷺ لم يأمر زوجاته بالحجاب ولا منعهن منه!!!

■ وفي عام ١٩٠٢م ظهر غلام نبي عبدالله جكرااوي مؤسس الحركة القرآنية أو جماعة أهل الذكر والقرآن، وأنكر هذا الرجل السنة مطلقاً.

■ ثم كان أوسخهم «غلام أحمد برويز» رئيس جمعية «أهل القرآن» ورئيس منكري السنة في باكستان، تسلم قياد هذه الفتنة، ونظم جهود منكري السنة، وقام بجهد متواصل في هدم بنائها، ونشر كتاباً كثيرة في إنكار الحديث، وأصدر مجلة «طلع الإسلام» الناطقة باسم الجمعية، ونادي بالاكتفاء بالقرآن وحده لا يوجد شيء اسمه سنة، وألف كتاباً عن نظرية داروين التي يذهب فيها إلى تكذيب القرآن.

وبالتعاون مع زميله أسلم جيرا جبوري أصدرًا مجلة «فجر الإسلام» عام ١٩٥٧م لتكون لسان حال جماعة القرآنيين في الهند لأول مرة.

وعلى خطى أحمد أمين، المفكر والأديب والكاتب المصري، أعاد غلام أحمد برويز ترتيب موضوعاته وأصدر ثلاثة «معارف الإسلام» وجعل لها عناوينًا جريدة؛ فجر الإسلام عام ١٩٥٨م، ثم ضحى الإسلام عام ١٩٥٩م، ثم ظهر الإسلام عام ١٩٦٠م، وبعدها نشر كتابه الضخم الذي أصبح سفراً من أسفار منكري السنة في مصر وهو «لغة القرآن» في أربعة مجلدات عام ١٩٦١م.

(١) «القاديانية لإحسان الهي ظهير» ص(١٥٤ - ١٥٩) - إدارة ترجمان السنة.

## رياض الجنة في الرد

ولقد قال هذا الضال الفاجر أن تعين الجزئيات في العبادات مثل الركوع والسجود.. إلخ تردد إلى مركز الأمة «أي يحددها الحاكم».

□ قال الدكتور محمد مصطفى الأعظمي: «إن منكري السنة قد يبدأ وحديثاً - ما عدا أهل القرآن - كانوا يأخذون السنة العملية المتواترة، كالصلة وهيئاتها، وركعاتها، والزكاة والحج وما شاكل ذلك من الأمور التي تناقلها المسلمون جيلاً بعد جيل نقلًا عمليًا».

ولكن ذهب «أهل القرآن» إلى أبعد من ذلك، فأنكروا حتى هذا الجزء المتواتر العملي من الإسلام»<sup>(١)</sup>.

□ ففافقوا جميع منكري الحديث، وصدق عليهم قول الشاعر:  
كبهيمة عميماء قاد زمامها أعمى على عوج الطريق الحائر  
وانظر إلى هذا التواطؤ الخسيس والخيوط الخفية بين منكري السنة في  
الهند ومصر فاحمد أمين يبني على السير أحمد خان مرزا ويقول عنه أنه في  
الهند كالشيخ محمد عبده في مصر، وينشر أحمد خان مرزا من خلال مجلته  
الداعية لإنكار السنة - حلقات متتابعة من كتاب «تحرير المرأة» لقاسم أمين.

ومثلما وضع حسرت موهاني ونيار فتحبورى أسس الضلال وأصدرها  
مجلة تحمل اسم «إنكار» في الهند، وضع صبحي منصور يده في برج فرج  
فوده وأصدر مجلة تحمل اسم «التنوير» في مصر وطعن المجلتان في  
العقيدة، وأثارتا الشبهات حول الوحي والقرآن وحجية الأحاديث النبوية  
وخطّتا من أهمية الفقه الإسلامي في حياة المسلمين.

وكانت جماعتا القاديانية والأحمدية بأمريكا على اتصال دائم بمركز  
توسان حيث يقع مسيلة الكذاب مدعى النبوة رشاد خليفة بمسجد توسان.

---

(١) «دراسات في الحديث» للدكتور محمد مصطفى الأعظمي ص (٣٢ - ٣٣).

\* صبحي منصور الدجال منكر السنة نائب مسيلمة الكذاب بتوسان والمروج لنبوته الكاذبة وتصدي فضيلة الشيخ الدكتور سعد ظلام له وفضحه إيه :

من مدينة كفر الزيات خرج علينا مسيلمة الكذاب رشاد خليفة المولود في ١٩٣٥/١١/١٨ تخرج مهندساً زراعياً وعمل بالهيئة العامة للإصلاح الزراعي في ١٩٥٧م وصدرت ضده الجزاءات، ومع هذا حصل على بعثة علمية لدراسة الدكتوراه في أمريكا ١٩٥٩/٨/٣٠، وعاد الخائن ومعه زوجه الأمريكية السافرة ثم سافر إلى ليبيا ومنها إلى أمريكا وبعد أشهر معدودة أصبح رشاد خليفة خبيراً بالأمم المتحدة ثم إماماً لمسجد مدينة توسان ومئات الآلوف من الدولارات.

□ ومن قرية حرizz مركز صقر بمحافظة الشرقية جاء صبحي منصور وانضم في بداية أمره إلى الطريقة الرفاعية والتحق بالأزهر، وأصبح أستاداً مساعدًا بكلية اللغة العربية ولفت الأنظار إليه بما يطرحه من آراء مخالفة لِإجماع المسلمين، ليس بعده للصوفية فحسب، إنما بعده للسنة النبوية.

والتقى برشاد خليفة، ووُجِدَ كل منهما ضالته في الآخر فرشاد يملأ السلطان والمال بالدولار، ويسكن بلاد اللحم الأبيض والحاшиб الذي يُحْصِنُ كلمات القرآن وحرفه وأياته في لمح البصر، وينبئك على الفور عمّا إن كنت تصلح نبياً أو مساعد نبي وراح صبحي منصور داخل الأزهر يبعث بعقول خير شباب الأمة، وينكر السنة وينال من عصمة الأنبياء وسيء إلى الصحابة، ويُحَقِّرُ من شأن رواه الأحاديث النبوية، حتى فُضح أمره عام ١٩٨٢م، وشكى الطلاب إلى أساتذتهم، وتم جمع كتبه، فحاول أن يُقدم استقالته إلا أن الأزهر أصدر قراراً بفصله.

□ لفظ الأزهر صبحي منصور، ولكن أيد خفيّة حافظت له على المسجد الذي يخطب فيه، بل إن مساجداً جديدة فتحت له أبوابها في الجيزة والقاهرة، وفي مسجد إسماعيل منصور صاحب كتاب إنكار عذاب القبر (٨٠ جنية للنسخة) ومقالات إنكار حجاب المرأة.

وهاجر صبحي إلى الشيطان رشاد خليفة، وذهب إلى أمريكا.

□ وفي إحدى الصحف المصرية، كتب الدكتور سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية الذي حمل العبء الأكبر في التصدي لهذا المنكر لسنة خاتم الأنبياء، يوضح حقيقته ويفضح باطله، ويشرك أهل العلم والتخصص فيما اتخذ ضده من إجراءات موّضحاً عقيدة الأزهر الشريف في الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، ومؤكداً على شهادة التوحيد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وعلى الصلاة والزكاة والصوم والحج كما وردت في الصحيح ومذاهب الأئمة الأعلام، ومبشراً المسلمين بسفر صبحي منصور إلى خارج البلاد.

□ ولم تمض أيام معدودة حتى انهال سيل الخطابات من رشاد خليفة من أمريكا، حيث استقبل البطل المجاهد صبحي منصور هناك!! يكتبون إلى الدكتور ظلام، وهم في حالة هذيان ترثّح رءوسهم في كل اتجاه، وتقيّدوا كل ما في بطونهم ضد العميد وكليته وأزهره والمسلمين في أنحاء مصر بلا استثناء، فيكتب قبل أن يُعلن النبوة بخمسة أشهر فقط أول رسائله:

□ في ٤/١/١٩٨٨ م كتب يقول: لقد اخترتم أنتم وأربابكم تكذيب الله سبحانه وتعالى عما يصفون، وقررتم وجود مصدر إبليسية - يقصد السنة - أخرى إلى جانب كلام الله.

□ وفي ٩/١/١٩٨٨ م كتب يقول: لقد وفق الله الدكتور صبحي إلى كشف الانحرافات التي جعلت إسلام اليوم مختلفاً تماماً عن الإسلام الذي دعا إليه خاتم الأنبياء (ذلك قبل أن يدعى النبوة).

□ ثم في خطاب بتاريخ ١٩٨٨/١/٢٦ م وصفه الدكتور طه حبيشي في كتابة «مسيلمة في مسجد توسان» بأنه خطاب هابط الأسلوب نازل المعاني أشبه ببعث الصبيان، قال فيه رشاد: «لعلك استلمت عدد فبراير من مجلتنا «الإسلام الحقيقى» ولعلك قرأت أول مقالة يكتبها د. صبحي اسمًا على مسمى منصور في أرض الحرية التي من الله علينا بها.

ثم يشير إلى ما بذله الحكومة الأمريكية من تقديم التسهيلات وتذليل العقبات أمام صبحي منصور حتى وصل سالمًا إلى أمريكا أرض الحرية والعزة والفخار، هاربًا من أرض أزهر الشيطان والقهر والفقير والانحطاط، حيث وافق الكونجرس الأمريكي على طلب رشاد خليفة باعتبار صبحي لاجئاً سياسياً، والرواية على لسان صبحي نفسه.

□ وفوجئ الرأي العام المصري بأحمد بهاء الدين يكتب في صحيفة أخبار اليوم ١٩٨٨/٤/١٧ قائلاً: أحب أن أنبه الأزهر والمؤسسات الإسلامية إلى نشرة باللغة الخطورة والغرابة، تلقيتها بالبريد من ولاية أريزونا الأمريكية تقول: «الأزهر منكر القرآن يقود مصر إلى الهلاك، وأنه يوصي الله ورسوله بابتداع العصمة للأنبياء والشفاعة لغير الله متمسكاً بالبدع الإبليسية المسمة بال الحديث والسنّة، تلك أولى غرائب هذه النشرة، ثانية غرائبه أنها تصدر عن جمعية إسلامية تملك من وسائل التكنولوجيا الشيء الكثير، فهي تتبع شرائط الفيديو والكاميرات في جميع الموضوعات، والأسماء السائدة في النشرة تأليفًا وإخراجًا وخطبة كانت للدكتورين: رشاد خليفة وصبحي منصور وبعض الأسماء المسيحية الأمريكية التي كانت مسلمة من قبل !!

وتقول النشرة (وما زال الكلام لأحمد بهاء الدين في صحيفة الأخبار): إن الخالق يعلمنا أن نتيجة رفض كلامه وتکذيب آياته كما فعل الأزهر وأتباعه هي الهلاك وحتمية جفاف النيل ووقوع الكوارث، لأن أحسن البلاء هو ممارسة

الأزهر للقهر الفكري .

□ وفي اليوم التالي ١٩٨٨/٤/١٨ يواصل أحمد بهاء الدين تعليقه على نشرة مسجد توسان فيقول: إن الملحوظات التي تستوقف النظر ونضيفها، أنها تبدو مولدة توبيلاً جيداً خصوصاً بإنتاجها التلفزيوني ، والكثير مما سجلته على أشرطه فيديو للبيع ، والإسلام الوحيد الذي يقابله تعريف واضح هو الدكتور صبحي منصور المحاضر في جامعة أريزونا ، والمتشر في الصحافة والإذاعة والتلفزيون عن القهر الفكري الأزهري .

□ «في فبراير ١٩٨٨ عرضت النشرة الشهرية لمسجدضرار والضلال في توسان بأريزونا مقالاً لصبحي منصور بعنوان «الأزهر يكفر بالقرآن» ردًا على مقال نشر بمجلة منبر الإسلام لسان حال وزارة الأوقاف المصرية في عددها «يناير ١٩٨٨» قال فيه: «يقول جهلاء الأزهر أنه من المعلوم أن القرآن جاء دستوراً، ومن شأن الدساتير أن تكون مجملة في حاجة إلى تفصيل، لكن المشكلة الأزلية، للأزهر أنه مسجد سيئ الاستخدام «مسجد ضرار» يقوم على حماية التراث البشري «يقصد السنة النبوية» الذي يناقش القرآن ويتهم كتاب الله بأنه غامض يحتاج إلى توضيح وأنه ناقص يحتاج إلى تفصيل، ومن الواضح أن الأزهريين لا يؤمنون ولا يعلمون ولا يذكرون، بعدما أعماهم الله عن القرآن الكريم، ولقد أدت الأكنة على قلوبهم والوقر في آذانهم إلى تكذيب رب العزة في تقريره أن القرآن كامل وتمام ومفصل».

□ وفي ذيل المقال تعليقاً لنبي الزور رشاد خليفة يقول فيه: «كما هو مدحوم بالوثيقة في الصفحة السابقة فإن الأزهر يرفض التأكيدات المتكررة للقرآن بأنه كامل وتمام ومفصل تماماً.

إن الأزهر يأخذ موقفاً رسمياً من أن القرآن ليس كاملاً، ومن ثم فإن الأزهر يعزز تلك البدع الشيطانية مثل الحديث والسنة، وإن أي مسلم يتلك

أقلَّ قدرَ من التفكير والبداهة يُستطيع أن يرى الأزهر لا يحترم إرادةَ الرب، وإنما يحترم إرادة إبليس، وصحي منصور هو أول عالم أزهري يكتشف الحقيقة، ويقف في وجه السلطات في قلعة إبليس «الأزهر» ففي هذه السلسلة التاريخية من المقالات، يوضح منصور الطبيعة الحمدية للأزهر ودوره في تحويل المسلمين المخلصين إلى محدثين مؤلهين للوثنية<sup>(١)</sup>.

□ ومرة أخرى حلَّ صبحي منصور بهمه وغمَّه وضلاله على مصر وترك شيخه المزعوم بعد عام واحد فقط وقال صبحي عن رشاد خليفة أنه علا وتكبرَ بعدهما أصبح نبياً !!

عاد صبحي منصور يبث سمومه في المساجد إلى أن قُبض عليه بنفس التهم التي وجّهت إلى التشيع حسن شحاته من إثارة الفتنة والتعدى على صحابة رسول الله ﷺ والتشكيك في السنة النبوية المطهرة.

□ ولقد عرض رشاد خليفة على صبحي منصور النبوة فرفضها !! ثم لم يلبث أن ادعى النبوة لنفسه في مايو ١٩٨٨ ولم يخطر بياله هذا من قبل، هذا قول صبحي منصور أما رشاد خليفة فقال عن نفسه: أن الوحي قد هبط عليه وهو في سن الخامسة والأربعين أي في عام ١٩٨٠. ولقد قُتل هذا الدجال الكذاب.

□ هذا المهووس الدجال أطلق على الآيات التي لم تخضع للرقم (١٩) آيات شيطانية وهما الآياتان الأخيرتان من سورة التوبة وأنكرهما وقال: إنهمما أقحمتا على القرآن وليسَا منه. وقال اسمى جاء في القرآن ١٩ مرة ومثله اسم أبي.

وقال إن المسلمين عندهم عقيدة التثليث: «الإجماع والحديث والسنة»

(١) «شبهات وشطحات منكري السنة» ص (٦٧).

وهذا يتنافي مع القرآن وكفر البخاري، وقال: «جميع الأنبياء من قبل لم يؤتوا معاشر ما آتاني ربِّي، والأنبياء ثلاثة فقط هم: إبراهيم ومحمد وأنا»، ويقول: «ليس هناك نصاً قرآنياً يلزم زوجتي الأمريكية بتغطية شعرها ووجهها أو خلع البنطلون». وقال: «أخبرني جبريل الأسبوع الماضي أن كل من ينكر السنة لن يموت ولن يوضع في قبرٍ بل يدخل الجنة و مباشرةً، كما أخبرني من قبل أن من يؤمن بي لن يُسأل عما ارتكبه من ذنوب ومعاصي وفواحش قبل الأربعين».

□ ولقد أعدَّ صبحي منصور بخط يده رسالةً مدَّعى النبوة إلى العالم وكان العنوان «رسالة إلى العالم الجديد» جاء فيها:

«إن الله يحب أمريكا التي تأسست على حرية العقيدة، والتي تنفرد في كل بلاد الدنيا بأن تكتب على عملتها (الدولار) «نحن نؤمن بالله»، ولذا فإن أمريكا هي أحب الشعوب إلى الله؛ ولأن العالم القديم قد أرسل إليه العديد من الرسل، فقد حان أن تتلقى أمريكا بركة عظيمة «رسولاً من عند الله» يساعدهم ويهديهم ويحلَّ مشاكلهم المستعصية مع العقاقير والكحوليات والجريمة والفقر».

وكما جاء الأنبياء من قبل بمعجزاتهم، فإن رسول الله إلى العالم قد جاء بدليل مثبت بالكمبيوتر!!! والذين فحصوا البرهان جيداً توصلوا إلى قناعة مطلقة أنني رسول الله، وباعتباري مكلفاً من قبل الله مؤيداً ببرهان مادي لا يمكن أن يدحضه أي باحث شريف يتمثل في قانون رياضي هائل ضمن رسالة إلهية إلى العالم، وقد ذُكر اسمي «رشاد» في القرآن مرتين» اهـ.

□ وعند وقوع الخلاف بينه وبين صبحي منصور قال عنه صبحي منصور: «رشاد خليفة خليفة، هو الكاذب في كل نفس من أنفاسه، وقد ظل يكذب ويتحرّى الكذب حتى خالط الكذب كل خلية من خلايا لحمه وعظمه؛

لأن رشاد خليفة حين ادعى النبوة والرسالة كاننبياً للشيطان ورسولاً من إبليس» اهـ. نقاً عن «منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبدالله.

\* ومن أنكروا بعض الأحاديث المتواترة أو الصحيحة:

\* الشيخ محمد بخيت المطيعي: جوز تولى رجل غير مسلم سدة الخلافة العظمى بعد أن أنكر جميع ما ورد من السنة، وأول آيات الكتاب المخالفة لذلك تبريراً للحكم الإنجليزى آنذاك، ويعتبر هذا الاستبطاط مفخرة عظمى وتوفيقاً إلهياً لا يصل إليه إلا المخلصون من عباده<sup>(١)</sup> !!!.

\* وعلى درب الوالد سار الآباء :

وينشأ ناشئ الفتىـانـ منـاـ علىـ ماـ كـانـ عـوـدهـ أـبـوهـ

حسين أحمد أمين على درب والده، وللابن كتاب «دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين»، وهذا الكتاب أخذ جائزة أحسن كتاب في معرض القاهرة الدولي ١٩٨٤م وكله طعن في السنة، ويقول هذا الرجل: «ما كان أبي أحمد أمين يفرض علينا الصلاة».

وله فتوى عجيبة في حد السرقة فيقول: «لقد كان الاعتداء على الساري في الصحراء بسرقة ناقته بما تحمل من ماء وغذاء وخيمة وسلاح في مصاف قتله. لذلك كان من المهم للغاية أن تقرر الشريعة عقوبة جازمة رادعة باللغة الشدة لجريمة السرقة في مثل هذا المجتمع»<sup>(٢)</sup>.

□ وقال عن الحجاب «وهم صنعه الفرس والأتراك، وليس في القرآن نص يحرم سفور المرأة أو يعاقب عليه»، و«أن الرجال يتمسكون بالحجاب

(١) انظر «المثار» (٢٣٨/٩) عدد مارس ١٩٠٦م، ١٣٢٤هـ.

(٢) «دليل المسلم الحزين» لحسين أحمد أمين ص(١٤١) - طبعة مدبولي / نقاً عن إسلام آخر زمان: للأستاذ متذر الأسعد ص(٨٤) - دار المراجـاجـ ١٤١١هـ.

## رياض الجنة في الرد

ليستبدوا بالمرأة، فينفّسوا عن قهرهم سياسياً واجتماعياً»<sup>(١)</sup>.

□ وأتى عبدالله عنان فأنكر أحاديث المهدى المتظر والمسيح وكتب تحت غنوان «أساطير دينية عماد حوادث كبرى في التاريخ»: «لم تزدهر هذه الأساطير من الوجهة العلمية قدر ازدهارها في الدول الإسلامية، وكانت أسطورة المهدى من بينها أقواها وأبعدها أثراً.. ومثل أسطورة المهدى المتظر أسطورة المسيح وهي ترجع إلى أصل يهودي ولها في الإسلام مكان أيضاً، بل تُمزج أحياناً بأسطورة المهدى فيقال: إن المسيح المتظر يظهر في أثر المهدى أو يظهر معه ويأتى به».

### \* وعلى الدرب سار الدكتور مصطفى محمود:

فأنكر شفاعة الرسول ﷺ وأنكر الرجم ورد الأحاديث منذ ربيع قرن من الزمان حين أفادتنا مجلة «صباح الخير» في العدد (١٠٩٣) بتاريخ ١٦/١٢/١٩٧٦ بوقوف الدكتور على فقه منكري السنة وتأييده لهم، فهو يسير على منوالهم. وصدق القائل: «إن الحي لا تؤمن عليه الفتنة فعليكم بالعتيق»<sup>(٢)</sup>.

### \* منكر السنة مصطفى كمال المهدوي صاحب كتاب «البيان بالقرآن»

#### وتصدي الشیوخ في لیبیا له:

هذا діجال المولود في الإسكندرية عام ١٩٣٤ لأب ليبي وعمل بالقضاء في لیبیا منذ عام ١٩٦٠ حتى أحيل للتقاعد على وظيفة مستشار عام ١٩٩٤ م أشار إلى إنكاره للسنة الدكتور طه حیشی ..

(١) « موقف القرآن من حجاب المرأة» لحسين أحمد أمين/ الأهالي القاهرة ٢٨/١١/١٩٨٤ عن كتاب «غزو من الداخل» ص(٥٥).

(٢) «السياسة الأسبوعية» ص(١٧) العدد ٩٥ بتاريخ ٣١/١٢/١٩٢٧ م.

كتب هذا الضال سلسلة مقالات في الصحف الليبية تحت عنوان «أفلا يتذرون القرآن» ثم نشرها في كتابه الذي يحمل فكره «البيان بالقرآن» وقام الشيوخ في ليبيا ضده وعلى رأسهم الشيخ المستشار القضائي علي ونيس أبو زغيبة الذي كان يقف على منبر مسجده كل جمعة ويصفه «بالجهول الظلوم السفهية المتسلط» ورد عليه الأديب عبدالكريم الوثاق بعنوان «محاكمة البيان بالقرآن» جمع فيه ما نُشر في الصحافة من هجوم ونقد ضد الكتاب.

□ يقول هذا المؤفون في إنكاره لحد الرجم للزانية المحصنة:

«إن لفظي الزاني والزانية جاء مُعرفين بالألف واللام بما يدل على ثبات الحال ودوامه في ممارسة الزنا، ولذا فلا ينطبق الحد الشرعي على الزاني والزانية إلا إذا كان ذلك عملاً مستمراً وثابتاً، أما الذي يزني مرة أو اثنين لشهوة أو نزوة أو غير ذلك فلا يُقام الحد عليه، أما المرأة فتحبس في بيتها حتى يتوفاها الموت أو يجعل الله لها سبيلاً». ولقد أطلق هذا الضال لفظ «أوصياء على الدين» بصفة الذم على أبي هريرة وابن عباس وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

□ ويقول: الإسلام قرآن وسنن الأنبياء جميئاً!! ليس قرآن وسنة، وحينما سُئل ماذا تقصد بسنن الأنبياء؟ قال: أن نصبر كصبر يعقوب.

□ وهو يقول إن الصلوات المفروضة خمس صلوات: «الصلوات الخمس حسب القرآن هي: فجر، وصبح، وظهر وعصر، وصلاة واحدة من دلوك الشمس إلى غسق الليل». ويقول: «الصلاه ركعتان - لجميع الصلوات من صلاة الصبح وحتى صلاة الدلوك». وكان يقول: «السنة ليست منهاجي، ولا أقبل غير منهج القرآن، ليس عندي غير القرآن ولا تلزمني بالسنة. والسنة نعرضها على القرآن».

□ ويقول عن «العمره» في كتابه ص(٩٤): «والعمره هي عمارة المسجد

الحرام وهي واجبة للمساجد جميعاً، وتكون بالبناء والترميم والفرش والإضاءة والمصاحف والصلوة فيها»!! أما الحج عنده فطوال ستة أشهر تقريباً.

□ يقول هذا المأفوون: «إن الله تبارك وتعالى حفظ لنا كتابه، وفيه الدين كله مفصل، وفيه السنة أيضاً، فيما تصف الآيات الكريمة خلق الرسول الكريم وأفعاله وأقواله فيجب أن نكتفي بذلك ونهجر ما سواه. إنه من الصعب أن نتأكد من أن الذي كتب صحيح البخاري هو البخاري نفسه. إن ما يُوصف بأنه سنة رسول الله عليه السلام من حيث كونها تكميلاً للقرآن أو تفصيلاً أو تفسيراً لهو مردود مرفوض بأيات القرآن.

ويقول عن الصلاة في كتابه «قراءة الفاتحة ليست شرطاً في الصلاة، وإنما تقرأ لأنها من القرآن. والفاتحة ليست هي السبع الثانية، والسبع الثانية هم العينان والشفتان والأذنان.. إثباتاً لبشرية النبي».

□ تسبيح المصلي في ركوع أو سجود وقول سمع الله لمن حمده كله باطل.

□ ليست هناك صلاة جهرية وأخرى غير جهرية، ولا تشهد أوسط أو أخير إذ تنتهي الصلاة بالسجود.

□ لا صلاة جمعة إنما المقصود بآية النداء هو قول الصلاة جامعة عند كل صلاة مفروضة في يوم الجمعة، إذ لا أذان للصلاة في بقية الأيام»<sup>(١)</sup>.

□ وفي فتوى له عن حكم أكل لحوم الكلاب قال: إن القرآن الكريم لم يرد فيه نص واحد يحرم على العموم أكل الكلاب الضالة والمستأنسة، ولذا فإن لحم الكلاب طعام شهي لمن يريدون أكله ولا إثم عليهم فيما يفعلون.

---

(١) « شبكات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبدالله ص(٧٩ - ٩٤) ملخصاً.

\* العقيد معمر محمد عبدالسلام أبو منيار القذافي وإنكاره للسنة وتصدي

العلماء له وعلى رأسهم شيخ الإسلام عبد العزيز بن باز - رحمه الله -:

«في ٣/٧/١٩٧٨م عُقدت في طرابلس «ليبيا» ندوة علمية حول متزلة السنة النبوية من القرآن الكريم شارك فيها عدد من مفكري البلاد الإسلامية، تحدث فيها الرئيس معمر القذافي، مُركّزاً على التناقضات التي ادعاهَا في الأحاديث النبوية التي تحتويها كتب الصحاح والسنن مستشهاداً بعده من النصوص الحديثة التي يتصور أن بينها تناقضًا ثم ختم حديثه قائلاً:

«إن في البخاري ومسلم أحاديث منسوبة إلى النبي ﷺ لا تتفق مع القرآن، وقد دُوّنت بعده بأكثر من مائة سنة، يرتفع فوقها علامه استفهم»، ثم يضيف: «إذن لنجمع كل ما قيل من حديث ونقارنه بالقرآن فالذي يتفق معه نعمل به، والذي لا يتفق معه لا نعمل به، ولا نقول: قال البخاري وقال مسلم فالقرآن معروف ومحفوظ ولا يختلف فيه المسلمون من جاكرتا إلى طنجة» بثت قنوات الإذاعة والتلفاز الليبية ونقلت على الهواء مباشرة هذه الكلمات القاسية على كل نفس تنتهي إلى عقيدة الإسلام، فكانت صدمة ألمحت كل ألسنة المسلمين في ليبيا الشقيقة، وهم يستمعون إلى رئيسهم في أطول حديث وأجرأ حديث سهر أمامه الشعب الليبي حتى الثانية من صباح اليوم التالي.

و قبل أن يُشرق شمس اليوم الجديد، كانت ليبيا ثلاثة أحزاب:

أولها: الحزب الذي صفق طويلاً سعيداً بما أسموه في صحفهم «بروتستانية» إسلامية جديدة.

وثانيها: الحزب الذي حبس غضبه في صدره مكلوماً، يضرب أهله كفأ في حسرة وألم قائلين: وإن سلمنا جدلاً أن هناك بعض الأحاديث النبوية

## رياض الجنة في الرد

المنسوبة كذبًا إلى النبي في كتب الحديث، فهل يجوز أن تتخذ ذلك تكاءً لهدم كل معتقدات المسلمين؟!

أما ثالث الأحزاب: فهم هؤلاء الذين التزموا الصمت، إما جهلاً بخطورة ما سمعوا، أو خوفاً من تبعه الغضب فيما لو عبروا عن مشاعرهم، أو تجاهلاً متعمداً<sup>(١)</sup>.

### \* وفريدة أخرى: ادعاء النبوة:

أعدت الكاتبة الإيطالية ميريللا بياتكو، كتاباً باللغة الفرنسية صدر عن شركة stoc في باريس وطبع في مطبع دار الشورى بيروت في ١٥/٢/١٩٧٤م تحت عنوان «القذافي رسول الصحراء».

وكان سؤال المؤلفة لعمر القذافي بهذه العبارة: يا رسول الله! أرجعيت الغنم؟ فأجاب العقيد: بل فلم يكن هناكنبي لم يفعل ذلك.

Envoyed. allah tuas donec etetre de moutons?

Qui etil yapas de prophete Qui ne laitete.

■ وجاء الرد «بيان من الرئاسة العامة للمجلس الأعلى للمساجد حول ما دار مع العقيد عمر القذافي حول إنكاره للسنة النبوية كمصدر للتشريع كما تناقلتها الصحف والأنباء»: على لسان الشيخ ابن باز - رحمه الله - «قام وفد من الأمانة العامة للمجلس المذكور برئاسة فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان عضو مجلس القضاء الأعلى بالملكة العربية السعودية وعضوية كل من فضيلة الشيخ أبي بكر محمود جومي كبير قضاة نيجيريا وعضو الرابطة ومجلس المساجد، وفضيلة الشيخ أحمد الحمانوي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر وعضو الرابطة ومجلس المساجد، وفضيلة الشيخ علي

(١) المصدر السابق ص(١١٨).

مختار الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى العالمي للمساجد بزيارة الجماهيرية الليبية بناءً على ما دار بين الأمانة والجماهيرية للبحث مع فخامة العقيد معمر القذافي حول ما تناقلته الصحف والأنباء من إنكاره للسنة النبوية أن تكون مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي.

وقد تم بالفعل اجتماع الوفد بفخامته في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر صفر ١٣٩٩هـ في مدينة بنى غازي بلبيباً وتبادل الجميع وجهات النظر، وبين الوفد لفخامته الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على عظيم منزلة السنة في الإسلام، وأنها الأصل الثاني في إثبات الأحكام وأن العلماء قد عنوا بها وعرفوا صحيحتها من سقيمها، ووضعوا لذلك قواعد وأصولاً يُعرف بها صحيح الأحاديث من ضعيفها، وأجمعوا على اعتماد ما صحت به الأحاديث فأظهر اقتناعه بأكثر ما قاله الوفد، وأوضح فخامته للوفد موقفه من الكتاب والسنة والحديث. وأنكر بشدة ما نسب إليه من أنه حذف كلمة «قل» من «قل هو الله أحد» أو أنه صلى العصر ركعتان حضراً، كما أوضح للوفد بأنه يعترف بالسنة الفعلية فقط كالصلاوة والحج أما الأحاديث القولية فإن ما يصح عنده منها يعمل به ووعد أنه سيعلن ذلك على الملأ.

هذا ملخص قرار الوفد وقد سرنا كثيراً رجوع فخامة العقيد إلى الصواب في الأخذ بالسنة الصحيحة، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة واجتماع أهل العلم على أن السنة الصحيحة القولية والفعلية والتقريرية أصل عظيم من أصول الإسلام، وهي الأصل الثاني في إثبات الأحكام الشرعية وبيان الحلال والحرام، وهي الوحي الثاني، كما أجمع العلماء أيضاً على أن من جحد كون السنة أصلاً معتبراً يرجع إليه في الأحكام، وزعم أنه يكتفي بالقرآن عنها فهو كافر مرتد عن الإسلام، وقد صنف في ذلك الحافظ السيوطي رسالة سماها «مفتاح الجنة في الاحتجاج

بالسنة» ذكر فيها الأدلة من الكتاب والسنّة والأثار على وجوب تعظيم السنّة والأخذ بها وأنها الأصل الثاني من أصول الإسلام، كما ذكر فيها إجماع العلماء على كفر من أنكر السنّة وزعم أنه لا يحتاج إلا بالقرآن، ولا شك أن من أنكر السنّة فقد أنكر القرآن وكذبه؛ لأن القرآن الكريم قد أمر في مواضع كثيرة بطاعة الرسول ﷺ واتباعه وعلق الرحمة والهدى ودخول الجنة والنجاة من النار على ذلك.

□ وقد كتبنا في هذا المقام مقالاً أبسط من هذا البيان ننشره قريباً إن شاء الله.

□ فالواجب على فخامة العقيد أن يعلن توبته إلى الله سبحانه من إنكاره ما أنكر من السنّة، وأن يعلن التزامه بما صح منها عند أهل العلم كأحاديث الصحيحين وغيرها مما صح عن رسول الله ﷺ قوله أو فعله أو تقريراً.

وهنا أمر عظيم يهم القراء والمسلمين يتعلق بفخامة العقيد، ويجب علينا التنبيه عليه وبيان حكمه، وهو أن الكاتبة الإيطالية (ميريلابيانكو) قد ذكرت في كتابها (القذافي رسول الصحراء) ص(٢٤١) عن فخامة العقيد ما يدل على أنه يدعى أنه رسول من رسول الله، وقد خاطبته في الصفحة المذكورة بقولها له: يا رسول الله أكنت راعي غنم؟ فأجابها بقوله: «بلى فلم يكن هناكنبي لم يفعل ذلك»، وهذا الجواب يقتضي إقراره لها على أنه رسول الله؛ لأنه لم ينكر عليها ولم يقل لست برسول، ومعلوم أن دعوى الرسالة أو النبوة بعد نبينا محمد ﷺ كفر أكبر وضلالة عظيم وردة عن الإسلام بإجماع المسلمين؛ لأن ذلك تكذيب لقول الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وتکذیب لما تواترت به الأحادیث عن رسول الله ﷺ الدالة على أنه خاتم

النبيين والمرسلين لانبي بعده ولا رسول، وقد قاتل الصحابة رضي الله عنه من ادعى النبوة بعده واعتبروه كافراً حلال الدم والمال كالأسود العنسي ومسيلمة الكذاب والمختار بن أبي عبيد الثقفي، وقد أجمع علماء الأمة إجماعاً قطعياً على أن نبينا محمدًا صلوات الله عليه وسلم هو خاتم النبيين والمرسلين لانبي بعده ولا رسول، وقد كفر العلماء في عصرنا وقبل عصرنا مرتزقاً غلام القادياني لما ادعى النبوة، وكفروا من صدقه في ذلك.

فالواجب على فخامة العقيد أن يُعلن في وسائل الإعلام تكذيبه لما زعمته هذه الإيطالية وأنه يبرأ إلى الله من ذلك إن كان ذلك لم يقع منه، فإن كان وقع منه فالواجب عليه إعلان التوبة النصوح من ذلك، ومن تاب تاب الله عليه، كما دلّ على ذلك كتاب الله المجيد وسنة رسوله الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم ومن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْلَّاعِنُونَ﴾ (١٥٩) ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيم﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠]. فيبين سبحانه أنه لا بدّ من إعلان التوبة وبيان ما كتم من الحق، وقال النبي صلوات الله عليه وسلم: «التوبة تهدم ما كان قبلها». والأيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ونسأل الله أن يهدينا وإياه سواء السبيل، وأن يمن علينا وعليه وعلى سائر المسلمين بالتوبة النصوح من جميع الذنوب إنه ولني ذلك وال قادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى الله وأصحابه وأتباعه يا حسان» انتهى رد فضيلة الشيخ ابن باز على القذافي <sup>(١)</sup>.

(١) مجلة البحوث الإسلامية - العدد الخامس محرم - جماد الثاني ١٤٠٠ هـ تحت عنوان «إيساحات وتنبيهات» لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ص(٢٦٢ - ٢٦٣)، ومجلة المجتمع الكويتية العدد ٣٩٣ ص(٢١)، وكتاب «السنة باعتبارها مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي» لمحمود صالح شريح ص(٣٥٣ - ٣٥٤). وهذه رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية بالجامعة بالمدينة المنورة.

فلله در ابن باز من مدافعي صلب عن الإسلام وعقيدة أهل السنة والجماعة من سلفنا الصالح.

### \* شطح وانفلات:

في يوم الاثنين ١٨ من ذي الحجة ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٧ من أكتوبر ١٩٨٠م صدرت جريدة أخبار العالم الإسلامي التي تصدرها «رابطة العالم الإسلامي» من مكة المكرمة، تحمل مانشيتاً رئيسياً «القذافي رأس حربة ضد الإسلام» أما الخمس عشرة صفحة التالية من الجريدة فكانت عبارة عن ملف صحفي عن إنكارهحجية السنة النبوية، وادعائه النبوة، وإنكاره تعدد الزوجات، وحجاب المرأة في القرآن، وإلغائه العمل بالتاريخ الهجري، وتأييده الاستعمار الروسي لأرض أفغانستان، ثم دعوته المسلمين في صباح عيد الأضحى من هذا العام إلى ترك الحج قائلاً: «فليعلم المسلمون في كل مكان من العالم أن مكة الآن، الكعبة الشريفة، بيت الله، وأن المدينة المنورة وقبر الرسول، وأن جبل عرفات المقدس تقع الآن تحت طائلة الاحتلال الأمريكي، فما معنى للحج هذا العام أو في الأعوام القادمة إذا استمر الاحتلال، إن المعنى الوحيد هو القتال والجهاد لتحرير بيت الله، ومن يمارس شعائر الحج متجاهلاً هذه الحقيقة إنما هو يمارس عبادة ساذجة ليست هي التي أرادها الله، والآن المسلمون يؤدون شعائر الحج تحت ظلال الطائرات الأمريكية<sup>(١)</sup>، وعندما يرثون رءوسهم إلى السماء وهم يدعون تسقط عليهم نفاثات وفضلات الطائرات الأمريكية ويعتقدون أنهم سيعودون وقد غفرت ذنوبهم وقضيت حواجهم، ولن تغفر الذنوب ولن تُقضى الحاجات إلا إذا تحول الحج إلى معركة، وتحول الدعاء للغفران إلى دعوة للجهاد والقتال»<sup>(٢)</sup>.

(١) أي صفقة طائرات التصنت.

(٢) « شبكات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبدالله - جريدة الأحرار ١١ =

ثم بعد هذا يدافع عنه د. محمد بن عبدالكريم الجزائري الليبي المولد والجنسية في كتابه «القذافي والمتقولون عليه»:-

فلتسمعن بكل أرض داعيَا  
يدعو إلى الكذاب أو لسجاح  
ولتشهدن بكل أرض فتنة  
فيها يُباعُ الدين بيع سماح  
يُفتى على ذهب المعز وسيفه  
وهوى النفوس وحقدها الملحم  
نعم انظر إلى طوام العقيد:

- يبيح التعدد من اليتيمات فقط !!

ويقول: «كل من يخرج على القرآن هو من الخوارج ولو كان مسلماً، وبذلك تنتهي مشكلة: هذا مسلم وهذا مسيحي»<sup>(١)</sup>.

□ يقول الدكتور جابر قميحة أستاذ الأدب العربي بكلية الألسن جامعة عين شمس عن المجموعات القصصية التي كتبها معمراً محمد عبدالسلام أبو منيار القذافي والتي أثني عليها حملة المباخر من جوقة النقاد المسبحين لهذا العمل الفذ، والتي هبت وسائل الإعلام المسموعة والمقرؤة والمринية بالجماهيرية الليبية ابتداءً من ديسمبر عام ١٩٩٣م تعلن في أوقات متواصلة طلوع نجم السياسي الكاتب العقيد القذافي من خلال هذه المجموعة القصصية.. يقول الدكتور جابر قميحة عن أدب العقيد في مجموعاته القصصية: «إن الأدب المقصود حرص فيه كاتبه أن يزرع في تضاعيفه أساليب سماها حواريه من النقاد «سخرية راقية»، وهي في الحقيقة إذا ما قدمنا مفارقة بين السخرية الأدبية والفنية، وبين التهريج، لأدرك القارئ بسهولة؛ أن ما قدمه القذافي الأديب يمثل تهريجاً في صورته الهابغة المبتذلة.

= جمادي الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٢ أغسطس ١٩٩٩ - الحلقة (١١).

(١) شبكات وشطحات منكري السنة» ص(١٢٦).

لأنه في بساطة قول، تهكم في قصصه الأدية هذه، بأسلوب سوقي على بعض صحابة رسول الله ﷺ، من أمثال خبيب بن عدي، وخالد بن الوليد، وأم أيمن، واستهزأ بعلماء السلف من أمثال ابن تيمية وأبي حامد الغزالى والحافظ ابن كثير، ونال من سيد قطب والبنا، إلى أن بلغ به الأمر إلى التهكم على أم المؤمنين زينب بنت خزيمة.

وحتى لا يظن ظان بنا سوء فالمجموعة القصصية يمكن الحصول عليها، والتهمك والاستهزء ليس فيه تورية مما قد يكون حملاً للتأنويل أو التجني على الكاتب، إنما كان الكاتب العقید واضحًا في ذلك تمام الوضوح<sup>(١)</sup>.

□ يقول القذافي في خطبة ١٢ ربيع الأول ١٣٨٧ (١٩٧٨/٢/١٩) عن النبي ﷺ نصاً بأنه «مجرد بوسطجي»، وقال بالنص في هذه الخطبة: «إن المسلمين ابتعدوا عن الدين الإسلامي وهم في طريقهم إلى النتيجة التي وصل إليها المسيحيون، ونحن الآن بدأنا عبادة الأصنام، وبالآخر في بدايته، فنحن نجسّم النبي حتى يحجب الله، ولو قلت لكم «رسول الله» لقلتم كلّكم «صلى الله عليه وآله وسلم» ولو قلت لكم: «الله»: لما تكلم أحد، وهذا نوع من الاستعباد والوثنية». وقال نصاً: «إن صلاتنا على النبي ﷺ تعني أننا نخافه أكثر من الله أو أننا نرى الرسول أقرب إلينا، مثل المسيحيين الذين قالوا: إن عيسى أقرب من الله»<sup>(٢)</sup>.

□ ويقول في خطابه هذا المطبع ص(١٤): «النبي لو كان يقول: اتبعوا حديثي، يعمل بدليل للقرآن، لكنه باستمرار كان يؤكد تمسكه بالقرآن فقط»!!

(١) المصدر السابق «شبهات وشطحات منكري السنة» ص(١٤٠) - انظر جريدة الأحرار ٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩/٨/٣١ - الحلقة (٢٠).

(٢) المصدر السابق ص(١٤٢، ١٤٣).

وص(١٦): «القرآن لم يرد فيه أن النبي قال عليكم أن تتبعوا كل الكلام الذي قلته وإنما فأين الكلام الذي قاله لمدة أربعين عاماً قبلبعثة»<sup>(١)</sup>.  
وقال ص(٢٣): «لو كان الحديث الذي يقوله الرسول يُعتد به أو يؤخذ كشريعة، لوجبأخذ كل كلامه حتى الذي قبل الرسالة».

وص(٢٦): «سنة النبي هي عمله، وليس كلامه، فهل النبي كان يسرق؟ طبعاً لا، هذه سنة من سنته، ومن أخلاقه أنه لا يكذب ولا يسرق، ويتصف بالأمانة والتزاهة، هذه هي السنة، أي أنها تصرف النبي وطريقته في ذلك، إذن كيف نأتي بعد ألفي سنة، ونقول إن الحديث هو السنة».

□ ويقول في قصته «الموت» محدداً جنس الموت فيقول عنه بأنه «أنثى، لأن أباها؛ - أبا معمر القذافي - استسلم له في النهاية، ولو كان ذكرًا لقاومه وانتصر عليه فيقول نصاً: «ولكني تأكدت أخير أنه أنثى لأن أبي استسلم لها يوم ١٩٨٥/٥/٨ ولم يحرك ساكناً لمقاومتها».

وفي مجموعته القصصية «الفرار والموت» التي تضم اثنا عشر عملاً «المدينة، عشبة الخلعة، ملعونة عائلة يعقوب - أفطروا لرؤيته - دعاء الجمعة الآخرة - وانتهت الجمعة دون دعاء - المسحراتي ظهراً - القرية القرية - الأرض الأرض - الفرار إلى جهنم - الموت...»

يقول في «دعاء الجمعة الآخرة» هازئاً بالكتب الشرعية: «فقه السنة في استعمال الشامبو والحننة» و«الكتناش في دخول الجنة ببلاش»، ويصف مؤلفات ابن تيمية الذي يقول عنه ساخراً «تيمية» بدلاً من ابن يقول عنها: «تشرح لكم حكمة الأكل بثلاث صوابع، والأكل وأنت متوكٌ، والأكل في قصة العود أو قصة الحديد».

(١) هو نفس كلام رشاد خليفة.

□ وفي عمله «وانتهت الجمعة بدون دعاء» يقول مستهزئاً متھكمًا من «أم أيمن» ظواهيرها والتي كان النبي ﷺ يناديها «يا أمي»، ويقول: «هذه بقية أهل بيتي»، يقول عنها: «أم أيمن كادت تموت عطشاً بين مكة والمدينة وهي صائمة، فنزل عليها حساء من شورية بالمعدنوس، ودلوا ماء معدني ماركة «أفيان» ولم تعطش طيلة عمرها بعد «أفيان»، ويقول عن خبيب بن عدي ثوابه: «وهل العنب الذي كان يسقط على خبيب بن عدي، وهو أسير عند المشركين في مكة، كان من كوكب الزهرة، أم من كوكب عطارد؟ لأن مكة لا عنب فيها». ويقول عن سيف الله خالد: «إن خالداً حاصر حصنًا منيعًا للروم، وطلب منهم التسليم فقالوا له: لا نسلم حتى تشرب السم، فشرب قدحين منه ولم يوجعه مصران واحد من مصارينه»<sup>(١)</sup> انتهى ولا تعلق.

\* دجال السودان حسن الترابي يرد السنة، وينحرف عن قواعد الدين

ويطعن في الصحابة وينكر حد الردة والرجم ويجد الفن ورقص الغرب !! من أراد أن يعرف ضلال هذا الرجل فلينظر إلى بعض أخطائه كما

يعددها فضيلة الدكتور جعفر شيخ إدريس:

- نظرته للسنة النبوية المطهرة.

- نظرته لصحابه رسول الله ﷺ.

- نظرته إلى فقهاء أمة الإسلام.

- نظرته إلى مجمع تاريخ المسلمين.

- إنكاره لبعض الحدود الشرعية.

(١) «شبهات وشطحات منكري السنة» ص(١٤٧، ١٤٨)، وجريدة الأحرار ٢١ جمادي الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩/٩/١ - الحلقة (٢١).

- آراؤه المتناثرة في الاجتهاد والمرأة والموسيقى.

و زد على ذلك نظرته أنه لا ضابط لتفسير القرآن إلا ما يملئه تجديد اللغة والاستحداث الاجتماعي والإعمال العقلي لفهم الدلالة دون آية قيود أو قوله.

وقد تصدت له جماعة أنصار السنة بالسودان بشيوخها من علماء الدعوة السلفية، وتصدى لها الدكتور عصام البشير وهو من قيادات العمل الإسلامي بالسودان وفي خطب الجمعة أعلن هذا الداعية الصادق بكل وضوح وعلى الملأ الحرب على فكر الترابي، وأهال كل تراب السودان على رأسه، وما تحويه من نظريات تجديدية.

#### \* آراؤه في العقيدة :

يذهب الرجل إلى قول ما سبقه إليه أحد وهو تجديد العقيدة فيقول: «لا بد إذن من تجديد الفكر العقدي الإسلامي في كل طور؛ لأن الشرك في كل عهد من العهود يتخذ مظهراً مختلفاً»<sup>(١)</sup>.

ويقول: «كذلك ينبغي لفقه العقيدة اليوم أن يستغني عن علم الكلام ويتجه إلى علم جديد غير معهود للسلف»<sup>(٢)</sup>.

ويقول: «لا تجد في مباحث العقيدة حديثاً عن الفن، كأن التوحيد يجمع الحياة كلها صلاتها ونسكها ومحياها ومماتها ويترك الفن ولكن الواقع أن مباحثنا العقدية الإسلامية مباحث فقيرة وليس مباحث توحيدية»<sup>(٣)</sup>.

(١) «تجديد الفكر الإسلامي» لحسن الترابي ص(٤٢) - الدار السعودية للنشر طبعة ٢ - ١٤٠٧هـ.

(٢) المصدر السابق ص(٤٤).

(٣) من محاضرة له ألقاها في الخرطوم و قوله هذا مسجل بصوته.

## رياض الجنة في الرد

● ويقول عن الرسول ﷺ : «ما برضه الرسول ﷺ لا يعلم الغيب ومرات مرات يقول أخبار تطلع غلط»<sup>(١)</sup>.

□ ويقول عن حديث الذبابة: «إنه أمر طبي آخذ فيه بقول الكافر ولا آخذ بقول الرسول ﷺ ولا أجد في ذلك حرجاً أبداً»<sup>(٢)</sup>.

□ ويقول في عصمة النبي ﷺ : «ولا إيه تقول في القرآن في العملوه الأنبياء دول والرسول ذاتو ليففر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر»، «ويتوب الله عليك» وكان الرسول يستغفر، يستغفر من إيه؟ من الصلاة؟ ها ها ها ها.

□ وهو ينكر نزول المسيح عليه السلام:

قال محمد سرور بن نايف «أنكر أستاذ الحقوق الدستورية في الجامعات السودانية الدكتور حسن عبدالله الترابي نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان، فقلت له في مجلس ضمّنا قبل أكثر من إحدى عشرة سنة، كيف تنكر حدثاً متواتراً؟ قال: أنا لا أناقش الحديث من حيث سنته وإنما أراه يتعارض مع العقل، ويُقدم العقل على النقل عند التعارض، وقال أيضاً: هناك أحاديث قالها الرسول ﷺ بصفته البشرية فهي ليست حجة رغم صحة أسانيدها وتوسيع في ذكر نماذج من هذه الأحاديث»<sup>(٣)</sup>.

□ ويقول في محاضرة له مسجلة بصوته «كل الصحابة عدول؟ ليه!!»<sup>(٤)</sup> أي لماذا؟!

(١) «الصارم المسلول على الترابي شاتم الرسول» لأحمد بن مالك جامعة أم درمان قسم الدراسات العليا.

(٢) نقاً عن محاضرة له بصوته.

(٣) «الصارم المسلول» ص(٦)، وكذلك قوله هذا مسجل بصوته في محاضرة له.

(٤) «دراسات في السيرة النبوية» لمحمد سرور بن نايف ص(٣٠٨) طبع دار الأرقام، وتاريخ =

□ ويقول عن تنظيمه الذي يترأسه في السودان مفضلاً له على مجتمع الصحابة: «يعني نحن هس ع<sup>(١)</sup> مثلاً تنظيم جماعة كالجماعة الإسلامية طبعاً أدق من تنظيم جمهور المسلمين في عهد الصحابة طلعوا لهم مجتمع (أي الصحابة) نحن مأخذين منه نفس الآيات ونفس الأحاديث، طلعنا مجتمع أدق وأكفاء وكده»<sup>(٢)</sup>.

□ ويقول في سخرية عن ابن عباس: «وابن عباس ده كم مره قال كلام كده، زرّوه<sup>(٣)</sup> ، الآخر كده قال: ما قال الرسول، في الحقيقة كلّمني الفضل ابن عباس»<sup>(٤)</sup>.

□ ويقول: «الصحابة، السيدة عائشة ما كانت تناقش الصحابة وتقول: كذبوا على رسول الله ﷺ»<sup>(٥)</sup>.

### \* إنكاره لبعض الحدود:

في محاضرة له بجامعة الخرطوم أجاز للمسلم أن يرتد عن دينه فقد قال: «وأود أن أقول إنه في إطار الدولة الواحدة والوعيد الواحد يجوز للمسلم كما يجوز للمسيحي أن يُبدل دينه»<sup>(٦)</sup>.

□ ويقول عن الحكم في الردة: «هو حكم اجتهادي في تقديرى وليس حكماً حدّياً»، وجوز هذا المأفون زواج المسلمة من الكاتبى نقل ذلك عنه

= كتابة المقال في شوال ١٤٠٦.

(١) الآن.

(٢) محاضرة مسجلة له.

(٣) أي: ضيقوا عليه حتى يبيّن الحقيقة.

(٤) من محاضرة له مسجلة.

(٥) «الصارم المسلول» ص(٨).

(٦) من محاضرة «تحكيم الشريعة» بجامعة الخرطوم نقاً عن «الصارم المسلول» ص(١٢).

## رياض الجنة في الرد

الدكتور محمود الطحان في كتابه «مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعية التجديد»، ويقول إن الشيخ السناني ظل يحاوره على مفهومه هذا الخاطئ طويلاً وما اقتنع وما عدل عن رأيه.

وهو ينكر حد الرجم بالنسبة للزاني المحسن<sup>(١)</sup>، أما حد شرب الخمر فيقول الترابي: «وكان العقوبات التي افترضناها (أي في لجنة تعديل القوانين) لشرب الخمر رقيقة لا تتعدي الجلد بين عشرين وأربعين ولا تتعدي السجن نحو شهر أو أكثر من ذلك بقليل وغرامة قليلة»<sup>(٢)</sup>.

□ ويقول هذا الضال في هذيانه بدعوى تجديد أصول الفقه: «لا بد أن نقف وقفة مع علم الأصول تصله الواقع الحياة؛ لأن قضايا الأصول في أدبنا الفقهي أصبحت تُؤخذ تجريدًا حتى غدت مقولات نظرية عقيمة لا تقاد تلduct فقهاً البتة، بل تولد جدلاً لا ينتهي».

□ وانظر إلى قوله في تجديد «الإجماع» وهو الأصل الثالث من أدلة الشرع بعد الكتاب والسنة وكما هو معلوم فإنه إجماع المجتهدين من الأمة لا إجماع الجهال.. يقول: «فيتمكن أن نرد إلى الجماعة المسلمة حقها الذي كان قد باشره عنها الفقهاء.. وهو سلطة الإجماع. ويمكن بذلك أن تتغير أصول الفقه والأحكام ويصير إجماع الأمة المسلمة أو الشعب المسلم، وتصبح أوامر الحكم كذلك أصلين من أصول الأحكام في الإسلام»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر «مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعية التجديد المعاصرين» للشيخ محمود الطحان ص(٣١) مكتبة دار التراث. وكتاب «الصارم المسلول» ص(١٢).

(٢) «الصارم المسلول» ص(١٢).

(٣) «تجديد أصول الفقه» للترابي ص(٧) الدار السعودية للنشر ط ١٤٠٤ هـ.

(٤) المصدر السابق ص(٥٨).

\* موقفه من الفن :

انظر إلى مدعى التجديد والمزكي لنفسه يقول نصاً: «كما قدر الله وأرسل محمد ﷺ وتلا (أي: تالياً) للأنبياء ليجدد رسالتهم، فبتوفيق من الله أرسلني لتجديد فقه محمد».

ويقول عن الفنانين: «قد يكون باب الجنة الذي يدخلون به، اسمه «باب الفنانين في الجنة»<sup>(١)</sup>.

وقال محذراً من إهمال الفن:

«فلا بد إذًا من اتخاذ الفن لعبادة الله، فمن تلقائه يضل كثير من الضالين وبه يمكن أن يهتدي المهددون، فمن أهمله ترك باباً واسعاً للفتنة الملهية عن الله والداعية إلى معاصيه، ومن أخذه بما ينبغي فتح باباً واسعاً للدعوة إلى الله بدفع جاذبية الجمال ولعبادته أجمل وجوه العبادة»<sup>(٢)</sup>.

وخذ آخر الطوام لهذا الضلال الذي يجعل للراقصين والراقصات والمطربين والمطربات ومثلثات الإغراء وعرايا الفن السابع باباً في الجنة باسمهم يقول عن «الرقص» جريدة «الصحافة» السودانية.

«الرقص تعبير جميل يصور معنى خاصاً بما تنطوي عليه النفس البشرية من شعور.. إلى أن يقول: «ولا ننكر أن في الغرب رقصاً يعبر عن معاني آخر كريمة»<sup>(٣)</sup>.

أخراك الله وليس بعد هذا إسفاف وابتذال وجنون.

(١) «الدين والفن» للترابي ص(٦١٠)، الدار السعودية للنشر ط ١٤٠٨هـ، ومحاضرة له - قوله هذا مسجل فيها بصوته.

(٢) «الدين والفن» ص(١١٠).

(٣) جريدة الصحافة الصادرة في الخرطوم ١٩٧٩/١١/١٥ نقلًا عن «الصارم المسلح» ص(١٢).

في ذمة العلماء هذا كله إن كان فيما بيننا علماءُ  
 \*روجيه جارودي من صنع الجهال حوله هالات النور وهو يهدم دين الله  
 من أساسه ويحطم الثواب والسنّة فيتصدى له شيخ الإسلام الفذُّ الشيخ  
 عبد العزيز بن باز :

حال هذه الأمة بعيداً عن العلم حين يسود الجهل وحملة الماخر وأتباع  
 كل ناعق من الهمج الرعاع يصوّره حديث رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى  
 لا يقبض العلم انتزاعاً يتزعّه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى  
 إذا لم يبق عالماً، اتّخذ الناس رؤساء جهالاً، فسألوا فأفتووا بغير علم، فضلوا  
 وأضلوا»<sup>(١)</sup>.

● وقال ﷺ : «إن الله لا ينزع العلم منكم بعد ما أعطيكموه انتزاعاً،  
 ولكن يقبض العلماء بعلمهم ويبقى جهال، فيسألون فيفتون، فيضللون  
 ويضللون».

■ وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قرأوكم يذهبون ويتخذ الناس رؤساء جهالاً  
 يقيسون الأمور برأيهم»<sup>(٢)</sup>.

لقد تكلّم في إسلام هذا الرجل الكثير وجعلوه فتحاً من فتوح الإسلام  
 وأصفّوا عليه وخلعوا عليه من الألقاب وكأنه مجدد هذا القرن، فلما ردوا  
 الأمر إلى شيخ الإسلام ابن باز «سقطوا على الخبيث».

و قبل أن نأتي بكلام الشيخ عن جارودي نذكر بعض الأقوال بجارودي

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمي وابن ماجه عن ابن عمرو.

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة، وحسنه الالباني في «صحيحة الجامع» رقم (١٨٥٧).

يهدم بها الثوابت من دين الله:

□ قال: «دخلت الإسلام وبأحدى يديّ الإنجيل، وباليد الأخرى كتاب رأس المال لماركس ولست مستعداً للتخلّي عن أيّ منها»<sup>(١)</sup>. فانتسابه للإسلام لا يعني التخلّي عن الماركسيّة أو ترك النصرانية!!!!

□ ويقول عن القدر والإنسان:

«إن الله لم يخلق منفذين مستسلمين للقدر، إنه جعل من الإنسان خليفة أي خليفة الله<sup>(٢)</sup> على الأرض، وال الخليفة ليس منفذًا قدرياً، إنه إنسان يأخذ القرارات عندما يكون الحاكم غائباً، ولا يمكن لأيّ كان أن يتزعّز منا هذه المسئولية»<sup>(٣)</sup>.

□ أما عقيدته في اليوم الآخر:

فهي تصور غريب لا يتفق مع التصور الإسلامي فعندما سُئل عن الحساب الأخير والبعث أجاب: «إن الحساب الأخير ليس حساباً آخرًا يعقب هذه الحياة، فالله ليس في الزمان بما يتضمنه الزمان من تعاقب بين القبلي والبعدي، والاعتراف بالحساب الأخير لا يعني إذن مقارنته بمحكمة إنسانية فالحساب الأخير ليس هو الأخير في الزمان، وإنما هو كذلك في كل آن بوصفه الحكم المطلق والنهائي وراء أحکامنا الإنسانية لأنها قائمة على ظواهر نسبية وعلى نجاحنا وفشلنا وعلى خداعنا أيضًا.. ولهذا فحساب الله هو

(١) Montour du siecle كما جاء في تصريح له صريح بأنه لم يتخلى عن الماركسيّة! انظر السبيل العدد ١٠٤ ، تاريخ ١٢/١١/١٩٩٥.

(٢) وهذا قول خطأ فالله ليس غائباً حتى يخلفه غيره وقد جاء في الحديث «اللهم أنت الصاحب في السفر وال الخليفة في المال والأهل والولد».

(٣) الموقف ١٩٨٤ انظر كتاب رامي كلاوي «جارودي من الإلحاد إلى الإيمان» ص(١٨٥).

الحساب الأخير في قيمته النهائية، وفي اعتماده على قانون مطلق لا في مجرى الزمان، ولذا فالإيمان بالحساب الأخير يعني أن نحيا في صفاء مع الله في كل آن»<sup>(١)</sup>.

#### □ مفهوم البعث :

لم يكتف جارودي بإنكار القيامة ولكنّه ينكر مفهوم البعث بصفته الحقيقة: وقد قال: «ذلك هو البعث، فهو ليس ظاهرة كيميائية غريبة يُسوّى بموجبها لحمنا ودمنا وعظامنا من جديد.

إن الأمر يتعلق بمثل ضربه الله لنا وهو اللغة الوحيدة التي اعتمدتها الله تعالى، الذي ليس كمثله شيء ليُوحى إلينا بحقيقة التي لا تدركها حواسنا ولا فهمنا، فالبعث ممكّن كل يوم، لأن قدرتنا على تقويم ماضينا تمكّنا رغم هفواتنا وذنوبنا من بعث إنسان جديد واع»<sup>(٢)</sup> !!

#### □ أما السنة :

يقول جارودي: «إن سنة النبي لم تُوضع لأجل المستقبل، لما بعد وفاة محمد وحسب، إذ أن الله يذكر الرسول في عدة مناسبات أن من الواجب عليه، خارج الوحي الذي يبلغه في القرآن أن يقول: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُم﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ [٢١] ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٦٣].

في القرآن أمر بطاعة النبي لا تقليده، اللهم إلا في إيمانه وعقيدته»<sup>(٣)</sup>. «تُعدّ هذه المسألة عند جارودي من أخطر المسائل التي تناولها، فقوله

(١) مقدمة بقلم جارودي لكتاب محسن الميلي «المشكلة الدينية» ص (٧).

(٢) مقدمة بجارودي لكتاب «المشكلة الدينية» لمحسن الميلي ص (٨).

(٣) «الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها» جارودي ص (٨٢).

يستهدف استبعاد السنة النبوية وعدم قبولها بعد وفاة النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

﴿ويفتري جارودي على المسلمين بإدخالهم السنة من خارج القرآن!﴾  
 فيقول: «لقد أدخل مفهوم السنة من خارج القرآن وبعد وفاة النبي ﷺ» فهو يدعو إلى الاعتماد على القرآن وحده وصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنى إذا يقول: «لقد خشيت أن يطول الناس زمان حتى يقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب الله! فيفضلوا بترك فريضة أنزلها الله، ألا وإن الرجم حق على من زنى وقد أحصن إذا قامت البينة، أو كان الحمل أو الاعتراف. قال سفيان: كذا حفظت: ألا وقد رجم رسول الله ﷺ وترجمنا بعده»<sup>(٢)</sup>.

#### \* الوحدة الفيديرالية الإبراهيمية:

اقتراح جارودي تصورا للطوائف الدينية فقال: «إن الفكرة الأولى لعلاقات المسلمين مع بقية الطوائف الدينية في فكر ورأي النبي ﷺ كانت إقامة ما نسميه اليوم «وحدة فيديرالية» للطوائف الدينية، لكن حصل أن هذا الأمر لم يتحقق أبداً في التاريخ: لا في المسيحية ولا في اليهودية أو في الإسلام لكن أعتقد أن هذه المعادلة قابلة للعيش والاستمرار، أي أن تصل بنا إلى روابط الجماعة»<sup>(٣)</sup>.

﴿وعقيدة الولاء والبراء تخالف معتقد جارودي هذا البتة.

﴿ويقول عن تصوره لأساس الخلاف بين المسيحية والإسلام: «سنضع جانباً أيضاً الاتهامات الموجهة من المسلمين إلى المسيحيين حول سر التثلث لأن

(١) «فکر جارودی بین المادیة والإسلام» لعادل التل ص(٧٣) - دار البيّنة.

(٢) إسناده صحيح.

(٣) «الموقف» (١٩٨٤)، وانظر كلاوي ص(١٨١).

محتوى سورة الإخلاص «**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**» يتطابق تماماً مع قول مجمع (لاتران) المنعقد عام ١٢١٥ حول التثليث: «الله أب وابن روح قدس»، وهذه حقيقة معنى «**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ**» القرآنية<sup>(١)</sup>.

«**كَبَرَتْ كَلِمَةُ تَخْرُجٍ مِّنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**» تزوير للحقائق بصورة فاضحة من المفكر الكبير جارودي!! الذي يريد أن يجعل من الكفر إيماناً بجرأة من قلمه.

أما عن قوله عن الحجاب وأحكام المرأة والتشريع الإسلامي فانحراف تام عن الإسلام.

من أجل فهم فتوى الشيخ ابن باز كان لا بد من هذه المقدمة حول بعض معتقدات جارودي لتعلم أي علم ووعي كان يحمله الشيخ ابن باز بين جنبيه.

### بيان حكم الشرع في الجارودي على ضوء المقابلة معه في مجلة المجلة لسماحة الشيخ : عبدالعزيز بن عبدالله بن باز<sup>(٢)</sup>

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على رسوله نبينا محمد وأله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد كثر في الآونة الأخيرة في الصحف والمجلات الكلام عن الرجل المسمى (روجييه جارودي) الشيوعي الفرنسي؛ الذي ادعى أنه دخل الإسلام عن اقتناع ومحبة ففرح بذلك بعض المسلمين وأظهروا حفاوة به، وأكرموه ومنحوه الثقة، وجعلوه عضواً في المجلس الأعلى العالمي للمساجد في رابطة

(١) كتاب «الإسلام الحي» لروجييه جارودي ص(١٨) ترجمة دلال ومحمد طاهر.

(٢) «مجلة البحوث الإسلامية» العدد (٥٠) عام ١٤١٨هـ. ص(٣٦١).

العالم الإسلامي، وصار يحضر الندوات واللقاءات التي تعقد في العالم الإسلامي عن الإسلام متهدلاً ومناظراً. ثم لم يلبث أن تكشفت حقيقته وافتضح أمره وبان ما كان يخفيه في صدره من حقد على الإسلام والمسلمين، وأنه لم يزل على كفره وإلحاده فانضم إلى أشخاصه من المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلُوا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَاءِ مِنَ الْفَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

وآخر ما نُشرَ عنه الحوار الذي أجرته معه مجلة المجلة في عددها (٨٣٩) حيث جاء فيه: أنه لم يتخل عن اعتقاداته الخاصة وأنه لم يعتنق الإسلام الذي عليه المسلمين، وإنما اعتنق إسلاماً آخر تخيله بذهنه زعم أنه خليط من الأديان: اليهودية والنصرانية ومن الإسلام الذي تخيله هو، لا الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ، وقال إن هذا الإسلام المزعوم هو دين إبراهيم عليه السلام. فإبراهيم بزعمه هو أول المسلمين فالإسلام بدأ من عهد إبراهيم، قال: ولم يكن إبراهيم يهودياً ولا مسيحياً ولا مسلماً بالإسلام التاريخي للكلمة أي الذي عليه المسلمون اليوم. وكذب في ذلك فإن الإسلام الذي هو توحيد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه هو موجود من قبل إبراهيم من عهد آدم ونوح والنبيين من بعده وهو دين جميع الرسل. وهو الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وهو دين المسلمين اليوم من أتباع محمد ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُу إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسَبُّهَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥]، ولم يكن دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليطاً من الحق والباطل كما زعم هذا الضال؛

بل كان دينه التوحيد الخالص لله عز وجل والبراءة من الشرك وأهله قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَأْءُ مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبِمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبُغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [المتحنة: ٤]، وهو الدين الذي بعث الله به محمداً عليه السلام، ويرى هذا الضال أن البراءة من الكفر والشرك وما عليه اليهود والنصارى من الوثنيات والتحريفات الباطلة دين تفرقة؛ لأن الإسلام في مخيلته معناه التوحيد والتقارب بين المسلمين وغير المسلمين، يريد إسلاماً يجمع بين المتناقضات والمتضادات، ويكره المسلمين الذين يخالفونه في ذلك.

ويرى أيضاً أن سنة الرسول عليه السلام وأن الفقه الإسلامي المستنبط من الكتاب والسنة انتهت صلاحيتها في هذا الزمان لأنهما كانا لزمان معين، وأنه يجب إحداث فقه جديد. وهذا معناه ترك دين الرسول عليه السلام؛ لأنه لا يصلح لهذا الزمان وإحداث دين جديد. وهذا كفر بعموم رسالة الرسول لكل زمان ومكان، ولكل جيل، ولكل البشرية إلى أن تقوم الساعة، وكفر بختم الرسالة بمحمد عليه السلام خاتم النبيين، وكفر بصلاحية رسالته لكل زمان ومكان، وهذا كفر صريح وقول قبيح منافق لقول الله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨]، قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

• قوله النبي عليه السلام: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى

الناس عامة»<sup>(١)</sup> متفق على صحته.

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب (التيتم) برقم (٣٢٣)، واللفظ له، ورواه الإمام مسلم في =

● قوله ﷺ : «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراوی ثم يموت ولم يؤمن بالذی أرسلت به إلا كان من أهل النار»<sup>(١)</sup>، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقد أجمع العلماء رحمهم الله من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم إجماعاً قطعياً على أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلوات الله عليه هو رسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن، وهو خاتم النبيين لا نبي بعده.

ثم يتناول هذا الملحد الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة وهو الصلوات الخمس الثابت بالكتاب والسنة والعلوم من الدين بالضرورة، فيرى أن الصلوات ثلاثة صلوات في اليوم والليلة لا خمس صلوات. ويزعم أن هذا هو ما يدل عليه القرآن. وهذا القول الباطل بل الكفر الصريح ناتج عن كفره بالتقى التي بينت الأوامر التي جاءت في القرآن، ومن ذلك الصلوات فقد بالتقى السنة الصحيحة المتواترة أنها خمس صلوات في اليوم والليلة وأجمع المسلمون على ذلك:

ثم بين هذا الفضال الصلاة التي يعنيها وأنها ليست الحركات التي هي عبارة عن القيام والقراءة والركوع والسجود، وإنما هو التفكير العميق في الذات الإلهية، وذلك يستغرق عنده ساعات الليل والنهار الأربع والعشرين ساعة. وهذه صلاة الباطنية الملاحدة لا صلاة الأنبياء وأتباعهم وهذا القول كفر صريح وردة عن الإسلام عند جميع أهل العلم.

= كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) برقم (٨١٠).

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب (الإياع) برقم (٢١٨)، ورواه الإمام أحمد في (باقي مستند المكثرين) برقم (٧٨٥٦).

ثم تناول الركن الرابع من أركان الإسلام وهو الصيام وقال: إنه ليس هو الامتناع عن الأكل والشرب وإنما هو معاني الصيام وأهدافه. ثم إنه أخفى سكان المناطق القطبية من الصيام لأنّه لا يمكن تطبيقه في مناطقهم؛ لأنّه ليس عندهم طلوع فجر ولا غروب شمس. وهذا تكذيب لله ولرسوله والإجماع المسلمين في أن الصيام ترك الأكل والشرب وسائر المفطرات.

\* قال تعالى: «وَكُلُوا وَاشْرِبُوا حَتَّى يَبْيَسْ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيلِ» [البقرة: ١٨٧].

● وقال النبي ﷺ: «إن بلاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم»<sup>(١)</sup> متفق على صحته. فمن أعظم منافيات الصيام الأكل والشرب. وأما الاقتصر على معاني الصيام وأهدافه فليس صياماً شرعياً وإنما هو صيام الباطنية الذين يقولون الصيام هو كتم الأسرار، وهذا إلحاد في دين الله عز وجل، وكذلك لا يعنى أحد من الصيام في جميع أقطار الأرض لأن أحكام الشريعة عامة للبشرية أينما كانت وإنما يصوم المسلم حسب استطاعته. وكيفية صيام أهل المناطق القطبية قد بحثها علماء المسلمين قديماً وحديثاً وقرروا فيها رأيهم حسب ما ظهر من أدلة الكتاب والسنة. ثم إن هذا الملحظ يجعل علماء المسلمين فيقول: «قد عملت معهم عندما كنت عضواً في المجلس الأعلى العالمي للمساجد. واكتشفت أنهم أناس جهله، بل إنهم من أجهل الناس إطلاقاً يرددون بطرق آلية الأحاديث النبوية وآراء فقهاء القرون الوسطى التي حفظوها عن ظهر قلب، ولا أعتقد أن لدى استعداداً للتعاون مع هؤلاء بشأن أي موضوع كان بسبب الانطباعات السيئة التي تركوها في ذهني».

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب (الأذان) برقم (٥٨٧)، ورواه الإمام مسلم في (الصيام) برقم (١٨٢٩) واللفظ متفق عليه.

□ هذا شعوره نحو علماء الإسلام الذين أغتر الكثير منهم به وأحسنوا به الظن وأكرموه وأشركوه معهم في مؤتمراتهم وندواتهم. وإنها لموعدة للعلماء أن لا يتسرعوا بمنح الثقة لكل من تظاهر بالإسلام خصوصاً من أمثال جارودي من عرّفوا بالإلحاد والزنادقة والشيوخية قبل ادعاء الإسلام حتى يثبتوا في شأنه.

ومن كفر جارودي الصريح أنه يدعو إلى تعطيل حد السرقة وتغيير مقادير المواريث، فيرى أن قطع يد السارق اليوم غير مناسب وهذا اتهام للإسلام بالقصور وعدم صلاحيته لكل زمان ومكان. بل هو وصف لله سبحانه بالجهل وأنه لا يعلم ما يَجِدُ في المستقبل وما يناسبه من العقوبة، فإن الله سبحانه أمر بقطع يد السارق والسارقة جزاء بما كسبا ثم ختم الآية بقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨] فهو سبحانه يشرع لكل ذنب من العقوبة ما يناسبه ويمنع وقوعه في كل زمان ومكان. ثم يقول: (لو كنت قاضياً وجاءني أخ وأخت يتنازعان في قضية ميراث لأعطيت البنت ضعف ما أعطي الذكر)، وهذا مصادم لقول الله تعالى في شأن الإخوة في آخر سورة النساء: ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذِكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١٧٦]، ولقوله تعالى في أول السورة: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، فهو اعتراض على الله في حكمه وكفى بذلك كفراً وإلحاداً.

ثم يدعو علماء الإسلام أن يتمدوا على شرع الله كما ترد المسيحيون على البابا وثاروا في وجه الكنيسة، فهو يسوّي بين الدين الحق الذي هو دين الإسلام ودين الكفر الذي هو دين البابوات ورجال الكنيسة المغير لشرع الله.

وأخيراً فإن روجيه جارودي لا يحكم عليه بأنه مرتد عن دين الإسلام كما توهّمه بعضهم، وإنما هو كافر أصلي لم يدخل في الإسلام كما اعترف

## رياض الجنة في الرد

هو بذلك حيث يقول: (انتهيت إلى الإسلام دون التخلص من اعتقاداتي الخاصة وقناعاتي الفكرية).

إن دين الإسلام لا يجتمع مع القناعات الإلحادية ولا يجتمع مع اليهودية والنصرانية لأنهما دياناتان محرفتان ومنسوختان بدين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدًا عليه السلام وأمره أن يقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْسِنُ وَيُمِيزُ فَامْتُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

● وقال عليه السلام: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»<sup>(١)</sup> أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كما تقدم، وفي «الصحيحين» عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي عليه السلام أنه قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلني: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً، فأياماً رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغامن ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»<sup>(٢)</sup> وبذلك يعلم أنه لا يسع أحداً من هذه الأمة جنها وإنسها إلا اتباع محمد عليه السلام ولا يقبل الله من أحد بعد بعثته إلا دينه.

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب (الإيمان) برقم (٢١٨)، والإمام أحمد في (باقي مستند المثيرين) برقم (٧٨٥٦).

(٢) رواه الإمام البخاري في كتاب (التيمم) برقم (٣٢٣) واللفظ له، ورواه الإمام مسلم في كتاب (المسجد ومواضع الصلاة) برقم (٨١٠)، والنثائي في (الغسل والتيمم) برقم (٤٢٩).

\* ودينه هو الإسلام وهو صالح لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة  
قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ  
الإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

\* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

\* وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَسْتَغْ فِي إِلَيْهِ إِلَيْهِ دِينُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ  
مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

\* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لِمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ  
ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَصُرُّنَّهُ قَالَ أَفَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى  
ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوكُمْ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

● وتقدم قوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه  
الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل  
النار»<sup>(١)</sup>. وذلك أن الله سبحانه أخذ الميثاق على الأنبياء كلهم من أولهم إلى  
آخرهم بالإقرار بنبوة محمد ﷺ وعموم رسالته، وأنه لو بُعث وأحد منهم  
حي وجب عليه اتباعه وطاعته ومناصرته، وهذا الحكم يتناول أتباعهم أيضاً  
فإن من زعم أنه يتبع موسى وعيسى يجب عليه أن يؤمن بمحمد ﷺ بعدما  
بعثه الله ويتبعله؛ لأن رسالته ختمت الرسالات وشرعيته نسخت الشرائع ولم  
يبق دين مقبول عند الله سوى الدين الذي بعثه الله به كما قال تعالى:  
﴿وَمَنْ يَسْتَغْ فِي إِلَيْهِ إِلَيْهِ دِينُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل  
عمران: ٨٥]. وهذا الحكم واجب على جميع المكلفين من الجن والإنس إلى  
يوم القيمة، كما تقدم ذلك في قوله سبحانه أمراً نبيه محمداً ﷺ أن يقول

(١) سبق تخريرجه.

## رياض الجنة في الرد

للناس: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الاعراف: ١٥٨] الآية.  
وتقديم قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].  
\* قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

● قوله النبي ﷺ: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»<sup>(١)</sup> متفق على صحته.

● قوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»<sup>(٢)</sup>  
والأيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا المعنى كثيرة، وأسأل الله سبحانه  
بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يصلاح أحوال المسلمين جميعاً وأن يثبتنا  
وابياهم على دينه، وأن ينحرنا جميعاً الفقه فيه، والاستقامة عليه، وأن يعيذنا  
وجميع المسلمين من شر أعداء الله ومكائدهم كالجارودي وأشباهه من سائر  
الملاحدين، والكافرين، إنه على كل شيء قادر وصلى الله وسلم على نبينا  
محمد، وأله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

\* \* \*

(١) سبق تخریجه.

(٢) سبق تخریجه.

\* الشيخ ابن باز يحكم بردة من تنقص الرسول ﷺ ويرد على جريدة المساء المصرية :

حکم من استهزاً بالرسول  
العظيم عليه الصلاة والسلام  
أو سبه أو تنقصه أو استحل شيئاً مما حرمه<sup>(١)</sup>

بسم الله والصلوة والسلام على رسول الله.. لقد اطاعت على ما نشرته صحيفة صوت الإسلام بالقاهرة نقاً عن صحيفة المساء المصرية الصادرة في ٢٩ يناير الماضي من الجرأة على الجانب الرفيع والمقام العظيم مقام سيدنا وإمامنا: محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلم تسلیماً كثيراً بتمثيله بحيوان من أدنى الحيوانات، وهو الديك، لا يشك مسلم أن هذا التمثيل كفر بواح، وإنحدر سافر واستهزاء صريح بمقام سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين، إنها جرأة تحزن كل مسلم، وتدمي قلب كل مؤمن، وتوجب اللعنة والعار والخلود في النار، وغضب العزيز الجبار، والخروج من دائرة الإسلام والإيمان إلى حيز الشرك والنفاق والكفران لمن قالها أو رضي بها، ولقد نطق كتاب الله الكريم بكفر من استهزاً بالرسول العظيم، أو بشيء من كتاب الله المبين، وشرعه الحكيم، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ٦٥﴾ [التوبه: ٦٥] الآية، فهذه الآية الكريمة نص ظاهر وبرهان قاطع على كفر من استهزاً بالله العظيم أو رسوله الكريم أو كتابه المبين، وقد أجمع

(١) نداء من الجامعة الإسلامية إلى العالم الإسلامي «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» .(٦/٢٥٣).



والكفر والإلحاد، إنه ولـي ذلك والقادر عليه.  
وصلـى الله وسـلم على عـبـدـه ورسـولـه مـحـمـد وآلـه وصـحبـه.  
نـائـبـ رـئـيسـ الجـامـعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ بـالـمـدـيـنـةـ الـمـوـرـةـ  
عبدـالـعزـيزـ بنـ عبدـالـلهـ بنـ باـزـ

- \* للـهـ دـرـ الشـيـخـ اـبـنـ باـزـ رـحـمـهـ اللهـ :  
 □ قدـ كانـ - رـحـمـهـ اللهـ - مـثـالـاـ فـذـاـ فيـ إـسـدـاءـ النـصـحـ لـمـسـلـمـينـ ،ـ وـالـأـمـرـ  
 بـالـمـعـرـفـ وـالـنـهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ وـمـنـ ذـلـكـ :  
 - رسـالـتـهـ لـلـمـلـكـ فـيـصـلـ - رـحـمـهـ اللهـ - يـحـثـهـ فـيـهاـ عـلـىـ الدـعـوـةـ إـلـىـ اللهـ  
 وـمـنـاصـحةـ رـؤـسـاءـ بـعـضـ الـدـوـلـ بـتـحـكـيمـ شـرـعـ اللهـ .ـ «ـمـجـمـوعـ فـتاـوىـ وـمـقـالـاتـ  
 مـتـنـوـعـةـ»ـ (ـ٧٢ـ/ـ٦ـ).ـ  
 - رسـالـتـهـ إـلـىـ صـدـامـ حـسـينـ يـتـكـرـ عـلـىـهـ فـيـهاـ إـعـلـانـهـ لـنـظـامـ الـاشـتـراـكيـ فـيـ  
 العـرـاقـ .ـ «ـمـجـمـوعـ فـتاـوىـ وـمـقـالـاتـ مـتـنـوـعـةـ»ـ (ـ٣٩٤ـ/ـ٧ـ).ـ  
 - تـعـقـبـهـ عـلـىـ مـحـمـدـ سـعـيدـ الـبـوـطـيـ حـوـلـ بـعـضـ الـأـمـورـ التـيـ زـلـ فـيـهاـ .ـ  
 «ـمـجـمـوعـ فـتاـوىـ وـمـقـالـاتـ مـتـنـوـعـةـ»ـ (ـ٣٥٣ـ/ـ٤ـ).ـ  
 - الرـدـ عـلـىـ مـنـ قـالـ :ـ إـنـ الـجـهـادـ دـفـاعـ فـقـطـ .ـ «ـمـجـمـوعـ فـتاـوىـ وـمـقـالـاتـ  
 مـتـنـوـعـةـ»ـ (ـ١٧١ـ/ـ٣ـ).ـ  
 - الرـدـ عـلـىـ مـنـ اـعـتـقـدـ صـحـةـ دـيـنـ الـيـهـودـ وـالـنـصـارـىـ .ـ «ـفـتاـوىـ إـسـلـامـيـةـ»ـ  
 (ـ٦٧ـ/ـ١ـ).ـ  
 - الرـدـ عـلـىـ دـعـةـ التـقـرـيبـ بـيـنـ الـأـدـيـانـ .ـ «ـفـتاـوىـ الـلـجـنـةـ الـدـائـمـةـ»ـ  
 (ـ٨٠ـ/ـ٢ـ).ـ  
 - الرـدـ عـلـىـ الطـرـيقـةـ الـتـيـجـانـيـةـ .ـ «ـفـتاـوىـ الـلـجـنـةـ الـدـائـمـةـ»ـ (ـ٢٢٤ـ/ـ٢ـ)ـ .ـ  
 .ـ وـمـجـلـةـ الـبـحـوـثـ الـإـسـلـامـيـةـ الـعـدـدـ (ـ٣٩ـ)ـ صـ(ـ١٤٥ـ).

### على المدرسة العقلية ومنكري السنة

- الرـدـ عـلـىـ الـبـرـيلـوـيـةـ .ـ «ـفـتاـوىـ الـلـجـنـةـ الـدـائـمـةـ»ـ (ـ٢٨٣ـ/ـ٢ـ).ـ  
 - الرـدـ عـلـىـ طـائـقـةـ الـدـرـوـزـ .ـ «ـفـتاـوىـ الـلـجـنـةـ الـدـائـمـةـ»ـ (ـ٢٨٧ـ/ـ٢ـ -ـ ٣٠ـ٦ـ -ـ ٢٨٧ـ/ـ٢ـ)  
 وـمـجـلـةـ الـبـحـوـثـ الـإـسـلـامـيـةـ»ـ الـعـدـدـ (ـ٣٦ـ)ـ صـ(ـ٨٥ـ).ـ  
 - الرـدـ عـلـىـ الـبـهـائـيـةـ وـالـقـادـيـانـيـةـ .ـ «ـفـتاـوىـ إـسـلـامـيـةـ»ـ (ـ١٦٣ـ/ـ١ـ).ـ  
 - الرـدـ عـلـىـ الـمـاسـونـيـةـ .ـ «ـمـجـلـةـ الـبـحـوـثـ الـإـسـلـامـيـةـ»ـ الـعـدـدـ (ـ٣٦ـ)  
 صـ(ـ١٥ـ).ـ  
 - الرـدـ عـلـىـ مـنـ يـرـيدـ التـقـرـيبـ بـيـنـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـرـافـضـةـ .ـ «ـمـجـمـوعـ فـتاـوىـ  
 سـماـحةـ الشـيـخـ»ـ (ـ١٠ـ٩٨ـ/ـ٣ـ).ـ  
 - الرـدـ عـلـىـ مـنـ يـقـولـ إـنـ الـإـسـلـامـ اـنـتـشـرـ بـالـسـيفـ .ـ «ـمـجـمـوعـ فـتاـوىـ  
 سـماـحةـ الشـيـخـ»ـ (ـ١٠ـ٨٩ـ/ـ٣ـ).ـ  
 - الرـدـ عـلـىـ مـنـ يـزـعـمـ أـنـ فـيـ الـدـيـنـ قـشـورـ .ـ «ـمـجـمـوعـ فـتاـوىـ وـمـقـالـاتـ  
 مـتـنـوـعـةـ»ـ (ـ٣٢٣ـ/ـ٦ـ).ـ  
 - الرـدـ عـلـىـ رـشـادـ خـلـيـفـةـ حـوـلـ إـنـكـارـهـ لـلـسـنـةـ الـمـطـهـرـةـ .ـ «ـمـجـلـةـ الـبـحـوـثـ  
 الـإـسـلـامـيـةـ»ـ الـعـدـدـ (ـ٩ـ)ـ صـ(ـ٣٩ـ).ـ  
 - الرـدـ عـلـىـ مـنـ يـقـولـ :ـ الصـحـابـةـ رـجـالـ وـنـحـنـ رـجـالـ فـيـسـتـقـلـ فـيـ فـهـمـهـ  
 وـعـلـمـهـ .ـ «ـمـجـمـوعـ فـتاـوىـ سـماـحةـ الشـيـخـ»ـ (ـ٢ـ/ـ٧٦٠ـ).ـ  
 - الرـدـ عـلـىـ مـنـ يـعـتـبـرـ الـأـحـكـامـ الـشـرـعـيـةـ غـيـرـ مـتـنـاسـيـةـ مـعـ هـذـاـ الـعـصـرـ .ـ  
 «ـمـجـمـوعـ فـتاـوىـ وـمـقـالـاتـ مـتـنـوـعـةـ»ـ (ـ٤١٥ـ/ـ٤ـ)ـ .ـ (ـ١ـ).ـ  
 وـهـنـاكـ كـتـابـ قـيمـ بـعـنـوانـ «ـشـيـخـ اـبـنـ باـزـ وـمـوـاقـفـهـ الثـابـتـةـ»ـ وـهـوـ قـيمـ فـيـ  
 يـاـيـهـ .ـ

(١) «ـشـيـخـ اـبـنـ باـزـ وـمـوـاقـفـهـ الثـابـتـةـ»ـ جـمـعـ أـحـمـدـ الـفـرـيـحـ صـ(ـ٤٣٥ـ -ـ ٤٣٩ـ).

## جناية المدرسة العقلية الحديثة وروادها على الإسلام

إذا كان الولاء المطلق لله ولرسوله ، وكان قريبا من أي إنسان أو يعدها بمقدار قريبه أو يعده من اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وإذا أيقن الرجل منها بأن الحق لا يُعرف بالرجل ، وإنما بالحكمة الحجميلة «اعرف الحق تعرف أهله» هان علينا أمر نقد الرجال والمدارس نصيحا لله ولرسوله ولعامة المؤمنين .

وإنصاف الناس هدف نبيل ومن حسن خلق المسلم . . والمدرسة العقلية إن كان لها مآثر كما يقولون فإنها والله جنت على الإسلام وعلى المسلمين في واقعنا المعاصر . .

ونلقى نظرة سريعة على شيخيها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبد العال وأخذت التي أخذت عليهما، ثم نظره سريعة على موقف المدرسة من عقيدة السلف، وأثر المدرسة على واقع المسلمين.

\* الدكتور فهد الرومي يكشف زيف المدرسة العقلية الحديثة :

كان لكتاب الدكتور فهد الرومي «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» وكذا كتابات الدكتور محمد محمد حسين والدكتور الذهبي والعلماء المعاصرین للأفغانی ومحمد عبیده أکبر الأثر فی کشف زيف هذه المدرسة .. نقول هذا الكلام لرجل جعل الحقيقة نصب عينيه، وتحصیلها مقصوده، وجعلها فوق الرجال بها يوزنون ولا تُوزن بهم. لا نقولها لرجل نزع الحقيقة من نصب عينيه، واستبدل بها أصناماً بشرية وأوثاثاً إنسية صار همه كل همه تقديسهم، ومراده كل مراده ذب الشبهات عنهم ونفي الخطأ منهم، وجعلهم في منزلة تابی الشبهات أن تصل إلى أقدامهم»<sup>(۱۵)</sup>.

(١) انظر «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص (٧٣).

رياض الجنة في الورد

94

□ وإن حياة الرجل تصبح ملئاً له ما دامت خاصة به، فإذا تجاوزت هذه المرحلة وأصبحت حياته جزءاً من التاريخ، فإن الحديث عنهاأمانة في اعتناق الدارسين لا يفك رقابهم منها إلا قول الحقيقة من غير تحيّن أو تعدد، أو تزلف أو نفاق فكلاهما منهجه ضال، والمنهج الحق وسط بينهما: قول الحق والحقيقة مهما أديا إليه ومهما صاح بك من يجهد أعينهم نور الحقيقة»<sup>(11)</sup>.

□ ومعظم هذا الفصل تلخيص الكتاب الدكتور فهد الرومي فإن من يركع العلم عزوه إلى أهله «والمتشيم بما لم يعط كلامي ثوابي ذور».

## \* جمال الدين بن صدر الأفغاني :

واسم والده «صفدر» هو لفظ فارسي من ألقاب الإمام علي خواصه عند الشيعة ولا يوجد إلا بين الشيعة. ولا صحة لاتسابه إلى الحسين بن علي، وهو إيراني لا أفغاني كتب أبو الهدى الصيادي إلى الشيخ رشيد رضا «إنني أرى جريدة طافحة بشقاقي المتأفغن جمال الدين الملقفة، وقد تدرجت به إلى الحسينية التي كان يزعمها زوراً، وقد ثبت في دوائر الدولة رسميأ أنه مازنثدرياني من أجللاف الشيعة»<sup>(٢)</sup>.

\* الجامعة الشرقية لا الجامعة الإسلامية:

«من أهم الآراء التي تنسب إلى الأفغاني وكان يدعو إليها: الدعوة إلى الوحدة الإسلامية وإقامة جامعة إسلامية تتضمن تحت لوائها دول العالم الإسلامي توحّد كلمتها وأهدافها وإنما قلت: تنسب إليه لأنني أرى في مقالاته ومقالات تلاميذه ما يدل على أنه لا يريد الجامعة الإسلامية بل الجامعة الشرقية التي تجمع دول المشرق مسلمة وغير مسلمة ضد الاستعمار».

(١) المصدر السابق (٧٣).

(٢) «تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده» للسيد محمد رشيد رضا (١٩٠١).

□ فهذا السيد رشيد رضا يُعلق على كلمة جمال الدين قائلاً: «هذا تنبئه لوجوب تأليف جامعة شرقية لمقاومة الاستعمار الغربي ولم يفكر فيه أحد قبله»<sup>(١)</sup> ، ويقول في موضع آخر «وقد اشتبه على بعض الناس أمر اللهجة الإسلامية في جريدة العروة الوثقى، وظنوا أن خدمتها خاصة بال المسلمين فأزاها هذه الشبهة - يعني الأفغاني ومحمد عبده - بعبارة نُشرت في العدد الثامن «من العروة الوثقى»<sup>(٢)</sup> ، ويقول عثمان أمين: «إن الجامعة التي كان ينشدتها الأفغاني ومحمد عبده في أواخر القرن الماضي ليست هي الجامعة الإسلامية كما توهّم بعض الكتاب الغربيين وإنما هي في صميمها «الجامعة الشرقية»<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup> اهـ.

#### \* نشاطه الماسوني :

الماسونية هي صناعة اليهود تسعى إلى القضاء على الأديان تحت شعارات برآقة (حرية، مساواة، إخاء).

خدع كثير من الناس بهذا الشعار فدخلوها وما لبثوا أن أدركوا الغموض الذي يحيط بها فغادروها مسرعين.

إلا أن السيد الأفغاني قدم في ٢٢ ربيع الثاني ١٢٩٢هـ طلباً للانضمام إلى المحفل الماسوني هذا نصه:

□ يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلي<sup>(٥)</sup> الذي مضى من عمره سبعة وثلاثون سنة بأنه أرجو من إخوان الصفا

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا (٢٩٢/١).

(٢) المرجع السابق (٢٨٩/١).

(٣) مقال «العروة الوثقى» لعثمان أمين - مجلة العربي الكويتية عدد ٤٢ ص (٧٣).

(٤) «منهج المدرسة العقلية الحديثة» ص (٩١).

(٥) نسبة إلى كابل وهي عاصمة أفغانستان فهو كابلي أو أفغاني.

## رياض الجنة في الرد

وأستدعي من خلان الوفاء أعني أرباب المجمع المقدس الماسون الذي هو عن الخلل والزلل مصون أن ينوا علي ويفضلوا إلى بقبولي في ذلك المجمع المطهر ويادخالي في سلك المنخرطين في ذلك المنتدى المفتخر لكم الفضل.

ربيع الثاني يوم الخميس

سنة ١٢٩٢ هـ ٢٢

### التوقيع

□ ولم ينسحب من المحفل بل كان من الأعضاء البارزين ذوي النشاط فيه ولذا تم اختياره بعد سنوات ثلاث رئيساً للوج كوكب الشرق بتاريخ ٧ يناير ١٨٧٨م بأغلبية الآراء ووجهت له دعوة بهذا التاريخ لاستلام القادوم بعد إتمام ما يجب من التكريم الاعتيادي والحضور باليزي الرسمي الماسوني الأسود ورباط الرقبة والكافوف بيضاء.

□ ولم يكتف السيد الأفغاني بهذا بل ازداد نشاطه في ميدان الماسونية فاعتزل هذا المحفل الاسكتلندي وأنشأ محفلاً وطنياً تابعاً للشرق الفرنسي وفي برهة وجiza بلغ عدد أعضائه العاملين أكثر من ثلاثة (١).

□ ولم يزال يبذل جهوده في هذا الميدان حتى صدر الأمر بنفيه في ٦ رمضان سنة ١٢٩٦ هـ ٢٤ أغسطس ١٨٧٩م وجاء في القرار: «إنه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوي الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا» (٢). وكتب إلى بعض الشخصيات من غير أن يذكر اسمها يستنجد بها بما حلّ به ويزعم أنه مظلوم فيما نسب إليه.

□ ونفي من بعده تلميذه وأحد أعضاء محفله الشيخ محمد عبده ووجد

(١) «خاترات جمال الدين الأفغاني» لمحمد المخزومي ص (٢٠).

(٢) «جمال الدين الأفغاني» لعبدالرحمن الرافعي ص (٤٦).

في منزله كتاب الماسون بخط السيد الأفغاني كما اعترف بهذا الشيخ نفسه في خطاب منه إلى أستاذه الأفغاني.

□ ولم ينقطع نشاط السيد الأفغاني الماسوني بعد نفيه من مصر فإن التاريخ يحذثنا أنه في «جمادي الأولى سنة ١٣٠٣<sup>(١)</sup>» سافر السيد إلى البلاد الإيرانية بدعة من الشاه ناصر الدين فنال مكانة سامية وتزاحم حوله الأمراء والمجتهدون والكبار وتمكن من نظم كثير منهم في سلك الماسونية<sup>(٢)</sup>. وكان له نشاط ماسوني في فرنسا أيضاً حيث قدم طلباً للعضوية في اللوج باريس وتم قبوله.

□ وإذا ثبت بما لا يقبل الشك انتماء السيد الأفغاني للماسونية، وثبت أن الماسونية وليدة الصهيونية العالمية وسبيل من سبلها لتحقيق أهدافها في هدم الأديان والسيطرة على العالم فإن الواجب تقصي الحقائق في سيرة الرجل الأفغاني والبحث عن حقيقة أهدافه.

□ أما الزعم بأن الأفغاني كان مخدوعاً بمبادئ الماسونية (الحرية، المساواة، الإخاء)، ولم يعرف حقيقتها وصلتها بالصهيونية؛ لأن بروتوكولات حكماء صهيون لم تنشر إلا بعد وفاته فإنه زعم باطل.

ذلكم أن من الصحف من قامت بكشف حقيقة الماسونية آنذاك فقد تصدت جريدة البشير الجزوية الصادرة في بيروت للماسونية ولم تغفل عن مهاجمتها وكشف أسرارها دواماً<sup>(٣)</sup>.

وقد تصدت لهذه الجريدة صحف مصرية ماسونية مثل «اللطائف»

(١) أي: بعد نفيه من مصر بسبعين سنة قريباً.

(٢) مصطفى عبدالرازق: المرجع السابق ص(٢٥).

(٣) «الصحافة المصرية و موقفها من الاحتلال الإنجليزي» لسامي عزيز ص(٣٠٩).

## رياض الجنة في الرد

و«المقتطف» و«البيان» و«الفلاح» و«النصح» و«المقطم» بردود كثيرة ودفاع عن الماسونية ومبادئها<sup>(١)</sup> مما يثبت وقوع مناقشات حادة في الصحف عن الماسونية وهذا يدعو إلى التأكيد من صحة أهدافها قبل الانضمام إليها من كل شخص فكيف من ي يريد الإصلاح ويتبسم إليه.

فإن زعموا أن السيد لم يقرأ هذه الصحف أو لم تصل إليه أعدادها سلمنا - جدلاً - وقلنا: صدر من الكتب سنة ١٨٩١ م أي قبل وفاة الأفغاني بست سنوات كتاب الحقيقة الإسرائيلية، وجاء فيه: «الروح الماسونية هي نفسها الروح اليهودية لا اختلاف في معتقداتها الأساسية فآراؤهما متماثلة»<sup>(٢)</sup> وقبل وفاة الأفغاني بإحدى وثلاثين سنة أي في سنة ١٨٦٦ م صدر كتاب «السر المكنون في شيعة الفرماسون أو ماهية الفرماسونية على ما يشهد به أهلها وتدل عليه قوانينها وتنبئ به أعمالها» صدر في بيروت وطبع كتاب مثله بالفرنسية في السنة ذاتها وهي لغة يجيدها الأفغاني، وفي سنة ١٨٨٥ م طبع كتاب «شيعة الماسونيّين» بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين وفي ستيني ١٨٨٤ - ١٨٨٥ م نشر كتاب «الأدلة القاطعة على شرف الرهبانية اليسوعية وبيان كنه الشيعة الماسونية» في جزءين بمطبعة الآباء اليسوعيين<sup>(٣)</sup> وفي سنة ١٨٨٥ م صدر كتاب شيعة الماسونيّين بلا ألف بعد الميم هو مجموع المقالات التي نشرتها البشير عن الماسونية<sup>(٤)</sup>.

□ فإن زعموا أنه لم يقرأ هذا ولا ذاك سلمنا - جدلاً - وقلنا: أليس في وجود أعضاء في الماسونية يسعون لهدم أركان الدين وتشتيت الفضيلة ما يشير

(١) المرجع السابق ص (٣١٨ - ٣٠٨).

(٢) «الماسونية» لأحمد عبدالغفور عطار ص (٦٠).

(٣) انظر كتاب «السر المحفوظ في شيعة الفرماسون» للأب لويس شيخو ص (٢٠٢).

(٤) «الماسونية بلا قناع» أبو صادق ص (٢٣٤).

شكوكه في أهداف الماسونية فيحذرها فقد اعترف أحد الماسونيين وهو جورجي زيدان بوجود هؤلاء الأعضاء في المحافل الماسونية حيث يقول: «فقد اتهم رجال الدين الماسونية بالكفر وإنها إنما تسعى لهدم أركان الدين وتشتيت الفضيلة، أما نحن فمع إجلالنا لهذه الجمعية عن هذه التهمة ومع يقيننا أنها براء منها لا يسعنا الإنكار أن بين أعضائها أفراداً قليلاً ربما يصح عليهم تلك التهمة»<sup>(١)</sup>.

﴿إِنْ زَعَمُوا أَنْ هَذَا كُلُّهُ لَا تَقُومُ بِهِ حِجَّةٌ وَلَا يُسْتَقِيمُ بِهِ بَرْهَانٌ - سَلَّمْنَا جَدَلًا - وَقَلَّا: خَذُوا الْقَاضِيَّةَ الْقَاصِمَةَ﴾.

أي شيء أراد الأستاذ محمد المخزومي تلميذ الأفغاني أن يخفيه عنا حين قال: «أما انحرافات جمال الدين في الماسونية.. فنختصره على قدر ما تسمح به الطريقة الماسونية»<sup>(٢)</sup>.

ثم إن أردتم أن نسير على منهج «من فمك أدينك» فإننا فاعلون.

بعد دخول الأفغاني إلى المحفل الماسوني تغيرت ثم لهجته في أحاديثه وأخذ يقرب منه العوام<sup>(٣)</sup> لأي شيء يفعل هذا؟ أظنون أنه فعل ذلك يوضح لهم ما يجهلونه من أمور دينهم ولি�نزع الخرافات والمعتقدات الزائفة من أذهانهم والبدع والمنكرات من أفعالهم؟ كلا، إنه يقربهم ليقول لهم: «إنكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد وربيتם بحجر الاستبداد وتتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك والرعاة حتى اليوم وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين وتعنون<sup>(٤)</sup>

(١) «الصحافة المصرية و موقفها من الاحتلال الإنجليزي» لسامي عزيز ص(٣٠٨) عن «تاريخ الماسونية» بجورجي زيدان ص(٢٥١ - ٢٥٣).

(٢) «مذكرات جمال الدين الأفغاني» لمحمد المخزومي ص(١٨ - ١٧).

(٣) «تاريخ الأستاذ الأمام» لرشيد رضا (٤٦/١).

(٤) تعنون: تخضعون.

لوطأة الغزاة الظالمين»<sup>(١)</sup> إلى أن قال: «تناوি�تكم أيدي الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس، ثم العرب والأكراد والمماليك ثم الفرنسيس والمماليك والعليين وكلهم يشق جلودكم ببعض نهمه ويهیض عظامكم بأداة عسفه، وأنتم كالصخرة الملقاة في الفلاة لا حس لكم ولا صوت»<sup>(٢)</sup>.

فعدَ السيد الأفغاني الفتح الإسلامي لمصر دخول عرب، وعدَ دخول العرب على حدَ تعبيره استعباداً واستبداداً وقرنه باستعباد اليونان والرومان والفرس والفرنسيس واستبدادهم ثم يسترسل في حديثه فيقول: «انظروا أهرام مصر وهياكل منفيص وأثار تيه ومشاهد سيء ومحضون دمياط شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم.

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبيه بالرشيد فلاح»<sup>(٣)</sup>

إذن فهو لا يدعو عوام المسلمين الذين قربهم إليه بعد انضمامه إلى الماسونية لا يدعوهم إلى الدين الإسلامي إذ هو يشق جلودهم ببعض نهمه ويهیض عظامهم بأداة عسفه كاليونان والرومان والفرس والفرنسيس، لا يدعوهم إلى الدين الإسلامي وإنما إلى النظر إلى أهرام مصر وهياكل منفيص.. إلخ وكلها آثار فرعونية شاهدة على جاهلية تبعد الأشخاص والكواكب من دون الله، ولا شك أن دعوته إلى النظر فيها دعوة إلى الاقتداء بأصحابها.

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبيه بالرشيد فلاح

﴿إذن فهي دعوة إلى نبذ الدين الإسلامي - كما أفهمها - وهي جزء من أهداف الماسونية التي تحارب الأديان.

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» (٤٦/٤٧) و«رعماء الإصلاح في العصر الحديث» لأحمد أمين ص(٧٨ - ٧٩).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

ثم وما يزيد الأمر وضوحاً أن الرجل ذكر آثاراً ميتة وجيفاً متنكرة ولم يذكر مصنع الرجال لكونه مأثرة إسلامية. أعني الجامع الأزهر ما الداعي إلى هذا التحامل ضد الإسلام ومأثره؟ وهل لهذا أيضاً صلة بانتماهه إلى الماسونية؟!

وبعد.. فلعلني أطلت الحديث هنا في هذا الموضوع؛ لأن الميزان الدقيق الذي نزن به الرجل هنا؛ ولأنه يكفي في بيان حقيقة الرجل أيّ رجل لإثبات انتماهه إلى الماسونية..

فإن كان فيما ذكرنا من أدلة ما يثبت انتماء الأفغاني إلى الماسونية وظهور أثرها في أحاديثه وأقواله فقد انجلت الحقيقة.. حقيقة الرجل. وإن كانت لا تكفي لإثبات ذلك، فإنها ولا شك أصابع تشير إلى الأفغاني بالاتهام<sup>(١)</sup>.

### \* حقيقته والماخذ عليه:

ـ ما لا شك فيه أن حياة هذا الرجل مليئة بالأسرار ويعحيطها الغموض<sup>(٢)</sup> وتلتبس فيها الحقائق بالأكاذيب، وما يزيد الأمر سوءاً أنه لم يؤرخ للرجل مؤرخ معتدل فأغلب من أرَخ له إما معجب به بالغ الأعجاب وبالغاً في الثناء عليه متجاوزاً عن كثير من أخطائه تكلّ عينه عن كل عيب فيه أعمته عين الرضا عن الحقيقة؛ وإما رجل حاقد كاره بالغ في قدره وذمه يحمل منه كل شاردة وواردة ما لا تحتمله أعمته عين السخط عن الحقيقة.

ـ وزاد بعض تلاميذه الأمر سوءاً فأخفى بعض أعماله زاعماً أن الطريقة

(١) «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٩٧ - ١٠٦). قال طبيبه الخاص عند موته في ٩ مارس ١٨٩٧م: «إن شدة ولع جمال الدين بالسيجار الإفرنجي كان من مسببات السرطان الذي أدى إلى وفاته».

(٢) «العروة الوثقى» ص(١٨).

الماسونية لا تسمح بذكره<sup>(١)</sup>.

ويزيد الأمر حينما نعلم أن أكثر نشاطه كان سرياً<sup>(٢)</sup> ، ولكن مع هذا الغموض فإننا نجد في بعض أفعاله وأقواله مأخذ لا نراها إلا خطيرة توجب إعادة النظر في تقويم بعض الرجال كما قال الدكتور محمد محمد حسين ونحن حين ندعو إلى ذلك لا نريد أن ننقص من قدر أحد ولكتنا لا نريد أن تقوم في مجتمعنا أصنام جديدة معبدة لأناس يزعمون أنهم معصومون من كل خطأ<sup>(٣)</sup>.

ومع أنه كان يدعو إلى تنقية الدين الإسلامي مما علق به من الخرافات كتقديس الأموات والتبرك بهم ونحو ذلك إلا أنها نراه يستغل هذه النقطة أبشع استغلالاً فيلجأ إلى مقام عبد العظيم خوفاً من ناصر الدين شاه ويثير فيهم الحمية لهذا المعتقد الباطل بالانتقام من ناصر الدين شاه فيقول: «وأما قصتي وما فعله هذا الكنود الظلوم معي فمما يفتت أكباد أهل الإيمان ويقطع قلوب ذوي الإيقان ويقضي بالدهشة على أهل الكفر وعباد الأواثان أن ذلك اللئيم أمر بسجني وأنا متحصن بحضوره عبد العظيم عليه السلام»<sup>(٤)</sup> ، ويصف هذا المقام بأنه «حرم من دخله كان آمناً»<sup>(٥)</sup>.

□ بل ويحاول أن يظهر بالقداسة أمام العوام ولو كان بالكذب والخداع حكى عنه سعد زغلول أنه ذكر لهم أنه كان في سفينة خيف عليها الغرق فرأى في الركاب خوفاً فأكده لهم أن السفينة لن تغرق، ثم قال: «لو غرفت

(١) «نحاطرات جمال الدين الأفغاني» ص(١٨).

(٢) «الإسلام والحضارة الغربية» محمد محمد حسين ص(٦٥).

(٣) المرجع السابق ص(٤٩).

(٤) «نابغة الشرق» السيد جمال الدين الأفغاني سعيد الأفغاني ص(٧٧).

(٥) «تاريخ الأستاذ الإمام» ج(١) ص(٥٥).

السفينة لم أجد منهم أحداً يكذبني، وإن سلبت ظهرت بالقداسة من أقرب سبيل<sup>(١)</sup>.

### \* اليهود والنصارى من حوله :

وما يثير الريبة والشكوك في الأفغاني هذا الخلط من اليهود والنصارى الذي يحيط به، سليم نقاش من نصارى الشام وهو ماسوني ووضع كتاباً تبدو فيه أهداف الماسونية بارزة في عنوانه «مصر للمصريين» وهو يذكرنا بدعوة الأفغاني للمصريين بالنظر ليس إلى الآثار الإسلامية بل إلى الآثار الفرعونية المصرية، وفي هذا فصل لمصر عن المسلمين والإسلام.

وأديب إسحاق من أكثر الدعاة إلى الماسونية حماساً وقف نشاطه الصحفى على هذا وهو أيضاً من نصارى الشام انتظم في سلك الماسونية سنة ١٨٧٣ م في محفل انشاء الماسون في بيروت ذلك العام ثم وقف نشاطه على الدعوة إلى الماسونية في بعض الصحف ولم يكتفى بهذا بل قام بطبع مقالاته تلك في كتاب ضخم<sup>(٢)</sup> ، ومع هذا فقد كان الأفغاني لآخر نسمة في حياته - كما يقول تلميذه المخزومي - عند ذكر أديب بك إسحاق يسترجع ويقول: كان طراز العرب وزهرة الأدب، قضى نحبه في شرخ الشبوة وعنفوان الفتوة، وترك لنا قلوبًا آسفة وشجونًا فائضة، إنا لله وإنا إليه راجعون<sup>(٣)</sup> .

□ ومع هذا أيضاً فقد أنسن الأفغاني إدارة أول صحيفة أنشأها (مصر) الأسبوعية سنة ١٨٧٧ م إلى أديب إسحاق هذا؟! ثم ساهم في إنشاء جريدة (التجارة) وتولى رئاستها أديب إسحاق وسليم نقاش، وكان الأفغاني يساهم

(١) «نابغة الشرق جمال الدين الأفغاني» ص(٩١ - ٩٢)، وجمال الدين الأفغاني عبد القادر المغربي ص(٥٠ - ٥١).

(٢) «الماسونية بلا خداع» أبو صادق ص(٢٣٣ - ٢٣٤).

(٣) «خاطرات جمال الدين الأفغاني» لمحمد المخزومي ص(٢٢) الهاشم.

بالكتابة فيها ويوصي تلاميذه بخدمة هاتين الصحيفتين قلماً وسعيناً<sup>(١)</sup>.

□ وهكذا نرى الأفغاني يمكن النصارى من أجهزة الإعلام ويصرف النقود ويفتح المطبع، ويحصل على الامتيازات ليسلمها لهم.

وكان من المحظيين به من النصارى جورج كوتجي وطبيبه الخاص هارون يهودي<sup>(٢)</sup>، ولم يحضر وفاته إلا كوتجي النصراني وهارون اليهودي، وعند قدومه إلى مصر يسكن في حارة اليهود<sup>(٣)</sup>.

#### \* صلته بالإنجليز :

ومن المأخذ عليه صلته بالإنجليز المربة ورجال الإنجليز، وفي الحقيقة أنه لم تتضح لي حقيقة الرجل بالإنجليز فهو معهم أحد رجلين لا محالة: إما عدو ساذج مغفل اتخذوه مطية لهم لتحقيق مآربهم؛ وإما صديق مخلص ذو مكر ودهاء<sup>(٤)</sup>.

وحسب ما نعرف من تاريخ الرجل فإن أول صلة بينه وبين الإنجليز حينما انضم إلى محمد أعظم في أفغانستان ضد شير علي وانتصر الثاني لتأييد الإنجليز له، ولم يجد الأفغاني بدأ من الهرب<sup>(٥)</sup>.

وفي مصر كان يؤلب عليهم الناس حتى يقوموا بالثورة العرابية، وفي إيران يحرض مفتى إيران على تحريم الدخان لإبطال احتكار الإنجليز له في إيران تمهيداً لاحتلالها، وفي باريس ينشئ مجلة العروة الوثقى التي تحارب الإنجليز أينما حلوا وتشنع عليهم وهو مع هذا يسرح في بلادهم ويمرح ويتردد

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا(٤٥/١).

(٢) «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد محمد حسين ص(٦٩).

(٣) «تاريخ الأستاذ الإمام» (٤٤/١).

(٤) «تاريخ الأستاذ الإمام» للسيد محمد رشيد رضا (٤٥/١).

(٥) «الإسلام والحضارة الغربية» محمد محمد حسين ص(٦٩).

بين لندره وباريز ولا يلقى سوى الترحيب<sup>(١)</sup>.

□ صحيح أنهم أدوا إلى تعطيل العروة الوثقى لكن صاحبها لا يجد مانعاً من اللجوء إلى سفير بريطانيا في الأستانة ليساعده على الخروج منها<sup>(٢)</sup> ولا تجد إنجلترا مانعاً قبل ذلك من عرضها له توليه السلطة في السودان<sup>(٣)</sup> وقبل هذا وذاك لا يجد السيد الأفغاني مانعاً من دخول المحفل الماسوني والاسكتلندي، ولا يجدون هم أنفسهم مانعاً من تعيينه رئيساً للمحفل.

ولا يجد مانعاً من التعاون مع الانجليز ضدَّ من؟ ضدَّ الخلافة الإسلامية؟!! قال السلطان المهدوم عبد الحميد في مذكراته التي نشرت مؤخراً: «وقدت في يدي خطة أعدَّها في وزارة الخارجية الإنجليزية كل من مهرج اسمه جمال الدين الأفغاني وإنجليزي يدعى بلند، قالا فيها بإقصاء الخلافة عن الأتراك واقتراحاً على الانجليز إعلان الشريف حسين أمير مكة خليفة على المسلمين<sup>(٤)</sup>.

لهذا فلا عجب أن يصفه السلطان عبد الحميد بقوله: «كان رجل الإنجليز ومن المحتمل جداً أن يكون الإنجليز قد أعدوا هذا الرجل لاختباري»<sup>(٥)</sup>.

□ أما بلنت هذا الذي أشار إليه السلطان عبد الحميد فهو وزوجته من أصدقاء الأفغاني الإنجليز وهو وزوجته ذوي نشاط مريب في بلاد العرب ويكتفي نشاطهما ريبة دعوتهما إلى إنشاء دولة عربية حليفه لإنجلترا تصبح

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» (٤٤/١).

(٢) «تاريخ الأستاذ الإمام» محمد رشيد رضا (٧٢/١)، و«حاضر العالم الإسلامي» شكيب أرسلان (٢٩٦/٢).

(٣) «جمال الدين الأفغاني» محمود أبو رية ص (٥٣).

(٤) «مذكرات السلطان عبد الحميد» ترجمة محمد حرب عبد الحميد ص (٦٧).

(٥) المرجع السابق ص (٦٨).

مقرًا للخلافة الإسلامية، ويكتب بلنت في ذلك كتابه المشهور المسمى «مستقبل الإسلام»<sup>(١)</sup>.

وصلة الأفغاني بيلنت هذا وزوجته أيضًا صلة مريبة فهي التي تفاوض باسمه الحكومة البريطانية وتبدى رأيها له في بعض المسائل وتطلب منه توجيهاته بعد هذا، وتسعى لعقد الاجتماعات بينه وبين كبار الشخصيات حتى الإيرانية منها فتلتزم له لقاء مع مالكوم خان سفير إيران لدى جميع الدول الأوروبية وهو نصراني ذو ميول أوروبية<sup>(٢)</sup>، وتفاوض باسمه بريطانيا في مسألة مصر ومسألة السودان وتكتب إليه بجواب الوزراء الإنجليز.

ومن يقرأ بتمعن تاريخ بلنت وزوجته يدرك أنهما يحاولان الظهور بظاهر التعاطف مع قضايا (العرب) حتى ضد الإنجليز ولكن حقيقتهما أنهما من رجال الإنكليز وأكبر من هذا دعوتهما لفصل العرب عن الخلافة الإسلامية وإنشاء دولة عربية حليف لإنجلترا تصبح مقرًا للخلافة الإسلامية وفي هذا وحده ما يكشف حقيقتهما.

فما علاقة الأفغاني بهما وكيف يسمح لنفسه أن يتعاون مع الإنجليز لهدم الإسلام والخلافة الإسلامية، وهو يسعى بزعمه وزعم المخدوعين به إلى الوحدة الإسلامية؟!

ومن المآخذ على الأفغاني تلك العبارات الخطيرة والألفاظ المنحرفة وهي وإن كانت غير صادرة منه ولكنها من تلاميذه ووجهة إليه، ولو لم يكن بها

(١) «الإسلام والحضارة الغربية» محمد محمد حسين ص (٦٨).

(٢) يروى عنه مسْتَرْ بلنت في تاريخه السري لاحتلال إنجلترا مصر ص (٦٤ - ٦٥) قوله: ربما كان يهمكم أن تسمعوا حكاية دين أنس في فارس قبل مضي عدة سنين، وقد كنت رعيمه في يوم من الأيام، ويقول: «وقد أدركت عبّث الاجتهد في تنظيم فارس على مثال أوروبا فصممت على اللباس الذي يفهمه الناس هناك. لباس الدين!!».

راضياً لردع تلاميذه عنها ولعرفوا كراهيته لذلك فارتدعوا ولكنه لم يفعل فلم يفعلوا.

فمن ذلك ما كتبه إليه تلميذه إبراهيم اللقاني: «لو أذن لي سيدتي ورب معدّل مزاجي ومقدوم خلائقني، ومحور خلقي ومحرر فطرتي».

﴿ ويكتب إليه السيد رشيد رضا مصلياً ومسلماً عليه بعد رسول الله ﷺ يقول: «الحمد لله على أفضاله، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وأله وعلى سيدي بل السيد المطلق، ذي القدر المعلى والجود المصلى الأسبق، سدرة متهى العرفان، وجنة مأوى المحاسن والإحسان الذي له جو منتنفس، ومن كل نار مقتبس، الإمام المفرد والعقل مجرد، إلى أن قال: مهبط الفيض مصعد الكلم الطيب، مجلى سر الجمال الأكمل»﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ ويكتب إليه الإمام محمد عبده ما هو أشد وأفعع وأخطر على عقيدة المسلم﴾.

﴿ ومن المأخذ على الأفغاني أن السلطان عبدالحميد استشاره في إرسال بعثة من العلماء لنشر الإسلام في اليابان حسب طلب امبراطور اليابان فأرجعه عن عزمه وقال له: «إن العلماء نفروا المسلمين من الإسلام فأجدر أن ينفروا الكافرين»﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿ ومنها تعليله عدم زواجه بخشيته عدم العدل، ومنها قسمه الذي يقسم به وعز الحق وسر العدل، ومنها أنه يشرب «قليلًا من الكونياك»﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» للسيد محمد رشيد رضا ص(٨٥).

(٢) «نابغة الشرق جمال الدين الأفغاني» لسعيد الأفغاني ص(١١٦) و«جمال الدين الأفغاني» لعبدالقادر المغربي ص(٣٢).

(٣) «تاريخ الأستاذ الإمام» للسيد محمد رشيد رضا (٤٩/١).

## رياض الجنة في الرد

ومن شطحات الرجل في تفسيره قوله بـ «جواز الربا المعقول الذي لا يثقل كاهل المديون ولا يتجاوز في برها من الزمن رأس المال ويصير أضعافاً مضاعفة».

ويطول بنا الحديث لو أردنا استقصاء ذلك، ولعل فيما ذكرنا إشارة لمؤسس هذه المدرسة العقلية الحديثة والباعث لها وهو وإن كان الغالب على نشاطه السياسة لا الدروس العلمية التي هي مرادنا لكنه هو الذي وجه الإمام محمد عبده وتلاميذه إلى هذه الطريقة وأخذ بيدها إليه حتى سلكته وحمدت له ذلك واعترفت له<sup>(١)</sup>.

### \* الشيخ محمد عبده:

لشن كان السيد جمال الدين الأفغاني هو المؤسس لهذه المدرسة فإن محمد عبده هو الذي أقام صرروحها ودعا إليها ونشرها بين الناس فكان بحق هو صاحبها وهو أستاذها وإمامها الأول فكان له من الأثر فيها ما لم يكن لأستاذه جمال الدين.

### \* ما يؤخذ عليه:

ليس من السهل ذكر أكثر المأخذ على الشيخ محمد عبده فضلاً عن ذكرها جميعاً.

إن الإسلام عند الشيخ محمد عبده يعتمد على الدليل العقلي ويحتاج به لا بالمعجزات «فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري فلا يدهشك بخارق للعادة، ولا يغشى بصرك بأطوار

---

(١) «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٨٩ - ١٢٣).

غير معتادة ولا يخرب لسانك بقارعة سماوية ولا يقطع فكرك بصيحة إلهية»<sup>(١)</sup>.

﴿لَيْسَ هَذَا فَحْسُبُ، بَلْ يَعْتَقِدُ الْإِمَامُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ لَا يُؤْخَذُ مِنَ الرَّسُولِ وَلَا مِنَ الْكِتَابِ وَلَا يَصْحُ أَخْذُهُ مِنْهُمَا بَلْ مِنَ الْعُقْلِ فَيَقُولُ: «وَقَدْ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ لَا يَعْتَدُ بِرَأْيِهِ فِيهِمْ - عَلَى أَنَّ الاعْتِقَادَ بِاللَّهِ مُقْدَمٌ عَلَى الاعْتِقَادِ بِالنَّبُواتِ، وَأَنَّهُ لَا يَمْكُنُ الْإِيمَانَ بِالرَّسُولِ إِلَّا بَعْدِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، فَلَا يَصْحُ أَنْ يُؤْخَذُ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ مِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ وَلَا مِنَ الْكِتَابِ الْمُنْزَلِ فَإِنَّهُ لَا يَعْقُلُ أَنْ تَؤْمِنَ بِكِتَابِ أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَّا إِذَا صَدَقَتْ قَبْلَ ذَلِكَ بِوُجُودِ اللَّهِ وَبِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُنْزَلَ كِتَابًا وَيُرْسَلَ رَسُولًا﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿أَمَا إِذَا تَعَارَضَ الْعُقْلُ وَالنَّقْلُ عَنْهُ فَقَدْ اتَّفَقَ أَهْلُ الْمَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ لَا يَنْظَرُ إِلَيْهِ﴾<sup>(٣)</sup> عَلَى أَنَّهُ إِذَا تَعَارَضَ الْعُقْلُ وَالنَّقْلُ أَخِذْ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْعُقْلُ﴾<sup>(٤)</sup>.

### \* التقرير بين الأديان :

بعد أن توقفت العروة الوثقى وعاد الإمام إلى بيروت أنشأ فيها جمعية سياسية دينية سرية هدفها التقرير بين الأديان الثلاثة (الإسلام والمسيحية واليهودية) واشترك معه في تأسيسها ميرزا باقر، وبير زاده، وعارف أبي تراب، وجمال بك نجل رامز بك التركي قاضي بيروت، ثم انضم إليها مؤيد

(١) «الإسلام والنصرانية» لـ محمد عبد الله ص(٥٤ - ٥٥).

(٢) المرجع السابق ص(٥٤ - ٥٥).

(٣) هذا القليل هم سلف الأمة جميعاً ولا عبرة بقول المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، وقد كان الشيخ محمد عبد الله أشعرياً.

(٤) «الإسلام والنصرانية» ص(٥٩).

الملك أحد وزراء إيران، وحسن خان مستشار السفارة الإيرانية بالأستانة، والقس إسحاق طيلر، وجى دبليو ليتر، وشمعون مويا، وبعض الانكлиз واليهود، وكان الإمام صاحب الرأي الأول في موضوعها ونظامها، وميرزا باقر هو الناموس (السكرتير) العام لها<sup>(١)</sup> وهو إيراني تنصّر وصار مبشراً نصراً وتسنمّى بميرزا يوحنا ثم عاد إلى الإسلام. ودعا أعضاؤها إلى فكرتهم في صحفهم ورسائلهم، وهذا الشيخ محمد عبده يكتب رسالة إلى القس إسحاق طيلر يقول فيها: «كتابي إلى المللهم بالحق الناطق بالصدق حضرة القس المحترم إسحاق طيلر أيده الله في مقصده ووفاه المذكور من موعده». إلى أن قال: «... ونستبشر بقرب الوقت الذي يسطع فيه نور العرفان الكامل فتهزم له ظلمات الغفلة فتصبح الملائكة العظيمتان المسيحية والإسلام وقد تعرفت كل منها إلى الأخرى وتصافحتا مصافحة الوداد وتعانقتا معانقة الألفة، فتعمد عند ذلك سيف الحرب التي طالما ازعجت لها أرواح الملائكة»<sup>(٢)!!!!!!.</sup>

□ ويقول: «إذا نرى التوراة والإنجيل والقرآن ستصبح كتبًا متوافقة!!، وصحفاً متصادقة!!، يدرسها أبناء الملائكة، ويقرأها أرباب الدينين، فيتم نور الله في أرضه، ويظهر دينه الحق على الدين كله»<sup>(٣) !!؟</sup>

□ بينما يردّ الشيخ محمد عبده هذا القول الكُفري وأمثاله ينشر جي دبليو ليتر مقال «الإسلام والمدارس المحمدية» في الدليلي للغراف اللندنية جاء فيه: «إحسان المسلمين لمواليهم وإشفاقهم على البهائم التي ترجع أيضًا إلى

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لرشيد رضا (٨١٩/١، ٨٢٠، ٨٢٨).

(٢، ٣) «الأعمال الكاملة لمحمد عبده» جمع وتحقيق محمد عمارة (٢٣٦٣ - ٣٦٤) - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

الرب وإنفاقهم في سبيل الخير والسعادة التي هي من خصال المؤمنين الصادقين أخرى بأن تميلنا إليهم من أن نصيغ على النبي الكاذب»<sup>(١)</sup>.

﴿وقال أيضًا: «وإن كنا نريد أن نلصق المسلمين بالدولة الإنكليزية فيجب علينا أن نهب لهم الدين والدنيا»<sup>(٢)</sup>.

﴿ويقول إسحاق طيلر: «إن المسلمين قد آمنوا بال المسيح عليه السلام.. . فهم عندنا مسيحيون نصلى لهم كل يوم أحد ونسأله يهديهم وإيانا إلى الحق وإلى طريق مستقيم»<sup>(٣)</sup>.

ولعل أول ثمرة جنאה الغربيون في سعيهم إلى التقريب بين الأديان القضاء على فكرة الجهاد في الإسلام، فما دامت الأديان الثلاثة كلها حق، وليس بينها من فرق، فليس هناك من داع لحمل السيف وإعلان الجهاد ضد النصارى مثلاً، وهو الأمر الذي ألقى ببريطانيا كثيراً وهي دولة نصرانية، فسعت بشتى السبل للقضاء على هذه العقيدة الإسلامية، فأنشأت القاديانية التي حرمت قتال الإنجليز، والبهائية كذلك، وأيدت حركة أحمد خان الذي أعلن أن قتال الإنجليز كفر وأن مساعدتهم واجبة.

﴿ومن أثر هذه الدعوة ما نراه بارزاً في حديث رجال المدرسة العقلية الحديثة من تقليل شأن الجهاد في نشر الإسلام، وأنه قام على الدعوة باللسان، «وعللوا كل حركة من حركاته بأنه للدفاع بمعناه الاصطلاحى الحاضر الضيق»<sup>(٤)</sup> فلقد زعم السيد رشيد رضا «أن حروب النبي ﷺ للكفار كانت كلها دفاعاً»<sup>(٥)</sup>.

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا (١/٨٢٠ - ٨٢٢) - الطبعة الأولى - مطبعة المدار.

(٢) المرجع السابق (٦/٨).

(٣) «خصائص التصور الإسلامي» لسيد قطب ص (١٨).

(٤) «الوحى المحمدي» للشيخ محمد رشيد رضا ص (٢٧٢).

لذلك فلا عجب أن تؤيد إنجلترا تلك الجمعية.

لأن نحاسب الإمام إلا بحقيقة الإسلام التي لا تخفي على مثله وعلى أمثال تلاميذه.

\* فتوى لعالم الإسلام الرباني ابن باز في «التقريب بين الأديان»:

**لا أخوة بين المسلمين والكافرین**

**ولا دين حق غير دين الإسلام**

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده..

أما بعد: فقد نشرت صحيفة عكاظ في عددها ٣٠٣١ الصادر بتاريخ ٢٧/٨/١٣٩٤هـ خبراً يتعلق بإقامة صلاة الجمعة في مسجد قرطبة وذكرت فيه أن الاحتفال بذلك يعد تأكيداً لعلاقات الأخوة والمحبة بين أبناء الديانتين الإسلام والمسيحية. انتهى المقصود.

كما نشرت صحيفة أخبار العالم الإسلامي في عددها ٣٩٥ الصادر بتاريخ ٢٩/٨/١٣٩٤هـ الخبر المذكور وذكرت ما نصه: (ولا شك أن هذا العمل يعتبر تأكيداً لسماحة الإسلام وأن الدين واحد) إلى آخره.

ونظراً إلى ما في هذا الكلام من مصادمة الأدلة الشرعية الدالة على أنه لا أخوة ولا محبة بين المسلمين والكافرین، وإنما ذلك بين المسلمين أنفسهم، وأنه لا اتحاد بين الدينين الإسلامي والنصراني؛ لأن الدين الإسلامي هو الحق الذي يجب على جميع أهل الأرض المكلفين اتباعه أما النصرانية فكفر وضلال بنص القرآن الكريم؛ ومن الأدلة على ما ذكرنا قول الله سبحانه في سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَوْهُ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. \* وقول الله عز وجل: ﴿Qَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ

معه إذ قالوا لقومهم إنما براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بهم وبذا بيّنا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده **﴿ الآية [٤] المتتحنة: ٤﴾**

\* قوله سبحانه في سورة المجادلة: **﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أو تلك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله إلا إن حزب الله هم المفلحون ﴾** [المجادلة: ٢٢].

\* قوله تعالى في سورة التوبه: **﴿ والمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَاءِ بَعْضٌ ﴾** [التوبه: ٧١].

\* قوله سبحانه في سورة المائدة: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَاءِ بَعْضُهُمْ أُولَاءِ بَعْضٌ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾** [المائدة: ٥١].

\* قوله عز وجل في سورة آل عمران: **﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾** [آل عمران: ١٩].

\* قوله تعالى في السورة المذكورة: **﴿ وَمَن يَتَّسِعُ غَيْرُ الْإِسْلَامُ دِينًا فَلَنْ يُقبلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾** [آل عمران: ٨٥].

\* قوله عز وجل في سورة المائدة: **﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمٍ ﴾** [المائدة: ٧١].

\* قوله سبحانه في سورة المائدة: **﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾** [المائدة: ٧٣].

\* قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَيْكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [١٠٣] **الذين ضلّوا في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ [١٠٤] **أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيمة لهم يوم القيمة وزنا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥].****

• قول النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحرقه، ولا يخذله ولا يكذبه» الحديث رواه مسلم، ففي هذه الآيات الكريمتات والحديث الشريف وما جاء في معنى ذلك من الآيات والأحاديث إنما يدل دلالة ظاهرة على أن الأخوة والمحبة إنما تكون بين المؤمنين أنفسهم.

□ أما الكفار فيجب بغضهم في الله ومعاداتهم فيه سبحانه، وتحرم موالاتهم وتوليهم حتى يؤمنوا بالله وحده ويدعوا ما هم عليه من الكفر والضلال.

□ كما دلت الآيات الأخيرة على أن الدين الحق هو دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ وسائر المرسلين وهذا هو معنى قول النبي ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء ديننا واحد» رواه البخاري في «صححه»، أما ما سواه من الأديان الأخرى سواء كانت يهودية أو نصرانية أو غيرهما فكلها باطلة وما فيها من حق فقد جاءت شريعة نبينا محمد ﷺ به أو ما هو أكمل منه؛ لأنها شريعة كاملة عامة لجميع أهل الأرض، أما ما سواها فشريعات خاصة نسخت بشرعية محمد ﷺ التي هي أكمل الشرائع وأعمها وأنفعها للعباد في المعاش والمعاد كما قال الله سبحانه يخاطب نبيه محمدًا ﷺ: ﴿وَأَنَزَلَنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَهِيمَنَا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لَكُلُّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرِيعَةً وَمِنْهَا جَاءَ﴾ [المائدة: ٤٨].

□ وقد أوجب الله على جميع المكلفين من أهل الأرض اتباعه والتمسك بشرعه كما قال تعالى في سورة الأعراف بعد ذكر صفة محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ، ثم قال عز وجل بعدها: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِنَّمَا تَوَاصَى بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعَهُ لَعَلَّكُمْ تَهتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧ - ١٥٨].

\* ونفى الإيمان عن جميع من لم يحكمه سبحانه في سورة النساء: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥].

\* وحكم على اليهود والنصارى بالكفر والشرك من أجل نسبتهم الولد لله سبحانه واتخاذهم أحبائهم ورهبانهم أرباباً من دون الله عز وجل بقوله تعالى في سورة التوبه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [٢٠] اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرَهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرِيمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [٢١] يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرَهَ الْكَافِرُونَ﴾ [٢٢] هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُلَّهُ وَلَوْ كَرَهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبه: ٣٣ - ٣٠].

□ ولو قيل إن هذا الاحتفال يعتبر تأكيداً لعلاقات التعاون بين أبناء الديانتين فيما ينفع الجميع لكان ذلك وجهاً ولا محذور فيه، ولواجب النصح

للله ولعباده رأيت التنبيه على ذلك لكونه من الأمور العظيمة التي قد تلتبس على بعض الناس.

□ وأسائل الله أن يوفقنا وسائر المسلمين للأخوة الصادقة في الله والمحبة فيه ومن أجله، وأن يهدي أبناء البشرية جميعاً للدخول في دين الله الذي بعث به نبيه محمداً عليه السلام والتمسك به وتحكيمه ونبذ ما خالفه؛ لأن في ذلك السعادة الأبدية والنجاة في الدنيا والآخرة، كما أن فيه حل جميع المشاكل في الحاضر والمستقبل إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على عبده رسوله نبينا محمد وأله وصحبه<sup>(١)</sup>.

#### \* ومن المآخذ على الشيخ محمد عبده:

□ اشتراكه مع أستاذه الأفغاني في المحافل الماسونية ونشاطه فيها وتعاونه مع أستاذه في نشر مبادئها.

ويرد على من يدافع عن انتماسه إلى الماسونية بمثل ما ردنا به على من يدافع عن الأفغاني بل هو في محمد عبده أكثر قوة ووضوحاً لتأخر وفاة الشيخ عبده عن الأفغاني وقد كان الشيخ عبده يحتفظ ببعض كتب الماسونية في منزله بخط الأفغاني وقد صودرت أثناء سجنه بمصر.

□ وقد صدرت منه عبارات كعبارات أستاذه الأفغاني تفوح منها رائحة تجاهل الإسلام والدعوة إلى الفرعونية المصرية فمن ذلك قوله: «كنت فيمن دعا الأمة المصرية إلى معرفة حقها على حاكمها وهي هذه الأمة لم يخطر لها هذا الخاطر على بال من مدة تزيد على عشرين قرناً»<sup>(٢)</sup> ، قال هذا القول وهو في القرن الرابع عشر الهجري أو العشرين الميلادي وعلى كلا الأمرتين يكون

(١) «مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن بار» (٣/٢٣).

(٢) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا (١/١٢).

قفز بقوله الحكم الإسلامي بأكمله! فمتى عرفت هذه الأمة ذلك إذا لم تكن عرفته في الإسلام؟!

■ لا شك أن الدعوة إلى القومية الوطنية إنما هي أيضاً وليدة الماسونية التي تسعى إلى القضاء على الأديان، ولذلك يلاحظ كل من ينظر في سيرة هذا الرجل مظاهر دعوته إلى القومية العربية في سمتين بارزتين:

الأولى: أن الشيخ محمد عبده هو الذي صاغ برنامج الحزب الوطني المصري وجاء فيه في المادة الخامسة منه «الحزب الوطني حزب سياسي لا ديني فإنه مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب، وجميع النصارى واليهود وكل من يحرس أرض مصر ويتكلم لغتها منضم إليها»<sup>(١)</sup>.

■ وفي سنة ١٨٨٨م جرت في مصر مناقشات صحفية حول تعصب الأقباط في مصر ضد المسلمين فكتب الشيخ محمد عبده مدافعاً عن الأقباط: «ليس من اللائق بأصحاب الجرائد أن يعمدوا إلى إحدى الطوائف المتقطنة في أرض واحدة فيشملوها بشيء من الطعن أو ينسبوها إلى شائن من العمل تعللاً بأن رجالاً أو رجالاً منها قد استهدفوا لذلك..»<sup>(٢)</sup>.

■ ومن أقواله: «إن خير أوجه الوحدة الوطن لامتناع الخلاف والنزاع فيه»<sup>(٣)</sup> ، وغاب عن ذهنه أن خير أوجه الوحدة الدين.

السمة الثانية: مطالبه باستقلال العرب عن الأتراك:

فقد أرسل لويس صابونجي برقة إلى مستر بلنت أوردها الأخير في تأريخه السري لاحتلال إنجلترا مصر جاء فيها إن: «نديم وعرابي وعبدة

(١) «الأعمال الكاملة الإمام محمد عبده» جمع وتحقيق محمد عمارة (١٠٧/١).

(٢) المرجع السابق (١٠٨/١).

(٣) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا (١٩٤/٢).

يتحدون الباب العالى علناً<sup>(١)</sup> ، ويقول بلنت أيضًا في تاريخه هذا: «وقد سمعت سامي وعبدة ونديما يلعنون السلاطين والأمم التركية من عهد جنكىز خان وهو لا يزال إلى عبدالحميد وقد ألف حزب كبير يستعد لإعلان الاستقلال عن تركيا إذا تدخل الأتراك في مصر تدخلاً حربياً...»<sup>(٢)</sup> ، وهذا الموقف هو الذي يفسر لنا معنى تلك البرقية التي أرسلها الخديو توفيق إلى السلطان العثماني في نوفمبر سنة ١٨٨١ م يقول له فيها: «إن مصر في حالة ثورة وإن هناك اقتراحًا لإنشاء إمبراطورية عربية»<sup>(٣)</sup> .

□ وهو مع عداوته للأتراك وللخلافة الإسلامية قد يعلن تأييده للخلافة الإسلامية والدولة العثمانية ولكنه إعلان نفاق وتزلف؛ لأنه إنما يعلن هذا حينما يكون في نطاق النفوذ المباشر للسلطان العثماني والسلطة العثمانية فإذا خرج من ذلك عاد إلى رأيه القديم في هذه الدولة وهذا السلطان<sup>(٤)</sup> فهو يقول في تأييد الخلافة: «وانني على ضعفي - والحمد لله - مسلم العقيدة عثماني المشرب، وإن كنت عربي اللسان ولا أجد في فرائض الله بعد الإيمان بشرعه والعمل على أصوله فرضًا أعظم من احترام مقام الخلافة والاستمساك بعصمه والخضوع لجلالته وشحذ الهمة لنصرته بالفكر والقول والعمل ما استطعت إلى ذلك سبيلاً وعندي أنني إن لم أقم على هذه الطريق فلا اعتداد عند الله بإيماني فإنما الخلافة حفاظ الإسلام ودعامة الإيمان فخاذلها محاذل الله ورسوله ومن حاد الله ورسوله فأولئك هم الظالمون»<sup>(٥)</sup> .

(١) «التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر» للمستر بلنت ص(٢٤٩).

(٢) «المرجع السابق» ص(٢٥٥ - ٢٥٦).

(٣) «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبدة» جمع وتحقيق محمد عمارة (١١٣/١).

(٤) «المرجع السابق» (١١٤/١ - ١١٥).

(٥) «تاريخ الأستاذ الإمام» للسيد محمد رشيد رضا (٥٢٢/٢ - ٥٢٣).

□ ومن أثر هذا الاتجاه أيضًا اتجاهه إلى إنشاء جمعية «سرية» للتقرير بين الأديان ودفاعه القوي عنها وعن أعضائها حتى في وجه الخلافة الإسلامية، كتب مدافعاً عن إسحاق طيلر قائلاً: «إن السر في غضب السلطان عبدالحميد من نشاط القس الإنجليزي إسحاق تيلور في الدعوة لتوحيد الأديان وموافقتني وميرزا باقر وعلماء دمشق له ومراسلتنا إليها أنه خشي أن يعتنق الإنجليز الإسلام، ثم يطلبوا أن يكونوا أصحاب الدولة في الإسلام وتكون الملكة فيكتوريا ملكة المسلمين.. ويذهب السلطان من السلطان.. وسبحان مدبر العقول»<sup>(١)</sup>.

فانظر إلى أي مدى وصل دفاعه عن قس إنجليزي يقول: «إن المسلمين قد آمنوا بال المسيح عليه السلام.. فهم عندنا مسيحيون نصلي لهم كل يوم أحد ونسأله أن يهديهم وإيانا إلى الحق وإلى طريق مستقيم»<sup>(٢)</sup>.

ثم انظر إلى هذا الاتهام السخيف من محمد عبده إلى السلطان عبدالحميد؟! ولا ندري هل قال الشيخ عبده هذا عن اعتقاد صحيح أو خداع للقارئ.

أما عن نشاطه في هذه الجمعية فقد تقدم بيانه.

□ ومن أهم المأخذ عليه علاقته المريبة بالإنجليز كأستاذه الأفغاني، فقد كان الإمام محمد عبده يذلل لهم النصيحة خالصة ويرشدهم إلى ما يوطد دعائم احتلالهم ويحذرهم من الأخطاء التي يكادون أن يقعوا فيها وتضرهم في مصالحهم، نذكر لذلك مثلاً بعزيزة اللورد كروم على إلغاء النيابة العامة وإحالته أعمالها إلى القضاء، فحذر الإمام محمد عبده بأن هذا خطأ لا يتحمل

(١) «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» جمع وتحقيق محمد عمارة (١/٧٣٥).

(٢) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا (١/٨٢٦).

## رياض الجنة في الرد

الصواب وعلل ذلك بأن رجال النيابة من أرقى رجال البلاد علمًا وعقلاً ولسانًا وقلماً وستوجه همة كل من تلغى وظيفته إلى الاشتغال بالسياسة فيتبعون البلاد والمسئولين عن النظام تعابًا كبيراً<sup>(١)</sup> فأبطل اللورد المشروع فوراً. بل ويدل على ما قدمه لهم من خدمات دفاعهم عنه والوقوف بجانبه فقد صرخ اللورد كرومر بأن الشيخ محمد عبده يظل مفتياً في مصر ما ظلت بريطانيا العظمى محتلة لها<sup>(٢)</sup>، وكان الاحتلال الإنجليزي عاملاً أساسياً من عوامل عودة محمد عبده إلى مصر وقد صرخ اللورد كرومر بذلك في كتابه مصر الحديثة فقال: إن العفو صدر عن محمد عبده بسبب الضغط البريطاني<sup>(٣)</sup>.

وقدم له الإنجليز الحماية في الأستانة حين كثرت الدسائس ضده يقول تلميذه السيد رشيد رضا «كان المراد من الدسائس.. أن يحبس الاستاذ الإمام أو يهان وهم لا يجهلون أن السفارة البريطانية كانت بالمرصاد وأنها لا تسكت للحكومة الحميدية على ذلك لو أقدمت عليه السلطان ورجاله لا يجهلون هذا أيضًا<sup>(٤)</sup>. ويكتب الشيخ عبده نفسه إلى السيد رشيد قائلًا: إن السلطان لا يستطيع جسي لو أراده وهو يعلم عجزه عن ذلك حق العلم ولذلك أسباب لا أحب ذكرها الآن<sup>(٥)</sup>.

فأي علاقة تربطه بالإنجليز حتى يوفروا له كل هذه الحماية! وأي أسباب لا يحب الشيخ محمد عبده ذكرها؟!

(١) «تاريخ الاستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا (٩٢٢/١).

(٢) المرجع السابق (٥٦٤ - ٥٠١/١).

(٣) «الفكر الإسلامي المعاصر» لغاري التوبية ص (٤٥).

(٤) «تاريخ الاستاذ الإمام» (١/٨٦٠).

(٥) «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» لمحمد عمارة (١١٧/١).

□ ثم لا ندري كيف تستقيم عقيدة الرجل وقد كلت أبصارنا من قراءة عبارات له خطيرة يبدو الانحراف ظاهراً في عقيدة قائلها.

فمن ذلك ما ورد في كتابه الذي أرسله من السجن إلى أحد مريديه «... ودارت الأفلاك دورة العكس ذاهبة بنيرانها إلى عوالم غير عالمنا هذا فولى معها آلهة الخير أجمعين وتخضت السلطة لآلله الشر»<sup>(١)</sup>.

ولا يصح تخريج تلميذه رشيد لهذا بأنه على الحكاية لخرافات اليونانيين وهو إن كان قال هذا عن اعتقاد فلا شك في كفره «إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ» [الصفات: ٤].

ومن ذلك ما كتبه إلى أستاذه الأفغاني قائلاً: «ليتنى كنت أعلم ماذا أكتب إليك، وأنت تعلم ما في نفسي كما تعلم ما في نفسك، صنعتنا بيديك وأفضت على موادنا صورها الكمالية وانشأتنا في أحسن تقويم فبك عرفنا أنفسنا وبك عرفناك وبك عرفا العالم أجمعين فعلمك بنا كما لا يخفاك علم من طريق الموجب وهو علمك بذاتك وثقتك بقدرتك وإرادتك، فعنك صدرنا وإليك إليك المآب».

أوتيت من لدنك حكمة أقلب بها القلوب وأعقل العقول، وأتصرف بها في خواطر النفوس ومنحت منك عزمه أتعنط بها الثوابت وأذل بها شوامخ الصعاب وأصدع بها حم المشاكل وأثبت بها في الحق للحق حتى يرضي الحق، وكنت أظن قدرتي بقدرتك غير محدودة ومكتبي لا مبتوة ولا مقدورة فإذا أنا من الأيام كل يوم في شأن جديد»، ويقول: «فصورتك الظاهرة تحلت في قوتي الخيالية وامتد سلطانها على حسي المشترك وهي رسم الشهامة وشبح الحكمة وهيكل الكمال فإليها ردت جميع محسوساتي وفيها فنيت مجتمع

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لرشيد رضا (٢٦٧/١).

مشهوداتي وروح حكمتك التي أحيا بها مواتنا وأنارت بها عقولنا وطفت بها نفوسنا بل التي بطنت بها فيما ظهرت في أشخاصنا فكنا أعدادك وأنت الواحد وغريك وأنت الشاهد ورسمك الفوتوغرافي الذي أقمته في قبلة صلاتي رقيباً على ما أقدم من أعمالي ومسطراً عليّ في أحوالني وما تحركت حركة ولا تكلمت كلمة ولا مضيت إلى غاية ولا اثننت عن نهاية حتى تطابق في عملي أحكام أرواحك وهي ثلاثة فمضيت على حكمها سعيًا في الخير وإعلاءً لكلمة الحق وتأييداً لشوكة الحكمة وسلطان الفضيلة ولست في ذلك إلا آلةً لتنفيذ الرأي المثلث ومالي من ذاتي إرادة حتى ينقلب مربعاً غير أن قواي العالية تخلت عني في مكاتبي إليك وخلت بيني وبين نفسي التزاماً لحكم أن المعلول لا يعود على علته بالتأثير على أن ما يكون إلى المولى من رقائم عبده ليس إلا نوعاً من التضرع والابتهاج لا أحسب فيه ما يكشف خفاء أو يزيد جلاء ومع ذلك فإني لا أتوسل إليك في العفو عما تتجده من قلق العبارة وما تراه مما يخالف سن البلاغة بشفيع أقوى من عجز العقل عن إحداق نظره إليك وإطلاق الفكر خشية منك بين يديك، وأي شفيع أقوى من رحمتك الضعفاء وحنوك لغلوبي حياءً، ويقول: «فقد قضت حكمتك القائمة منا مقام الإلهام في قلوب الصديقين»، ويقول أيضًا: «أما ما يتعلق بنا فإني على بيته من أمر مولاي وإن كان في قوة بيانه ما يشكك الملائكة في معبودهم والأنبياء في وحيهم، ولكن ليس في استطاعته أن يشكك نفسه في نفسه ولا أن يقنع عقله الأعلى بمحالات وإن كان في طوعه أن يقنع بها من أراد من الشرقيين والغربيين.

هذا بعض ما ورد في خطاب محمد عبده إلى أستاذه الأفغاني بتاريخ ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠٠هـ وهي عبارات ولا شك خطيرة توجب إعادة النظر في عقيدة الرجل عند من لا تخده عقوله الأسماء وقد استغرب السيد رضا نفسه هذه الرسالة من أستاذه حيث قال عند سياقه لها:

«ومن كتاب له إلى السيد جمال الدين عقب النفي من مصر إلى بيروت وهو أغرب كتبه بل هو الشاذ فيما يصف به أستاذه السيد مما يشبه كلام صوفية الحقائق والقائلين بوحدة الوجود التي كان ينكرها عليهم بالمعنى المشهور عنهم، وفيه من الإغراء والغلو في السيد ما يستغرب صدوره عنه، وإن كان من قبيل الشعريات، وكذا ما يصف به نفسه بالتبع لأستاذه من الدعوى التي لم تعهد منه البتة»<sup>(١)</sup>، ثم ساق نص الخطاب، ولم يلتزم السيد رشيد رضا الدقة كلها في نقل الرسالة فنراه يحذف بعض العبارات الخطيرة ويضع نقطاً وأحياناً لا يضع حتى النقط ويرجع حيناً أن يلطف من شدة انحراف بعض العبارات بتأويلات متكلفة، أما حذفه بعض العبارات فلعله وضع لنفسه مبرراً لذلك فقال في تقديم الخطاب: «ومن كتاب له إلى السيد جمال الدين».

هذه عبارات ولا شك خطيرة، ولكن ما هو أخطر وأشد ضلالاً ما ورد في خطاب آخر منه إلى السيد الأفغاني بتاريخ ٨ شعبان سنة ١٣٠٠هـ وإنني لأدعو القارئ أن يمعن النظر في كل حرف أنقله من الرسالة: «أما الآن وقد حبسني الجناب العالى نتيجة لأعماله فإني أصدع بأفكارى قواعد الملوك وأزعزع بهمتي أركان سطوة الجبروت وأدعو إلى الحق دعوة الحكيم.. ثم يقول: «بلغنا قبل وصول كتابكم الكريم ما نشر في «الدبا» من دفاعكم عن الدين الإسلامي (يا لها من مدافعة) ردًا على مسيو رينان فظنناها من المداعبات الدينية تخل عند المؤمنين محل القبول فحثنا بعض الدينين على ترجمتها لكن حمدنا الله تعالى إذ لم يتيسر له وجود أعداد «الدبا» حتى ورد كتابكم واطلعنا على العدين ترجمهما لنا حضرة الفاضل حسن أفندي بيه

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» للسيد محمد رشيد رضا (٥٩٩/٢).

## رياض الجنة في الرد

فصرفنا ذهن صاحبنا الأول عن ترجمتها<sup>(١)</sup> وتوسلنا في ذلك بأن وعدنا أن الأصل العربي سيحضر فإن حضر نشر ولا لزوم للترجمة فاندفع المكرور والحمد لله».

(١) نقل الأستاذ محمد حميد الله في مجلة الفكر الإسلامي - بيروت - السنة الثانية العدد الثاني في مقال «صلات ارنست رينان مع جمال الدين الأفغاني» نقل بعض العبارات التي جاءت في دفاع الأفغاني ومن الطريف أن الأستاذ حميد الله استغرب صدور هذه النصوص من جمال الدين واستبعد ذلك، ولو أنه قرأ خطاب محمد عبده - هذا - إلى الأفغاني وحرصه على عدم ترجمة هذا الدفاع من الأفغاني لأدرك صحة نسبته للأفغاني. أما النصوص فمنها: «عند قراءة المحاضرة (يعني محاضرة رينان التي يرد عليها الأفغاني) لا يقدر الإنسان على منع نفسه من التساؤل: «إن أصل تلك العوائق هل هو من دين المسلمين أو من خصائص الملل التي أكرهت بالسيف على قبول ذلك الدين».

ومنها: «وفي الحقيقة إن الدين الإسلامي حاول خنق العلم وسد جميع التطور ولذلك نجح في سد الحركات الفكرية والفلسفية وطرد الأذهان عن طلب الحقيقة العلمية».

ومنها: «كان هذا صحيحاً أن دين المسلمين يعيق من تطور العلم فهل يقدر أحد على أن يدعى عن هذه الطائفية سوف لا تزول يوماً؟ فقيم يختلف دين المسلمين في هذا من سائر الأديان؟ إن جميع الأديان لا سماحة عندها أبداً، كل واحد حسب شاكلته إن المجتمع النصراني الذي تحرر واستقل الآن يتقدم بادي الرأي سريعاً في سبيل التقدم والعلوم بينما المجتمع الإسلامي لم يتحرر إلى الآن من سلط الدين».

ومنها: «لا شك عندما سار الإسلام في البلاد التي تملكتها باستعمال الجبر والقهر ما هو معروف نقل إليها لغته وعاداته ومعتقداته وهذه البلاد لم تستطع إلى الآن من الخلاص من مخالفاته».

ومنها: «... ولماذا لم يزد العالم العربي مغطى بالظلمات العميق؟ في هذه الناحية تظهر مسؤولية الدين الإسلامي كاملة. ومن الظاهر أن هذا الدين حينما حل حاول خنق العلوم».

هذا بعض ما جاء في رد الأفغاني، ولذلك فلا عجب أن يكتب رينان في اليوم التالي معيقاً على رد الأفغاني: «إنه متفق مع جمال الدين تمام الاتفاق فيما ذكره في رده عليه». هذه النصوص نقلها الأستاذ محمد حميد الله من جريدة «جورنال ديه ديبا» الفرنسية المؤرخة في ١٨ مايو ١٨٨٣.

ثم قال في عبارة أشد انحرافاً وأدعى إلى تقييم عقيدته: «نحن الآن على ستك القويمة لا تقطع رأس الدين إلا بسيف الدين ولهذا لو رأيتنا لرأيت زهاداً عباداً ركعاً سجداً لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل».

عجبًا!! نحن الآن على ستك القويمة.. لا تقطع رأس الدين إلا بسيف الدين - ولهذا لو رأيتنا لرأيت زهاداً عباداً.. ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل؟!

هي هي دعوة باطنية يخفيها الرجالن ويسعين تحت ستارة الدين و«بسيف الدين» لقطع «رأس الدين»؟! وقيامهم بالصلوة أمام الناس هل هو سعي إلى القبض على سيف الدين؟! ثم تركهم للصلوة بعض الأحيان هل هو تنفيس «لضيق العيش» وعودتهم إليها حيناً لأجل «فسحة الأمل».

□ عاتب الشيخ يوسف النبهاني السيد رشيد رضا على صحبته لمحمد عبده وتسميته له بالأستاذ الإمام مع تركه للحج ولفرض الصلوة ولاشتراكه في المسؤولية فقال نظماً:

تملكه للشيطان عن قومه قسرا وعالم فاراب وأفهم قدرا ولم نر من هذا على ديننا ضرا وحج لباريز ولندره عشرة يسر بذا بل كان يتركها جهرا	وذاكرته في شيخه وهو عبده فقلت له لو كابن سينا زعمتم لقلنا لكم حقاً وإن كان باطلأ ولكنكم مع تركه الحج مرة <sup>(١)</sup> ومع تركه فرض الصلوة ولم يكن
---	---

(١) اعترف السيد رشيد بهذا وزعم أن المانع هو الخوف من إساءة السلطان عبدالحميد له! ونقول: إن الشيخ محمد عبده كان قادراً على الحج قبل سوء العلاقة بينه وبين السلطان هذا لو سلمنا أن سوء العلاقة كان مانعاً حقيقة!! ومن عucken من زيارة الأستانة نفسها في عهد السلطان عبدالحميد أفلأ يستطيع أن يحج إلى مكة المكرمة؟!.

## رياض الجنة في الرد

ومع كونه شيخ المسون مجاهراً  
ومع غير هذا من ضلالاته التي  
تقولون أستاذ إمام لدينا  
ونحن نراه عندنا شر فاسق

بذلك، لا يخفي أخوتهم سراً  
بها سار مثل السهم للجهة الأخرى  
فما أكذب الداعي وما أقبح الأمرا  
فيقتل فسقاً بالشريعة أو كفراً<sup>(١)</sup>

■ أما عن الشيخ الأفغاني فيقول الشيخ يوسف النبهاني: «إنه اجتمع به سنة ١٢٩٧هـ في مصر حين كان مجاوراً بالأزهر ولازمه من قبل الغروب إلى قرب العشاء فلم يصل المغرب»<sup>(٢)</sup>.

■ ومن أقوال الشيخ محمد عبده التي نؤاخذه عليها وصفه للأزهر بالأسطبل والمارستان والمخرب<sup>(٣)</sup> قوله لتلميذه رشيد: «إن من تطول مدة طلبه للعلم في الأزهر وأمثاله فإنه يفقد الاستعداد للعلم»<sup>(٤)</sup>.

وفي الحقيقة إن الباحث المدقق في مسار الفكر الإسلامي في تلك الأونة وما تلاها يجد الشيخ محمد عبده خلف كثير من الدعوات الهدامة والمبادئ المنحرفة لا أقول هذا تعصباً ضد الرجل فما تقولت عليه قوله وما نسبت إليه نصاً إلا عن مصدر موثوق وطريق مأمون.

نشر محمد أحمد خلف الله كتابه «الفن القصصي في القرآن الكريم» زعم فيه أن ورود الخبر في القرآن لا يقتضي وقوعه وإنه يذكر أشياء وهي لم تقع ويخشى على القرآن (!!) من مقارنة أخباره بحقائق التاريخ، وقال: «إننا

(١) «الرأية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغراء» ضمن كتاب «العقود اللؤلؤية في المذاهب النبوية» وكلامها للشيخ يوسف النبهاني ص(٣٨٣).

(٢) المرجع السابق ص(٣٧٢).

(٣) «تاريخ الأستاذ الإمام» (٤٩٥/١).

(٤) المرجع السابق (١٨١/١).

لا تخرج من القول: «بأن القرآن أسطير»<sup>(١)</sup>. وعندهما رفضت جامعة فؤاد هذه الرسالة دافع عنها أمين الخولي المشرف على الرسالة قائلاً: «إنها ترفض اليوم ما كان يقرره الشيخ محمد عبده بين جدران الأزهر منذ اثنين وأربعين عاماً»<sup>(٢)</sup>.

\* محمد عبده وتلميذه قاسم أمين:

□ ونشر قاسم أمين كتابه تحرير المرأة وفيه دعوة إلى نبذ الحجاب واطرافقه وإلى خروج المرأة إلى العمل في كل المجالات ودراسة كل العلوم وزعموا أن هذا تحرير المرأة وهو في الحقيقة تخريب للمرأة وتحرير لها من الكرامة التي صانها لها الإسلام.

□ وقصة الكتاب تبدأ حينما نشر أحد الكتاب الفرنسيين مقالاً هاجم فيه حجاب المرأة المصرية فكتب قاسم أمين دفاعاً عن الحجاب أغضب اللورد كرومك الذي جاء إلى مصر كما قال: ليمحو ثلاثة القرآن والكعبة والأزهر<sup>(٣)</sup> فأمر بوضع كتاب «تحرير المرأة»، وقيل: إن الذي أمر بوضعه الأميرة نازلي حفيدة إبراهيم باشا؛ لأنها غضبت من دفاع قاسم أمين عن الحجاب «والذين نسبوا الأمر إلى اللورد كرومك الذين نسبوه إلى «نازلي» يتذكون أن الأمر قد صدر إلى الشيخ محمد عبده، وأنه قد قام بدور كبير في تأليف الكتاب.. بل يرى بعضهم إنه هو الذي ألفه، ثم وضع على غلافه اسم قاسم أمين تحنجراً للحرج والعاصفة التي كانت ستذهب عليه مباشرة إذا ما وضع اسمه عليه، وهو الشيخ الأزهري ذو المناصب الدينية الكبرى، ومنها منصب

(١) «الفن القصص في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف الله ص (١٨٠).

(٢) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف الله تقديم أمين الخولي ص ٤٧.

(٣) «الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمين» لأنور الجندي ص (٢٩).

مفتى الديار المصرية»<sup>(١)</sup>

ولذلك فلا عجب أن يقول الأستاذ محمد عمارة الذي جمع مؤلفات ومقالات محمد عبده في كتاب «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» في ستة مجلدات بعد تحقيق دقيق لنسبتها إلى محمد عبده لا عجب أن يقول: «والرأي الذي أؤمن به والذي نبع من الدراسة لهذه القضية هو أن هذا الكتاب إنما جاء ثمرة لعمل مشترك بين كل من الشيخ محمد عبده وقاسم أمين... وأن في هذا الكتاب<sup>(٢)</sup> عدة فصول قد كتبها الأستاذ الإمام وحده، وعدة فصول أخرى كتبها قاسم أمين ثم صاغ الأستاذ الإمام الكتاب صياغته النهائية، بحيث جاء أسلوبه على نمط واحد هو أقرب إلى أسلوب محمد عبده منه إلى أسلوب قاسم أمين»<sup>(٣)</sup>، ثم ذكر بعد هذا مجموعة كبيرة من الأدلة على ذلك قدم بين يديها عدداً من القرائن.

منها موقف الأستاذ الإمام من الكتاب بعد صدوره فلقد أيدوه ودافعوا عنه بطريقة غير مباشرة وامتنع عن التعليق عليه أو المشاركة بشكل مباشر في المعرك التي دارت من حوله وبالذات عندما أراد خصومه إحراجه وطلبوه منه أن يفتني - بحكم منصبه الرسمي - في الموضوع.

أما دفاعه غير المباشر فيتمثل في وقوف الشيخ رشيد رضا ومجلة المنار إلى جانب الكتاب فلقد تناولت المنار الكتاب بالمدح والتبرير في أكثر من مرة واعتبرته مع رسالة التوحيد للأستاذ الإمام و«سر تقدم الإنجليز الساسونيين» الذي ترجمها فتحي زغلول أهم الأعمال الفكرية في ذلك العصر «المنار ١ يوليو ١٨٩٩م» كما تناولته بالثناء في عددي ١٥ يوليو ٢٦ أغسطس

(١) «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» جمع وتحقيق محمد عمارة (١٤٧ - ١٤٨).

(٢) يعني كتاب «تحرير المرأة» المنسوب لقاسم أمين.

(٣) «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» جمع وتحقيق محمد عمارة (١٤٩).

من العام نفسه<sup>(١)</sup>.

ووصف السيد رشيد رضا قاسم أمين بأنه العالم البارع في علوم الأخلاق والاجتماع<sup>(٢)</sup>.

□ وحينما أراد خصوم الشيخ إحراجه طبعوا سؤالاً موجهاً إليه هو: «هل رفع الحجاب عن المرأة وإطلاقها في سبيل حريتها بالطريقة التي يريدها صاحب كتاب المرأة الجديدة يسمح به الشرع الشريف أم لا؟»، ووزعوا هذا السؤال على الجمهور في صورة كتاب مفتوح إلى الفتى محمد عبده. عندما فعلوا هذا لزم الشيخ محمد عبده الصمت ودافعت المنار عن هذا الصمت قائلة:

- ١ - إن الاستفتاء جاء على خلاف المعهود بأن وزع على الجمهور.
- ٢ - إن الجواب عليه يستلزم قراءة الكتاب في حين أن الفتى مثل بالأعمال (!!).
- ٣ - إن من اطلع على الفتوى يحتاج إلى أن يقرأ الكتاب أولاً، فإذا كان ضاراً تكون الفتوى سبباً في إذاعة الضرر (!!).
- ٤ - إن فتوى الإمام ستكون على المذهب الحنفي الذي عينته الحكومة ليفتي على أساسه في حين أن بعض المذاهب قد أباحت كشف المرأة لوجهها ويديها<sup>(٣)</sup>.

أما الفصول التي أثبت الأستاذ محمد عمارة أنها للشيخ محمد عبده فهي «الحجاب الشرعي» و«الزواج» و«تعدد الزوجات» و«الطلاق» ثم قال

(١) المرجع السابق (٢٥٥/١).

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام» للسيد محمد رشيد رضا (١٠٥١/١).

(٣) مجلة المنار المجلد ٤ (٣٣ - ٣٤) في غرة ذي القعدة ١٣١٨هـ.

## رياض الجنة في الرد

عنها: «إنما هي فكر خالص وصياغة خالصة للأستاذ الإمام»<sup>(١)</sup> وأقول: إن هذه الفصول هي أهم ما في الكتاب.

﴿ وَمِنْ هُنَا نَدْرِكُ أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ عَبْدَهُ يَقْفَ خَلْفَ هَذِهِ الدُّعْوَةِ، وَلِذَلِكَ رَأَى الشَّيْخُ مُصطفىً صَبَرِيَّ أَنْ يَكْتُبَ تَحْتَ عَنْوَانَ «الْأَسْتَاذُ الْإِمامُ وَكَتَابُ اللَّهِ فِي كَفْتِيِ الْمِيزَانِ»: - «وَإِنِّي أَرَى الرِّسَالَةِ الْمُسْتَنْكَرَةِ - يَعْنِي رِسَالَةِ الْفَنِ الْقَصْصِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ» - وَمَا سَبَقَهَا فِي مِصْرٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْفَقْنِ الْمَائِلَةِ الْمَاسَةِ بِدِينِ الْإِسْلَامِ وَعَقَائِدِهِ الْمَحْفُوظَةِ إِلَى عَصْرِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ عَبْدِهِ كُلُّهَا نَاسِيَةٌ مِنَ الْأَسْسِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا هَذَا الشَّيْخُ الْمَلْقُوبُ بِالْأَسْتَاذِ الْإِمامِ.. فَلَا مَنَاصَ إِذْنَ لِلْقَضَاءِ عَلَى تِيَارِ الْفَتْنَةِ مِنْ مَصْدِرِهَا مِنْ أَنْ تَفْصِلَ الدَّعْوَى مَعِ الْإِمامِ دُونَ الْمُؤْتَمِنِ»<sup>(٢)</sup>.

وبعد..

فلعلي أقف هنا عن الحديث عن المأخذ على الشيخ محمد عبده.  
أما من كانت الحقيقة هدفه فلا شك أنه واجد فيما ذكرت ما يجلوها له.  
وأما من أعرض عن طلبها ووضع في ذهنه أصناماً وتماثيل لأشخاص  
بلغوا من القدسية حدّاً لا يقبل معه كلمة في حقهم، يعلو صوته ويحتدّ  
صراخه إن سمع نقداً لأحدهم في وقت لا يهيج فيه ولا يتعمّر وجهه حين  
يسمع السب والشتم فضلاً عن التجريح لأبي هريرة رضي الله عنه أو وهب بن منبه أو  
كعب الأحبار رضي الله عنه من محمود أبي رية وغيره من أتباع الأفغاني ومحمد عبده.  
إن مثل هذا لا نأبه له في حديثنا هنا ولم نكتب هذا لإقناعه لأنَّه  
وأمثاله ليس في مستطاعنا ولا مستطاع غيرنا إقناعهم إلا أن يهديهم الله إلى

(١) «الأعمال الكاملة» للإمام محمد عبده جمع وتحقيق محمد عمارة (٢٥٨/١).

(٢) « موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين» لمصطفى صبرى (٣٤٦/١).

الحق وإلى سبيل الرشاد وحينذاك فيقرأوا حديثنا مرة أخرى .  
ومن وجد فيما كتبنا فهما خاطئاً أو تأويلاً باطلأ فليرشدنا إلى الحق وله  
منا الدعاء الحسن فما كتبنا إلا للحقيقة وما طلبنا إلا إياها فهي ضالتنا وهي  
مرادنا فيما نكتب وفيما نقول والله الهادي إلى سواء السبيل»<sup>(١)</sup> .

﴿ وذهب الشيخ محمد عبده إلى أن حكم المؤمن القاتل عمدًا هو  
الخلود في النار ، وأنه لا توبة له مطلقاً ، وهذا مخالف لاعتقاد السلف الذين  
فسروا وأولوا الخلود بطول المكث .

﴿ وخالف فهم السلف للوحي فقال : « بأنه عرفان يجده الشخص من  
نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة ، والأول بصوت  
يتمثل لسمعه أو بغير صوت»<sup>(٢)</sup> ، ويقول : «إن روح النبي منطوية على الدين  
في جملته من قبل أن ينزل عليه الوحي بتفاصيل مسائله»<sup>(٣)</sup> !! .

﴿ وذهب الشيخ محمد عبده إلى إباحة الربا لضرورة الوقت فقال : «إن  
أهل بخارى جوزوا الربا لضرورة الوقت عندهم والمصريون قد ابتلوا بهذا  
вшدّد الفقهاء على أغنياء البلاد فصاروا يرون أن الدين ناقص !!!»<sup>(٤)</sup> .

﴿ وتبعه الشيخ محمد مصطفى المراغي في مراعاته للزمان والمكان حين  
قال لأعضاء لجنة الأحوال الشخصية : «ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق  
الزمان والمكان وأنا لا يعوزني بعد ذلك أن آتكم بنص من المذاهب الإسلامية  
يطابق ما وضعتم»<sup>(٥)</sup> .

(١) «منهج المدرسة العقلية الحديثة» ص (١٤٩ - ١٦٩).

(٢) «رسالة التوحيد» لمحمد عبده ص (١٠٨).

(٣) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (١٤/٢).

(٤) «تاريخ الأستاذ الإمام» (٩٤٤/١).

(٥) «المجددون في الإسلام» لعبدالتعال الصعيدي ص (٥٤٨) ، و«تراجم الأعلام المعاصرين»  
لأنور الجندي ص (٤٢٨).

\* موقف المدرسة العقلية الحديثة من بعض القضايا الاعتقادية والقرآنية :

□ يقول الدكتور فهد الرومي في كتابه القيم : «نخلص من دراستنا هذه أن لذهب المدرسة العقلية الحديثة أبعاداً ثلاثة نراها قوية شامخة في التكوين الأساسي للمدرسة العقلية نذكر هذه الأبعاد الثلاثة إجمالاً ثم نستخلص بعد هذا النتيجة التي نراها والموقف الذي يجب أن نقفه نحن المسلمين على ضوء هذه النتيجة :

#### الأبعاد الثلاثة :

أولاً: أن هذه المدرسة أعطت العقل أكثر من حقه وكلفته ما لا يطيق ورفعت من قيمته وضيخت حجمه حتى ساوته بالوحي بل قدمته عليه وقدمت ما زعمته من أحكامه على أحكام الوحي .  
وسعت في هذا السبيل لأجل «تضييق» حيز الغيبيات في مسائل العقيدة الإسلامية .

ثانياً: قامت هذه المدرسة بتأويل حقائق العقائد الإسلامية بما يتمشى مع الأحكام العقلية من جهة ومكتشفات الحضارة الغربية والنظريات العلمية الغربية من جهة أخرى .

وفي سبيل ذلك أيضاً قامت بتأويل المعجزات والخوارق وإنكار بعضها ، إذا لم يكن قلب حقيقته بما يتمشى مع هذا البعد الفكري .

ثالثاً: تبرير تناول الحضارة الغربية ومجاراتها في مدنيتها الزائفة والتحوير من الداخل لإعطاء السند الفكري والدعم الديني لمعطيات الحضارة الغربية وتقويب الهوة التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين تقريباً كان على حساب كثير من الجوانب الإسلامية التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية .

تكلكم هي الخطوط العريضة والأبعاد الراسخة التي نراها في منهج

المدرسة العقلية.

ونتيجة لذلك فإننا نعتقد :

أولاً : أن المدرسة العقلية الحديثة ذات منهج منحرف ، وهي بسلوكها إياه تعد فرقة منحرفة جديدة أقرب ما تكون إلى فرقة المعتزلة فهم كالمعتزلة .

أ - في تحكيم العقل والرجوع إلى أحکامه ورفعه إلى مرتبة الوحي ، وهم لو حكموا العقل نفسه لسلمنا لهم ، لأن أحکامه بنفسه لا تخالف حکماً ثابتاً في الشريعة الإسلامية أو قضية من قضاياه وهم إنما يحكمون العادة فيحسبون ما خالف العادة مخالفًا للعقل .

ب - وهم كالمعتزلة في إنكار المعجزات أو تأويلها .

ج - وهم كالمعتزلة أيضًا في كثير من الغيبيات كالملائكة والجن والسحر وغيره .

د - وهم كالمعتزلة في إنكار كثير من الأحاديث الصحيحة حتى ما رواه البخاري ومسلم .

ه - وهم كالمعتزلة في عدم تعديل الصحابة كلهم بل تجاوز بعضهم ذلك كبعض المعتزلة إلى سب الصحابة رضي الله عنه .

و - وإنهم كالمعتزلة في اعتقاد خلود أهل الكبائر في النار .

ومن هذا ندرك وضوح الصلة ووجه الشبه بينهم وبين المعتزلة .

ثانياً : أنهم يزيدون على المعتزلة بالدعوة للتقرير بين المسلمين والكافر (النصارى واليهود) وتبرير تناول الحضارة الغربية ومجاراتها في مدنيتها الزائفة .

بل إنهم أخطر من المعتزلة ذلك أنهم يسعون بكل ما وسعهم لتغيير المفهوم الإسلامي في معاملة الكفار وإلغاء الفاصل وال حاجز بين الفكر الحق

## رياض الجنة في الرد

وال الفكر الضال أو المنحرف وإذا ما ألغى جانب العقيدة في ميزان التفاضل، فإن الكفة سترجح حتماً بنا وسيصبح الكفار آنذاك هم الأفضل والأقوى ومن ثم تكون لهم السيطرة وتكون لهم الدولة وحيثئذ تكون خسارتنا للدين والدنيا.

وهو ما يسعى إليه الاستعمار وسهر من أجله الليالي ودفع جيوشه المادية والمعنوية وبث رجاله المستشرقين والمخدوعين - لأجله.

ثالثاً: إن الكثير من مفاهيمهم ومبادئهم هي السائدة في الفكر الإسلامي المعاصر وما ذاك إلا أثر من آثار فرض الاستعمار بادئ ذي بدء آراءهم على الناس وترويجه لهم وتجيد المستشرقين لهم حتى إذا ما سار ذلك بين الناس أخذوا يتبنونه بأنفسهم ويعلنونه في مؤلفاتهم ويدافعون عنه حتى أصبح أو كاد من المسلمات.

وأصبح رجال المدرسة العقلية عندهم من الرجال الذين لا يقبل فيهم نقد أو يصل إليهم قدح.

رابعاً: أنهم مهدوا السبيل لسيطرة الفكر الغربي واتخذهم الأعداء مطيّعيلون من خلالها على زلزلة عقيدة المسلمين وتشكيكهم بها ومحاربة الإسلام في عقر داره ليس عن طريق نشر المؤلفات فحسب بل عن طريق الصحافة وطريق السينما والتليفزيون والإذاعة وكل وسائل الإعلام الأخرى.

ثم عمل الاستعمار على إطفاء ما بقي من نار الغيرة على الشعائر الإسلامية بل على الدين كله في قلوب الشباب فأصبحوا لا يحرك ساكناً فيهم ما يحدث في المسلمين في الفلبين أو في الهند أو في أفغانستان أو في فلسطين أو في غيرها من مختلف البلدان، لا يحرك هذا فيهم ساكناً عند سماعه فضلاً عن أن يهبو زرافات ووحداناً.

خامساً: لم تكن نتيجة ذلك ذات أثر على الأفراد فحسب بل على كثير

من الدول التي نبذت الفقه والفقهاء الإسلاميين واستبدلت القوانين الوضعية بالفقه الإسلامي وتركت تقليد أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد أو غيرهم من الفقهاء واستمدت جل دستورها من القوانين الأوروبية الحديثة.

وبعد . . .

□ فما الموقف منهم الذي يجب إعلانه هنا؟ لا أريد أن استطرد في الحديث هنا بل أخوض الموقف بأسطر أحسب فيها الكفاية.

لا شك أن الواجب يقتضي أن نعيد النظر في رجال هذه المدرسة العقلية أنفسهم ونعيد تقييمهم وفق الميزان الإسلامي الحق ونعلن للناس كافة حقيقتهم ونجلو لهم علانية زيف منهجهم ونبين موقع ضلاله وموقع انحرافه.

- نعيد تقييمهم تقييماً حقاً لا يراعي بحال من الأحوال ما هو سائد بين الناس عنهم.

- وحين نصل إلى نتيجة ذلك نعلن بها العلماء قبل العامة لينشروه بين الناس كافة.

وحيثند نعيد ترتيب الأمور على الميزان الحق أحسب هذا الأمر يقال في لحظة، ويكتب في لحظتين ولكن تنفيذه يريد عزمه إسلامية خالصة تطوي الزمن طيأً فيحصل ما يحتاج إلى قرون عديدة في سنوات قليلة ويكون صلاح هذا الدين في هذا العصر كصلاحه في أوله<sup>(١)</sup>.

ولنأخذ من انحرافاتهم أمثلة:

أولاً: الأحاديث الواردة في أشراط الساعة ومنها أحاديث المهدى والدجال وطلع الشمس من مغربها وقد بلغت حد التواتر يردونها.

يرد الشيخ رشيد رضا أيضاً حديث الجساسة وقد ورد في صحيح مسلم

---

(١) «منهج المدرسة العقلية الحديثة» ص(٨٠٩ - ٨١٢).

## رِيَاضُ الْجَنَّةِ فِي الرَّدِّ

يقول: «وَجَمْلَةُ الْقَوْلِ فِي حَدِيثِ الْجَسَّاسَةِ أَنَّ مَا فِيهِ مِنَ الْعُلُلِ وَالْخِتْلَافِ وَالْإِشْكَالِ مِنْ عَدَةِ وُجُوهٍ يَدْلِي عَلَى أَنَّهُ مَصْنَوعٌ، وَأَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ صَحَّتِهِ لَيْسَ لَهُ كُلُّ حُكْمٍ مَرْفُوعٌ»<sup>(١)</sup>.

□ وَهُمْ يَؤْوِلُونَ حَقَائِقَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَنْ نَشَرِ الصُّورِ، وَأَخْذِ الْكِتَابِ بِالْيَمِينِ أَوْ بِالشَّمَاءِ أَوْ الْمِيزَانِ.

«أَمَّا نَشَرُ الصُّورِ الْوَارِدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الصُّورُ نُشِرتُ﴾ [التَّكْوِينُ: ١٠]، فَيَقُولُ عَنِ ذَلِكَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عَبْدُهُ: «الصُّورُ الَّتِي تُنْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدِ الْبَعْثِ هِيَ صُورُ الْأَعْمَالِ وَالَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا اعْتِقَادُهُ أَنَّ أَعْمَالَ الْعَبَادِ تَظَهُرُ لَهُمْ ثَابَةً مُبِينَةً لَا يَرْتَابُونَ فِيهَا يَوْمُ الْجَزَاءِ وَيَعْبُرُ عَنْ مَعْنَى ذَلِكَ الْبَوْتِ وَالْبَيَانِ بِنَشَرِ صُورِ الْأَعْمَالِ أَمَّا كُونُ الصُّورِ عَلَى مَثَلِ الْأُوراقِ الَّتِي تُنَكَّبُ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا أَوْ عَلَى مَثَلِ الْأَلْوَاحِ أَوْ مَا يَشَبَّهُ ذَلِكَ مَعْنَى جُرْدِ اسْتِعْمَالِهِ لِلْكِتَابَةِ عَلَيْهِ. فَذَلِكَ مَا لَا يَصْلُحُ عِلْمَنَا إِلَيْهِ وَلَنْ يَصْلُحُ إِلَيْهِ بِمَجْرِدِ الْعُقْلِ وَلَمْ يَرُوْ عَنِ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِمْ فِيهِ نَصٌّ قَاطِعٌ»<sup>(٢)</sup>.

أَمَّا أَخْذِ الْكِتَابِ بِالْيَمِينِ أَوْ بِالشَّمَاءِ الْوَارِدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الْإِنْشَقَاقُ: ٨، ٧] الْآيَاتُ فِي فِسْرِ ذَلِكَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ عَبْدِهِ بِقَوْلِهِ: «فَإِيَّاتِهِ الْكِتَابُ بِالْيَمِينِ أَوِ الْيَسَارِ أَوِ وَرَاءِ الظَّهَرِ تَمْثِيلٌ وَتَصْوِيرٌ لِحَالَةِ الْمَطْلَعِ عَلَى أَعْمَالِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ إِذَا كَشَفَ لَهُ عَمَلُهُ ابْتَهَجَ وَاسْتَبَشَرَ وَهُوَ التَّنَاوُلُ بِالْيَمِينِ وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا تَكَشَّفَ لَهُ سَوَابِقُ أَعْمَالِهِ عَبِسَ وَبَسَرَ وَأَعْرَضَ عَنْهُمَا وَأَدْبَرَ وَتَنَى لَوْلَمْ تَكَشَّفَ لَهُ - وَهَذَا هُوَ التَّنَاوُلُ بِالْيَسَارِ أَوِ وَرَاءِ الظَّهَرِ، وَبِهَذَا اتَّفَقَ الْمُعْنَيَانِ فِي

(١) «تَفْسِيرُ النَّارِ» لِرَشِيدِ رَضَا (٤٥١/٩).

(٢) «تَفْسِيرُ جَزْءِ عَمٍ» لِمُحَمَّدِ عَبْدِهِ ص (٢٧ - ٢٨).

الآيتين ولم تبق حاجة إلى الجمع بين الشمال ووراء الظهر باختراع معنى لا يليق بكتاب الله كما جرى عليه كثير من المفسرين<sup>(١)</sup>.

إذن فهم يحملون هذه النصوص القرآنية الصريحة عن بعض أحوال يوم القيمة على أنها تمثيل وتصوير لا حقيقة واقعة، فحمل عرش ربكم تمثيل لكمال عزته وأخذ الكتب باليمين أو الشمال تمثيل وتصوير لا حقيقة فالتناول باليمين يراد به الاستبشار والابتهاج والتناول بالشمال يراد به العbos، وكذا النفح في الصور تمثيل وتصوير.

وهذا الحمل منهم وهذا التأويل كثير جداً وهم أيضاً لا يقترون به كما علمنا على الأخبار في المستقبل بل عموا به الأخبار القرآنية في الماضي أيضاً وهي القصص القرآنية وقد سبق لنا الحديث عن ذلك. هذا ولا شك منه<sup>صال</sup><sup>(٢)</sup>.

### \* وفي القضاء والقدر:

أدى بهم تحكيم العقل والعقل وحده إلى رأي مختلف في تلکم العقيدة اختار بعضهم مذهب الجبرية وختار الآخرون مذهب الاختيار وهم هنا وهناك يزعمون أنهم يستندون إلى الأدلة العقلية.

ثم ومع هذا تلبس عليهم الأمور وتختلط عليهم الحقائق فيضطربون في معرفة السبيل الحق ويعلنون حيرتهم بل ويقر أحدهم بما هو أشنع وهو تظاهره بالمعرفة أمام من يسميهم البسطاء حتى ينفي عن نفسه صفة الجهل مع إقراره بجهله حل هذه المسألة وزعمه أن كل حل لها قابل للنقد والرد!

بل وعجز أستاذ المدرسة عن التوفيق بين ما قام عليه الدليل من إحاطة

(١) «تفسير جزء عم» لمحمد عبده ص(٥٢ - ٥٣).

(٢) «منهج المدرسة العقلية الحديثة» ص(٥٣٠ - ٥٣١).

## رياض الجنة في الرد

علم الله وإرادته وبين ما تشهد به البداهة من عمل المختار فيما وقع عليه الاختيار، وزعم أن هذا طلب لسر القدر الذي نهينا عن الخوض فيه. وأنه اشتغال بما لا تكاد تصل العقول إليه. وكأن كل ما عجزت عن الوصول إليه تلك العقول فلا يصح الاعتقاد به والإيمان والتسليم، وإن وردت به الآيات الكريمة من القرآن.

رأيتم أي ضلال يوصل إليه تحكيم العقل والإعراض عن النقل ذلكم ما نذكره هنا. ومذهب أهل السنة والجماعة هو الأسلم والأعلم والأحكم في عقيدة القضاء والقدر.

### \* المعجزات :

المعجزات ولا شك حجة للرسول لا ينكر حجيتها إلا مغالط خاضع للهوى أو للجهل.

والمعجزات عند المدرسة العقلية الحديثة مثار شبهات أو تأويلات في روایتها أو في صحتها أو في دلالتها.

ويرى محمد عبده أن الأديان السابقة لم تكن أدلتها تقوم على حجج عقلية بل تقوم على العداء للعقل نتائجه ومقدماته، وتقوم على الإدھاش بالمعجزات والإلهاء بالخيالات.

ومعجزات الأنبياء قبل بعثة نبينا ﷺ لا يحيل وقوعها رجال المدرسة العقلية بل هي عندهم «جائزة عقلاً» أي التي ليس فيها اجتماع النقصين ولا ارتفاعهما فلا مانع من وقوعها بقدرة الله تعالى في يد النبي من الأنبياء ويجب أن نؤمن بها على ظاهرها<sup>(١)</sup> ، ولكنهم يخسرون هذا بفترة ما قبل رسالة محمد ﷺ أما في عصره عليه الصلاة والسلام «فانتهى بذلك زمن

(١) «تفسير المنار» (١/٣١٤ - ٣١٥).

المعجزات ودخل الإنسان بدين الإسلام في سن الرشد فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبة له إلى الإيمان.

□ ويرى الشيخ محمد عبده أن المعجزات إنما هي لأولئك الأقوام الذين لم ترق عقولهم إلى فهم البرهان ولا يضر الإسلام أن يروي تلك المعجزات فمجرد روايته لها لا ينفي عنه أنه دين العقل ما دام لم يرد فيه شيء منها. يقول الشيخ عبده: «فإيماننا بما أيد الله تعالى به الأنبياء من الآيات لجذب قلوب أقوامهم الذين لم ترق عقولهم إلى فهم البرهان لا ينافي كون ديننا هو دين العقل والفطرة وكونه حتم علينا الإيمان بما يشهد له العيان من أن سنته تعالى في الخلق لا تبديل لها ولا تحويل»<sup>(١)</sup>.

إلى هذا ذهب رجال المدرسة العقلية الحديثة في أمر معجزات الأنبياء السابقين أثبتوا وقوعها وأنكروا حجيتها وتأثيرها عند أهل العقول الراقية؟!

#### \* معجزات محمد ﷺ :

ولهم في أمر معجزاته ﷺ رأي آخر هو غير ذاك بل هو أشد منه خطراً ذلكم أنهم أنكروا معجزاته عليه الصلاة والسلام كلها سوى معجزة القرآن الكريم وجردوا نبوته من أي معجزة أخرى وسلكوا في ذلك سلباً. إما بإنكار صحتها وإما بتفسيرها بأمر لا تكون به معجزة وأقربهم إلى الحق على بعده عنه من أثبت بعضها، ولكن أنكر أن يكون ورودها لإقامة الحجة على نبوته ﷺ بل هي رحمة من الله تعالى وعناء به ﷺ وب أصحابه في الشدائـد.

□ يقول الشيخ محمد عبده: «نبي صدق الأنبياء ولكن لم يأت في الإقناع برسالته بما يلهي الأ بصار أو يحير الحواس أو يدهش المشاعر، ولكن

(١) «تفسير المنار» (١/٣١٥).

طالب كل قوة بالعمل فيما أعدت له واختص العقل بالخطاب وحاكم إليه الخطأ والصواب وجعل في قوة الكلام وسلطان البلاغة وصحة الدليل مبلغ الحجة<sup>(١)</sup> ، ويقول: «ودخل الإنسان بدين الإسلام في سن الرشد فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبة له إلى الإيمان وتقويم ما يعرض للفطرة من الميل عن الاعتدال في الفكر والأخلاق والأعمال كما كان في سن الطفولية التوعية بل أرشده الله تعالى بالوحى<sup>(٢)</sup> ، وقال أيضاً: «فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري فلا يدهشك بخارق للعادة، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخross لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية<sup>(٣)</sup> .

وتجريدهم نبوة محمد ﷺ من العجزات أدى بهم إلى أن عدوا الإقرار بعقريته كسباً عظيماً للقائلين بنبوته، وهم يحسبون العبرية إذا كانت من طراز خاص هي النبوة أو قريب منها، يؤيد هذا الوصف ذلكم التعريف الذي جاء به شيخهم للنبوة وهو يريد أن يأتي بكل ما هو جديد لأنه «سئم من الاستمرار على ما يألفون واندفع إلى طلب شيء مما لا يعرفون»<sup>(٤)</sup> ، فكان مما جاء به مما لا يعرفون ذلكم التعريف للنبوة الذي أورده في تعليقاته على شرح الجلال الدواني للعقائد العضدية حيث يقول: «قد يعرف النبي بإنسان فطر على الحق، علمًا وعملاً، بحيث لا يعلم إلا حقاً، ولا يعمل إلا حقاً، على مقتضى الحكمة، وذلك يكون بالفطرة، أي لا يحتاج فيه إلى

(١) «رسالة التوحيد» لمحمد عبد ص(١٤٣).

(٢) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (٣١٥/١).

(٣) «الإسلام والنصرانية» لمحمد عبد ص(٦٨).

(٤) «تاريخ الأستاذ الإمام» (١١/١).

الفكر والنظر، ولكن التعليم الإلهي، فإن فطر أيضًا على دعوةبني نوعه إلى ما جبل عليه فهو رسول أيضًا وإنما فهونبي فقط، وليس برسول<sup>(١)</sup> ثم يصنف تعريفه هذا بالدقة ويوصي بالتفكير فيه «فتذكر فيه فإنه دقيق».

ذلكم هو التعريف «الجديد» الذي جاء به شيخ المدرسة، وكان أولئك التلاميذ الذين عملوا بعبادئ شيخهم يعدون إثبات عبقرية محمد كسباً عظيمًا للقائلين بنبوته، وما ذلكم إلا بعد أن جردوا نبوة محمد عليه الصلاة والسلام من المعجزات ورأوها بعد تجريدتها لا تعدو العبرانية فقالوا بها ودعوا إليها وألزموا أنفسهم بأنفسهم.

فلا عجب إذن أن يرد الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في الدولة العثمانية هذا التعريف للنبوة والرسالة من الشيخ عبده ويرفضه بقوله: «وأنا أقول ليس في تعريف الشيخ شيء من خصائص النبوة والرسالة لا وحي ولا ملك مرسل ولا كتاب متزل ولا معجزة، وعليه فمن أين يعرف كونه «لا يعلم إلا حقاً ولا يعمل إلا حقاً» من أين يعرفه هو نفسه؟ ومن أين يعرفه بنو نوعه إذا دعاهم؟ نعم في تعريف الشيخ «ولكن التعليم الإلهي» لكنه يمكن حمل هذا التعليم أيضًا على الفطرة، ثم يرد عليه السؤال المذكور: من أين يعرف أنه تعلم إلهي؟<sup>(٢)</sup>

ثم يذكر الشيخ مصطفى صبري أن القصد من قيد «التعليم الإلهي» ذر شيء من الرماد في بعض الأعين أو دس في الكلام لا من نوع دس السم في الدسم بل من نوع دس الدسم في السم<sup>(٢)</sup>.

ذلكم التعريف ونحوه من أقوال الشيخ محمد عبده كانت منهجاً

(١) «الشيخ محمد عبده بين الفلسفه والكلامين» تحقيق سليمان دنيا (٤/٣ - ٤).

(٢) « موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين» لمصطفى صبري (٤/٤ - ٤٢).

للاميده من بعده في إنكار المعجزات بيانكار حجيتها ونفيها عن الدين الإسلامي وكأنها عيب أو نقص يجب تطهير الإسلام منه.

وقدروا معجزات نبينا محمد ﷺ على معجزة القرآن الكريم ووصفوها بأنها معجزة عقلية وكأنهم بهذا القصر يريدون إنقاذ حياته عليه الصلاة والسلام من شائبة المعجزات الكونية المخالفة للعلم وسنن الكون.

ولأجل هذا الهدف تجرأوا على ما ورد من الروايات الصحيحة في السنة بعض المعجزات فأبطلوها وتجرأوا على رواتها فقد حروا فيهم وجروحهم ولم يفرقوا أو أكثرهم بين صاحبي أو تابعي أو سواهم.

﴿بقي هنا أمر يرد عليهم في إبطال ما ورد من المعجزات لنبينا ﷺ وقصر معجزاته على معجزة القرآن الكريم يرد هذا الإشكال عند تفريقهم بين المعجزات والقرآن ويورده الشيخ مصطفى صبري «ثم ليعلم الذين يتنازلون عن معجزات نبينا الكونية ويقترون معجزته على القرآن إرضاءً لتفكير المعجزات والخوارق من المستشرقين وتفضيلاً لموافقتهم في عقلية الإنكار على تجسيم معارضتهم. إن القرآن مهما حبب إليهم وأعجبوا به فلا يبلغ تقديرهم وإعجابهم مبلغ اعتباره معجزة تثبت بها نبوة محمد ﷺ وقد يطمع منهم أن يعدوه أفضل كتاب في الدنيا وضعه البشر أما أنه كلام الله أنزل على خاتم الأنبياء ليكون له معجزة النبوة فأمر خارق لسنة الكون لن يقبله منكره المعجزات والخوارق. وما دام أناس من المسلمين وفيهم معالي مؤلف «حياة محمد» ينكرون معجزاته الكونية لا لعدم استنادها إلى الروايات الصحيحة بل لكونها أيضاً مخالفة لسنة الكون مخالفة للعلم، مخالفة لمقتضى العقل فكيف يتنتظر من المستشرقين الذين لا يدينون بالإسلام أن يقبلوا القرآن على أنه من المعجزات الخارقة أعني أنه كلام الله لا كلام سيدنا محمد؟ فالواجب إذن أن

يداوي أساس الداء وتقاوم حملات المنكرين من جيابها»<sup>(١)</sup>.

### \* إحياء الموتى :

\* قال الله تعالى: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَخَذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» إلى قوله سبحانه: «وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْأَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» ٧٢ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعِصْبِهَا كَذَلِكَ يُعْنِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» [البقرة: ٧٢ - ٧٣].

ولقد حملت المدرسة العقلية الحديثة هذه القصة على أنها تمثيل لا حقيقة بل إن الشيخ - عبده - وتلميذه - رشيد حملأ القصة على أنها نوع من التشريع الذي كان موجوداً في زمن بني إسرائيل لأجل الوصول إلى معرفة القاتل المجهول في هذه الحادثة وأمثالها لا على أنها وردت في حادث معين ظهرت فيه معجزة لموسى عليه السلام وهم يستندون في زعمهم هذا إلى ما ورد في التوراة قال الشيخ محمد عبده: «يقول أهل الشبهات في القرآن أن بني إسرائيل لا يعرفون هذه القصة إذ لا وجود لها في التوراة فمن أين جاء بها القرآن؟ ونقول: إن القرآن جاء بها من عند الله الذي يقول في بني إسرائيل المتأخرین أنهم نسوا حظاً ما ذكروا به وإنهم لم يؤتوا إلا نصيباً من الكتاب على أن هذا الحكم منصوص في التوراة وهو أنه إذا قتل قتيل لم يعرف قاتله فالواجب أن تذبح بقرة غير ذلول في واد دائم السيلان ويغسل جميع شيوخ المدينة القريبة من المقتل أيديهم على العجلة التي كسر عنقها في الوادي، ثم يقولون: إن أيدينا لم تسفك هذا الدم اغفر لشعبك إسرائيل ويتلون دعوات يبرأ بها من يدخل في هذا العمل من دم القتيل، ومن لم

(١) « موقف العقل والعلم والعلم من رب العالمين وعبادة المسلمين» لمصطفى صبري (٤/١١١).

يفعل يتبيّن أنّه القاتل، ويراد بذلك حقن الدماء فيحتمل أن يكون هذا الحكم هو من بقايا تلك القصة أو كانت هي السبب فيه وما هذه بالقصة الوحيدة التي صاحبها القرآن ولا هذا الحكم بالحكم الأول الذي حرفوه أو أضاعوه وأظهروه الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وشنّد أزره بهذا الرأي السيد محمد رشيد رضا بقوله: «وأقول: إن ما أشار إليه الأستاذ من حكم التوراة المتعلق بقتل البقرة هو في أول الفصل الحادي والعشرين من سفر تثنية الاشتراك ونصه<sup>(٢)</sup>، ثم ساق النص وهو قريب مما ذكره شيخه، ثم قال بعد هذا: «والظاهر مما قدمنا أن ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل في الدماء عند التنازع في القاتل إذا وجد القتيل قرب بلد ولم يعرف قاتله ليعرف الجاني من غيره، فمن غسل يده وفعل ما رسم لذلك في الشريعة برئ من الدم ومن لم يفعل ثبتت عليه الجنابة»<sup>(٣)</sup>.

□ ومن هذا ترى كيف حملوا القصة على أنها حكم شرعي عندهم لا على أنها أمر طارئ أظهر الله به معجزة هي إحياء الميت على يد موسى عليه السلام أمام قومه ليعتبروا بها ولتكون حجة لإثبات المعاد وليريهما الله كيف يحيي الموتى.

□ وإنما لفي حيرة من ذلكم الشيخ وتلميذه اللذين امتلأت كتبهما تشدق بالتحذير من الإسرائيليات وذمهمما وتجريحهما لكتاب الأحبار و وهب بن منبه لرواية الإسرائيليات إلا أن الشيختين الفاضلين هنا لا يجدان غضاضة أن يصرفا آيات القرآن الكريم عن ظاهرها ليس استناداً إلى آيات أخرى ولا إلى سنة نبوية ولا إلى حكم عقلي صحيح يوجب هذا وإنما استناداً إلى ما جاء

(١) «تفسير المنار» لـ محمد رشيد رضا (٣٤٧/١).

(٢) المرجع السابق (١/٣٤٧ - ٣٤٨).

(٣) المرجع السابق (١/٣٥١).

في التوراة واعتباره ثابتاً صحيحاً معتمداً يجوز صرف القرآن عن ظاهره وتأويله على مقتضاه، وتقرباً إلى أولئك الإفرنج الذين أنكروا وجود هذه القصة في التوراة، فألزم هذان الشيخان نفسهما بصرف الآيات عن ظاهرها إلى معنى توافق فيه ما جاء في التوراة حتى يرضى عنهم أولئك الإفرنج.

وهم حين يفعلون هذا بالقصة فإنما يفعلونه ليتسنى لهم إبطال معجزة موسى عليه السلام وتأويل إحياء الموتى الوارد في الآيات على المعنى الحقيقى إلى معنى مجازى قال السيد رشيد رضا: «ومعنى إحياء الموتى على هذا حفظ الدماء التي كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف في قتل تلك النفس أي يحييها بمثل هذه الأحكام وهذا الإحياء على حد قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾، قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ فالإحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى في الآيتين. ثم قال: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ بما يفصل بها في الخصومات، ويزيل من أسباب الفتنة والعداوات فهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ وأكثر ما يستعمل مثل هذا التعبير في آيات الله في خلقه الدالة على صدق رسالته وليس عندي شيء عن شيخنا في تفسير هذه الجملة، ولكنه قال في تعليلها ما يرجع القول الأول وهو ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي تفقهون أسرار الأحكام وفائدة الخضوع للشريعة فلا تتوهمون أن ما وقع مختص بهذه الواقعة في هذا الوقت، بل يجب أن تتلقوا أمر الله في كل وقت بالقبول من غير تعتنٍ<sup>(١)</sup>.

ويرجع الدكتور رمزي نعناعة هذا السلوك من السيد رشيد إلى المبالغة في تحكيم العقل ثم يكشف ما يؤدي إليه هذا القول من إلحاح فيقول: «ونقول أخيراً للسيد رشيد إن مبالغته في تحكيم العقل جعله يستبعد حصول مثل هذه المعجزة لسيدهنا موسى عليه السلام، فمن ثم أول الآية لصالح التوراة! ولا

(١) «تفسير المنار» (١/٣٥١).

أدرى كيف خفي عليه - وهو المدافع عن الإسلام - أنه يوجد في هذا الزمن نوع من الإلحاد الخفي المال، وهو تأويل كل آية أو حديث صحيح يدل على معجزة رسول من الرسل، حتى يكون مفادها أمراً غير خارق للعادة وهذا النوع أخطر أنواع الإلحاد؛ لأنه سبيل إلى إنكار الأديان السماوية، وإلى هدمها من أساس؛ لأن أساس إثباتها المعجزات التي أجرتها الله على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>.

ذلكم تأويل الشيخ عبده والسيد رشيد لهذه المعجزة.

تقريباً إلى أولئك الإفرنج المستشرقين ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَبَعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

#### \* من معجزات عيسى عليه السلام:

\* قال الله سبحانه وتعالى مثيناً معجزة لعيسى عليه السلام أظهرها سبحانه على يديه: ﴿وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَالْتَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ﴾ ٤٨ ورسولاً إلى بني إسرائيل أتي قد جشتكم بآيةٍ من ربكم أتي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفع فيه فيكون طيراً بإذن الله<sup>﴾﴾</sup> [آل عمران: ٤٩ - ٤٨].

\* وقال سبحانه مثيناً وقوع هذه المعجزة منه عليه السلام بعد إمكانها: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ اذْكُرْ نَعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالدِّيْكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُّسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيَّةَ الطِّيرِ بِإِذْنِي فَتَفْعَلُ فِيهَا فَتَكُونُ طِيرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠ الآية].

ثبت بنص القرآن الكريم وقوع هذه المعجزة لعيسى عليه السلام

(١) «الإسرائيليات» لرمزي نعناعة ص (٣٦٦).

وحاصلها منه، ويرى الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد في تفسير آية آل عمران أن هذا يدل على إمكان وقوعها لعيسى عليه السلام ولا يدل على وقوعها من غير رجوع إلى آية المائدة وهم - أيضاً - لا يستندان في نفيهما الوجود إلى نص من الكتاب أو السنة، وإنما إلى عدم تناقل النصارى لهذا (!!) خاصة في الأنجليل القانونية عندهم أما الأنجليل غير القانونية التي ورد فيها الإخبار بمجيء محمد ﷺ وكون عيسى عليه السلام يخلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فینفح فيه فيكون طيراً بإذن الله ونحو ذلك فلا قيمة لهذه الأنجليل !! وإنما المستند إلى تلك التي لم يرد فيها شيء من ذلك.

﴿ ولندع الشیخ عبده یوضّح لنا ذلك حيث یقول في تفسیر آیة آل عمران: «وغایة ما یفهم منها أن الله تعالیٰ جعل فيه هذا السر، ولكن لم یقل أنه خلق بالفعل ولم یرد عن المقصوم أن شيئاً من ذلك وقع»<sup>(١)</sup> ، ثم یقول: «فإن قصارى ما تدل عليه العبارة أنه خص بذلك وأمر بأن یحتاج به والحكمة في إخبار النبي ﷺ بذلك إقامة الحجة على منكري نبوته كما تقدم وأما وقوع ذلك كله أو بعضه بالفعل فهو يتوقف على نقل یحتاج به في مثل ذلك»<sup>(٢)</sup> .

﴿ یوضّح لنا تلميذه النقل الذي یحتاج به في مثل ذلك فيقول: «هذا ما قاله الأستاذ الإمام ومن الغريب أن ابن جرير یروي عن ابن إسحاق «أن عيسى صلوات الله عليه جلس يوماً مع غلامان من الكتاب فأخذ طيناً ثم قال أجعل لكم من هذا الطين طائراً، قالوا: و تستطيع ذلك؟ قال: نعم بإذن ربِّي ثم هياه حتى إذا جعله في هيئة الطائر فنفح فيه ثم قال كن طائراً بإذن الله فخرج يطير بين كفيه»، فكأنه اتخد آیة الله على رسالته ألعوبةً للصبيان

(١) «تفسیر المنار» (٣/٢١١).

## رياض الجنة في الرد

والحاصل أنه ليس عندنا نقل صحيح بوقوع خلق الطير بل ولا عند النصارى الذين يتناقلون وقوع سائر الآيات المذكورة في الآية إلا ما في إنجيل الصبا أو الطفولة من نحو ما قال ابن إسحاق وهو من الأنجليل غير القانونية عندهم، ولعل آية سورة المائدة أدنى إلى الدلالة على الواقع من هذه الآية وهي: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالدِّيْكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُّسِ..﴾ الآية. فإنه جعل ذلك كله متعلق النعمة يؤذن ب الواقع إلا أن يقال إن جعل هذه الآيات مما يجري على يديه عند طلبه وال الحاجة إلى تحديه به من أجل النعم وأعظمها، ولكن هذا خلاف الظاهر<sup>(١)</sup>.

□ ذلك ما ذهبوا إليه في تأويل تلك المعجزة ليعيسى عليه السلام وقبلها معجزة موسى عليه السلام ولنكتف بهذا من معجزات الأنبياء قبله عليه الصلاة والسلام، ولنذكر موقفهم من معجزة لنبينا عليهما السلام غير القرآن الكريم التي لا يثبتون سواها.

### \* انشقاق القمر :

\* قال الله تعالى: ﴿اَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ الْقَمَرُ﴾ [القرآن: ١].

● وروى البخاري ومسلم والترمذى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله عليهما السلام بشقتين فقال رسول الله عليهما السلام: «أشهدوا»، وفي أخرى: ونحن معه فقال: «أشهدوا أشهدوا»، وفي أخرى قال: « بينما نحن مع رسول الله عليهما السلام يمنى إذ انفلق القمر فلقتين فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله عليهما السلام: «أشهدوا» أخرجه البخاري ومسلم.

(١) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (٢١١/٣ - ٢١٢).

وللبخاري قال: وقال مسروق عن عبدالله «بمكة» وأخرج الترمذى  
مثله<sup>(١)</sup>.

● وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: «إن القمر انشق في زمن  
رسول الله صلوات الله عليه وسلم» أخرجه البخاري ومسلم<sup>(٢)</sup>.

● وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن أهل مكة سألوا رسول الله صلوات الله عليه وسلم أن  
يريهم آية فأراهم انشقاق القمر»<sup>(٣)</sup>.

● وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: «انشق القمر على عهد رسول الله  
صلوات الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش: سحر محمد أعيننا فقال بعضهم: لئن  
كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم. أخرجه الترمذى<sup>(٤)</sup> وزاد رزين:  
«فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم راؤه فيكذبونهم».

بتلك الآية الكريمة وبتلك الأحاديث الشريفة وغيرها ثبتت معجزة  
انشقاق القمر آية لنبينا صلوات الله عليه وسلم وكان ذلك في مكة قبل الهجرة بهذا قال  
السلف.

(١) رواه البخاري في الأنبياء باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلوات الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق  
القمر، وفي فضائل أصحاب النبي صلوات الله عليه وسلم باب انشقاق القمر، وفي كتاب التفسير سورة  
اقربت الساعة باب وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا».

رواه مسلم في صفات المنافقين باب انشقاق القمر، والترمذى في كتاب التفسير باب ومن  
سورة القمر.

(٢) رواه البخاري في تفسير سورة اقربت الساعة وفي الأنبياء باب سؤال أن يريهم النبي  
صلوات الله عليه وسلم آية وفي باب انشقاق القمر، ورواه مسلم في صفات المنافقين باب انشقاق القمر.

(٣) رواه البخاري في نفس الموضع السابقة، وكذلك مسلم في صفات المنافقين باب انشقاق  
القمر والترمذى في كتاب التفسير باب ومن سورة القمر.

(٤) رواه مسلم في صفات المنافقين باب انشقاق القمر والترمذى في التفسير باب ومن سورة  
القمر.

□ وسار السيد رشيد في هذه العجزة على نهج المدرسة العقلية من تأويل للمعجزات وإنكار لأي معجزة لنبينا ﷺ سوى معجزة القرآن وذهب السيد رشيد في إنكار معجزة انشقاق القمر مذهب مدرسته في ذلك، من التشكيك أولاً في تواتر أحاديثها، ورد ما ورد منها في صحيح البخاري ومسلم ثم بعد هذا أورد الشبهات العقلية والعلمية على تلك المعجزة!!!<sup>(١)</sup>.

### \* قولهم في الملائكة:

نحن نعلم جيداً عقيدة السلف في الملائكة وما ورد في ذلك من أحاديث، ولكن تعال إلى المدرسة العقلية الحديثة التي أتت بالغرائب في الاعتقاد والتفسير والفقه وشدت كل الشذوذ عن منهج أهل السنة والجماعة بل صارت قاب قوسين أو أدنى من فكر المعتزلة بل والله أضرّ.

ويثبت الشيخ محمد عبده في تفسيره قولين للعلماء في الملائكة قال عن الأول منهم: «أما الملائكة فيقول السلف فيهم: أنهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض عملهم فيجب علينا الإيمان بهم، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم فنفوض علمها إلى الله تعالى، فإذا ورد أن لهم أجنة نؤمن بذلك، ولكننا نقول: إنها ليست أجنة من الريش ونحوه كأجنة الطيور إذ لو كانت كذلك لرأيناها وإذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار، فإننا نستدل بذلك على أن في الكون عالماً آخر أطف من هذا العالم المحسوس، وأن له علاقة بنظامه وأحكامه، والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بإمكانه لذاته، ويحكم بصدق الوحي الذي أخبر به».

□ ثم قال معلقاً: «وقد بحث أناس في جوهر الملائكة وحاولوا معرفتهم ولكن من وفهم الله تعالى على هذا السر قليلون والدين إنما شرع للناس

(١) «منهج المدرسة العقلية» ص (٥٧٩ - ٥٨٠).

كافة، فكان الصواب الاكتفاء بالإيمان بعالم الغيب من غير بحث عن حقيقته لأن تكليف الناس هذا البحث أو العلم يكاد يكون من تكليف ما لا يطاق، ومن خصه الله تعالى بزيادة في العلم فذلك فضله يؤتى به من يشاء»<sup>(١)</sup>.

□ أما الرأي الثاني في الملائكة فإن الشيخ محمد عبده يرويه ناقلاً أول الأمر، ولكنه يؤيده ويحتج به ويدافع عنه؛ لأن فيه تقريراً للإيمان بالملائكة من عقول الماديين، ثم يزعم أنه لا فرق بين هذا القول وقول السلف؟ فالحقيقة واحدة، وإنما الخلاف في الأسماء، والعاقل لا تحجبه الأسماء عن المسميات قال عن هذا الرأي: «وذهب بعض المفسرين مذهبآ آخرآ في فهم معنى الملائكة وهو أن مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إماء نبات وخلقة حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والإنسان وكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده، فإنما قوامه بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكاً، ومن لم يبال في التسمية بالتوقف يسمى هذه المعاني القوى الطبيعية إذا كان لا يعرف من عالم الإمكان إلا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة، والأمر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها، وبه قوامها ونظمها لا يمكن لعاقل أن ينكره وإن انكر غير المؤمن بالوحى تسميته ملكاً وزعم أنه لا دليل على وجود الملائكة، أو انكر بعض المؤمنين بالوحى تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبيعياً؛ لأن هذه الأسماء لم ترد في الشرع - فالحقيقة واحدة والعاقل من لا تحجبه الأسماء عن المسميات»<sup>(٢)</sup>، ونقل الشيخ أحمد

(١) «تفسير المنار» (١/٢٥٤).

(٢) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (١/٢٦٧ - ٢٦٨).

مصطفى المراغي هذا الكلام مؤيداً له<sup>(١)</sup>

ثم لا يستبعد الشيخ عبده أن تكون الملائكة هي تلك النوازع التي نحس بها عندما نتردد بين فعل شيء أو تركه: «يشعر كل من فكر في نفسه ووازن بين خواطره عندما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير، وجهاً للباطل أو للشر بأن في نفسه تنازعاً كان الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى، فهذا يورد وذاك يدفع، واحد يقول: افعل وأخر يقول: لا تفعل، حتى يتصرر أحد الطرفين، ويترجح أحد الخاطرين فهذا شيء الذي أودع في أنفسنا، ونسميه قوة وفكراً - وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، وروح لا تكتنه حقيقتها - لا يبعد أن يسميه الله تعالى ملكاً (أو يسمى أسبابه ملائكة) أو ما شاء من الأسماء فإن التسمية لا حجر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع»<sup>(٢)</sup>.

\* ثم يطبق الشيخ محمد عبده هذا المفهوم على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَيْ وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، فيقول: «إذا صح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد أن تكون الإشارة في الآية إلى أن الله تعالى لما خلق الأرض ودبّرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها، وجعل كل صنف من القوى مخصوصاً بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعدّاه ولا يتعدى ما حدد له من الآخر الذي يخص به، خلق بعد ذلك الإنسان وأعطاه قوة يكون بها مستعداً للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض، وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسلّخ، وجعله بهذا الاستعداد الذي لا جدّ له والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة الله في

(١) «تفسير المراغي» لأحمد مصطفى المراغي (٨٦/١ - ٨٧).

(٢) «تفسير المنار» (٢٦٨/١).

الأرض؛ لأنَّه أكمل الموجودات في هذه الأرض واستثنى من هذه القوى قوة واحدة عنها يابليس وهي القوة التي تعارض في اتباع الحق وتصد عن عمل الخير وتنافع الإنسان في صرف قواه إلى المنافع والمصالح التي تم بها خلافته فيصل إلى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعداً للوصول إليها<sup>(١)</sup>.

وبين السيد رشيد غرض أستاذه وشيخه من هذا التأويل بقوله: «إنَّ غرض الأستاذ من هذا التأويل الذي عبر عنه بالإيماء وبالإشارة إقناع منكري الملائكة بوجودهم بتعبير مألف عندهم تقبلاً عقولهم، وقد اهتدى به كثيرون، وضل به آخرون فأنكرروا عليه وزعموا أنه جعل الملائكة قوى لا تعقل»<sup>(٢)</sup>.

وردَّ الشيخ عبدُه على أولئك المنكرين عليه تأويله بقوله: «ولست أحبط علمًا بما فعلت العادة والتقاليد في أنفس بعض من يظنون أنهم من المتشددين في الدين إذ ينفرون من هذه المعانِي كما ينفر المرضى والمخدجون من جيد الأطعمة التي لا تضرهم، وقد يتوقف عليها قوام بنائهم، ويتشبثون بأوهام مألفة لهم تشبت أولئك المرضى والمخدجين بأضرر طعام يفسد الأجسام، ويزيد الأسقام، لا أعرف ما الذي فهموه من لفظ روح أو ملك وما الذي يتخيلونه من مفهوم لفظ قوة، أليس الروح في الأدمي مثلًا هذا الذي يظهر لنا في إفراد هذا النوع بالعقل والحس والوجودان والإرادة والعمل، وإذا سلبوه سلبوا ما يسمى بالحياة؟ أو ليست القوة هي ما تصدر عنه الآثار فيمن وهبت له، فإذا سمي الروح لظهور أثره قوة أو سميت القوة لخفاء حقيقتها روحًا، فهل يضر ذلك بالدين أو ينقص معتقده شيئاً من اليقين؟»، ثم قال: «.. لو أن مسكيناً من عبدة الألفاظ من أشدتهم ذكاء وأذريتهم لساناً أخذ بما قيل له أن

(١) المصدر السابق (٢٦٩ / ١).

(٢) المصدر السابق (٢٧٠ / ١).

## رياض الجنة في الرد

الملائكة أجسام نورانية قابلة للتشكل ثم تطلع عقله إلى أن يفهم معنى نوارنية الأجسام، وهل النور وحده له قوام يكون به شخصاً ممتازاً بدون أن يقوم بجسم آخر كثيف ثم ينعكس عنه كزجاجة المصباح أو سلك الكهرباء؟ ومعنى قابلية التشكيل وهل يمكن للشيء الواحد أن يتقلب في أشكال من الصور مختلفة حسبما يريد وكيف يكون ذلك؟ ألا يقع في حيرة ولو سئل عما يعتقده من ذلك ألا يحدث في لسانه من العقد ما لا يستطيع حلها؟ أليس مثل هذه الحيرة يعد شكّاً؟ نعم ليست هذه الحيرة حيرة من وقف دون أبواب الغيب يطرف لما لا يستطيع النظر إليه، لكنها حيرة من أخذ بقول لا يفهمه وكلف نفسه علم ما لا تعلمه فلا يعد مثله من آمن بالملائكة إيماناً صحيحاً وأطمأنت بإيمانه نفسه، وأذعن له قلبه ولم يق لوهمه سلاح ينazuع به عقله كما هو شأن صاحب الإيمان الصحيح، فليرجع هؤلاء إلى أنفسهم ليعلموا أن الذي وقر فيها تقاليد حفت بالمخاوف لا علوم حفت بالسکينة والطمأنينة»، ثم قال: «... هذه القوى التي نرى آثارها في كل شيء يقع تحت حواسنا وقد خفيت حقائقها عنا، ولم يصل أدق الباحثين في بحثه عنها إلا إلى آثار تحمل إذا كشفت وتقل بل تصمحل إذا حجبت وهي التي يدور عليها كمال الوجود، وبها ينشأ الناشئ، وبها ينتهي إلى غايتها الكامل كما لا يخفى على نبيه ولا خامل، أليست أشعة من ضياء الحق؟ أليست أجل مظهر من مظاهر سلطانه؟ ألا تعد نفسها من عالم الغيب وإن كانت آثارها من عالم الشهادة؟ ألا يجوز أن يشعر الشاعر منها بضرر من الحياة والاختيار خاص بها لا تدرك كنهه لاحتتجابه بما تصوره من حياتنا و اختيارنا؟ ألا تراها توافي بأسرارها من ينظر في آثارها ويوفيها حق النظر في نظامها؟ يستكثرون من الخير بما يقف عليه من شئونها، ومعرفة الطريق إلى استدرار منافعها؟»<sup>(١)</sup>.

(١) «تفسير المنار» (١/٢٧٠ - ٢٧٢).

ثم يحيط الشيخ عبده معتقده في الملائكة فيقول: «.. أفلأ تزعم أن لله ملائكة في الأرض وملائكة في السماء؟ هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض؟ وهل حددت أماكنها، ورسمت مساكنها؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك؟ ومن يكون عن يسارك؟ هل ترى أجسامهم التوارنية تضيء لك في الظلام أو تؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام؟ فلو ركنت إلى أنها قوى أو أرواح منبته فيما حولك، وما بين يديك وما خلفك، وأن الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك وبالعبارة التي تلقتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك، وترك لك النظر فيما تطمئن إليه نفسك من وجوه تعرفها، أفلأ يكون ذلك أروح لنفسك، وأدعى إلى طمأنينة عقلك؟ أفل تكون قد أبصرت شيئاً من وراء حجاب ووقيع على سر من أسرار الكتاب؟ فإن لم تجد في نفسك استعداداً لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت من يؤمن بالغيب ويفوض في إدراك الحقيقة ويقول: (آمنا به كل من عند ربنا) فلا ترم طلاب العرفان بالريب ما داموا يصدقون بالكتاب الذي آمنت به، ويؤمنون بالرسول الذي صدق برسالته، وهم في إيمانهم أعلى منك كعباً، وأرضي منك بربهم نفساً، ألا إن مؤمناً لو مالت نفسه إلى فهم ما أنزل إليه من ربه على النحو الذي يطمئن إليه قلبه كما قلنا كان من دينه في ثقة، ومن فضل ربه في سعة»<sup>(٢)</sup>.

□ إن ما ذكرته المدرسة العقلية يخالف القرآن ويشكك في معتقد أولئك الأبرار الذين استمدوا عقيدتهم من القرآن الكريم فاعتقدوا أن الملائكة قابلة للتشكل والظهور بظاهر البشر كما أسلفنا حيث يقول: «وهل النور وحده له قوام يكون به شخصاً ممتازاً بدون أن يقوم ب مجرم آخر كثيف ثم ينعكس عنه

(١) «تفسير النار» (٢٧٣/١).

(٢) «تفسير النار» (٢٧١/١).

كذبالة المصباح أو سلك الكهرباء؟ ومعنى قابلية التشكّل وهل يمكن للشيء الواحد أن يتقلب في أشكال من الصور مختلفة حسبما يريد وكيف يكون ذلك؟ ألا يقع في حيرة، ولو سئل عما يعتقده من ذلك ألا يحدث في لسانه من العقد ما لا يستطيع حلها؟ أليس مثل هذه الحيرة يعد شكًا؟<sup>(١)</sup>.

\* ويشكك في موضع آخر من غير تصريح بذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَّلَقُ الْمُتَّلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدُ﴾ [ق: ١٧]، ونحو ذلك من الآيات فيقول: «أَفَلَا تَزَعُمُ أَنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةٍ فِي الْأَرْضِ وَمَلَائِكَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ؟ هَلْ عَرَفْتَ أَيْنَ تَسْكُنُ مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ؟ وَهَلْ حَدَّدْتَ أَمْكَنَتَهَا وَرَسَّمْتَ مَسَاكِنَهَا وَهَلْ عَرَفْتَ أَيْنَ يَجْلِسُ مِنْهُمْ عَنْ يَمِينِكَ؟ وَمَنْ يَكُونُ عَنْ يَسَارِكَ؟ هَلْ تَرَى أَجْسَامَهُمُ النُّورَانِيَّةَ تَضِيءُ لَكَ فِي الظَّلَامِ أَوْ تَؤْنِسُكَ إِذَا هَجَمَتْ عَلَيْكَ الْأَوْهَامُ؟ فَلَوْ رَكِنْتَ إِلَى أَنَّهَا قَوْيَةٌ أَوْ أَرْوَاحٌ مُنْبَثِثَةٌ فِيمَا حَوْلُكَ، وَمَا بَيْنِ يَدِيكَ وَمَا خَلْفَكَ وَأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَهَا لَكَ بِمَا كَانَ يَعْرِفُهَا سَلْفَكَ وَبِالْعِبَارَةِ الَّتِي تَلْقَفَتُهَا عَنْهُمْ كَيْلًا يَوْحِشُكَ بِمَا يَدْهُشُكَ، وَتَرَكَ لَكَ النَّظرُ فِيمَا تَطْمَئِنُ إِلَيْهِ نَفْسُكَ مِنْ وُجُوهٍ تَعْرِفُهَا. أَفَلَا يَكُونُ لَكَ أَرْوَاحٌ لِنَفْسِكَ، وَأَدْعُى إِلَى طَمَأنِيَّةِ عَقْلِكَ؟ أَفَلَا تَكُونُ قَدْ أَبْصَرْتَ شَيْئًا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَوَقَفْتَ عَلَى سَرَّ مِنْ أَسْرَارِ الْكِتَابِ؟<sup>(٢)</sup> .

ماذا يريد الشيخ عبده بهذا التأويل وهذا المفهوم؟ هل يريد أن يؤكّد لنا مرة أخرى تكذيبه للقرآن الكريم كما كذب قصصه بحملها على التمثيل لا على الحقيقة والواقع؟! ماذا يريد بزعمه هذا؟ هل يريد أن يقول إن القرآن لم يخبرنا عن الحقيقة في أمر الملائكة بل أخبرنا بالفاظ كانت مألوفة ومعروفة

(١) «تفسير النار» (١/٢٧١).

(٢) «تفسير النار» (١/٢٧٣).

حتى لا تصيبنا «الوحشة والدهشة» إذا ما أخبرنا بحقيقةتهم، وأن القرآن ترك لنا النظر في الوصول إلى «ما تطمئن إليه نفوسنا» حتى ولو وصلت إلى ما يخالف القرآن؟!

ذلكم ما يدل عليه كلامه شاء ذلك أم أبي وأحسبه لا يأبى ذلك لأنه بادر إلى تطبيق معتقده وحمل أمر سجود الملائكة لآدم عليهم السلام على التمثيل كما نقلنا عنه ذلك.

وما أصدق محمد الصادق عرجون في وصف مذهب الشيخ عبد وتلاميذه بقوله: «إن هذا الطريق في تفسير آيات القرآن الحكيم بتسليط التأويل على كل ما يتعارض فهمه على بعض العقول وإحالة أو استبعاد ظاهر المعنى إلى ضرب من التمثيل، هو الذي يخشى أن ينفذ منه (المترمطون) إلى تحريف كلام الله عن مواضعها ابتغاء فتنة الجماهير من عامة المؤمنين.. إن القرآن العظيم أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين هدى للناس ورحمة، ولم ينزله بالإشارات والرموز والإيحاءات..»<sup>(١)</sup>.

ثم ما الفرق بين من ينكر وجود الملائكة وبين من يزعم أنها قوى طبيعية ما دام منكر الملائكة يقر ويعرف بوجود قوة نمو في النبات وخلق في الحيوان وحفظ في الإنسان ولكنها قوى طبيعية لا ينطبق عليها ما ورد في القرآن الكريم من أوصاف للملائكة؟!

إن الأمر لا يعدو إلا محاولة يائسة من أولئك المهزمين أمام الماديين لتقريب عقيدة الإيمان بالملائكة إلى أذهانهم ولكنها محاولة أخرجتهم من عقيدة السلف العقيدة الصحيحة في الإيمان بالملائكة إلى عقيدة باطلة وغير

(١) «نحو منهج لتفسير القرآن» لمحمد الصادق عرجون ص(٣٩ - ٤٠)، وانظر «منهج المدرسة العقلية في التفسير» (٦٢١ - ٦٣).

مقنعة أيضاً لأولئك الماديين، فضاع المهزمون بين العقائدتين كالعنز الجرباء في الشمال البليل. والله الموفق والهادي إلى سوء السبيل.

### \* قولهم في الجن :

مجمل اعتقاد السلف في الجن لا يصفونهم بأكثر مما وصفهم به القرآن الكريم والسنة المطهرة لأنهم من أمور الغيب الذي لا يمكن إدراكه إلا بالوحي يذهب الشيخ محمد رشيد رضا أن الميكروبات والجراثيم نوع من الجن:

يقول: «وقد قلنا في النار غير مرة أنه يصح أن يقال إن الأجسام الحية الخفية التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة وتسمى بالميكروبات يصح أن تكون نوعاً من الجن وقد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض، قلنا ذلك في تأويل ما ورد من أن الطاعون من وخذ الجن، على أننا نحن المسلمين لسنا في حاجة إلى التزاع فيما أثبتته العلم وقرره الأطباء أو إضافة شيء إليه مما لا دليل عليه لأجل تصحيح بعض الروايات الأحادية فنحمد الله تعالى أن القرآن أرفع من أن يعارضه العلم»<sup>(١)</sup>.

وفتح الباب للتأويل وصرف القرآن عن ظاهره باب لو فتح لولوج منه القرامطة والتترمطون بل أعداء الدين بشتى أنواعهم مبطلين لعقائده.

□ نوع آخر نرفضه من تأويلاتهم الباطلة في أمر الجن ونعني به ما زعموه في أمر رؤيتهم وحمله ما ورد من رؤيتهم على التخييل والوهم كما قال الشيخ رضا في «تفسير النار» (٥٢٥ - ٥٢٦ / ٧).

وعلى كل حال فالذي نفهمه من الآية: ﴿إِنَّهُ يَرَأُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ أنها لا تنفي إمكان رؤيتهم ولكنها تثبت رؤيتهم لنا من حيث لا

(١) «تفسير النار» (٣/٩٦).

نراهم وقدرتهم على التشكيل بهذه الحالة غير المرئية لنا ونضرب لذلك مثلاً بمن يجلس في ظلام دامس وينظر إلى من يجلس في النور أو من يجلس في سيارة ذات زجاج ملون فإن الجالس في الحالتين يرى من في الخارج من حيث لا يرونه ولا يفهم من هذا عدم إمكان رؤيته في حالات أخرى.

• أما نفي ابن عباس رضي الله عنهما لرؤيته عليه السلام لهم حين استمعوا القرآن منه - إن صح - عن ابن عباس فإنه محمول على عدم رؤيته عليه السلام لهم في تلك المرة ولا يمكن رؤيته لهم بعد ذلك، كما رأهم ابن مسعود رضي الله عنهما بعد ذلك وهو يخبر عن مشاهدة.

أما قول الشافعي - رحمه الله تعالى - فيحمل على من يدعي رؤيتهم بصورتهم التي خلقهم الله عليها دون الصور التي يتمثلون بها أو على من يدعي إمكان رؤيتهم في كل حال وهو تكذيب للقرآن.

ويبقى بعد هذا كله في ترجيح إمكان رؤيتهم حديث أبي أيوب وحديث أبي هريرة رضي الله عنهما الذي رواه البخاري في صحيحه وإن زعم السيد رشيد عدم صحتهما.

والحق أنه كان من الأولى عدم الخوض فيما لم يكن مصدره الوحي الصادق - عن أحوالهم - وتفويض علم ذلك إلى الله سبحانه وتعالى فهو المنهج الأسلم والأعلم والأحكم<sup>(١)</sup>.

\* شذوذ الشيخ محمد عبده وشطحه في تفسير قوله تعالى: «وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طِيرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ ۝»:  
لقد شذ في تفسير الآيتين الشيخ محمد عبده وتبعه محمد فريد وجدي

(١) «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» (٦٤٦، ٦٤٧).

وأحمد مصطفى المراغي قال الشيخ محمد عبده:

«الطير هو ما يطير في الهواء سواء كان صغيراً أو كبيراً، وسواء كان مرئياً لك أم غير مرئي»، وبعد هذا التمهيد زعم أن مما تواتر في الواقع فشوداء الجدرى والخصبة في جند الجيش<sup>(١)</sup> ثم استدل لذلك فقال: «... قال عكرمة وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب وقال يعقوب بن عتبة فيما حدد: إن أول ما رأيت الخصبة والجدرى ببلاد العرب ذلك العام. وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما ينذر وقوع مثله، فكان لحمهم يتناشر ويتساقط. فذعر الجيش وصاحب وولوا هاربين وأصيب الجيش ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وأغلقت أغلقة حتى انتصاع صدره ومات في صنعاء. وهذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به»<sup>(١)</sup>.

ولا ندري ما مفهوم التواتر عند الشيخ محمد عبده ينكر تواتر ما عرف عند السلف تواتره ويصف بالتوارد ما لم يعرف بذلك.

يزعم هنا أن وقوع الجدرى والخصبة في جيش أبرهة قد تواتر وأنه مما اتفقت الروايات عليه ويستند في ذلك إلى قول عكرمة «وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب»، وقول يعقوب بن عتبة «أن أول ما رأيت الخصبة والجدرى ببلاد العرب ذلك العام»، هذا كل ما استند إليه للحكم بالتوارد.

أما قول يعقوب فليس فيه ما يدل على وقوع الخصبة أو الجدرى في جيش أبرهة وكل ما فيه أن ظهور الجدرى لأول مرة كان في هذا العام فلا يصح الاحتجاج به لذلك.

وأما قول عكرمة فتقول: إنه روی عن عكرمة ما هو أصرح من ذلك في الدلالة على وقوع مرض الجدرى في جيش أبرهة فقد روی عن عكرمة

(١) «تفسير جزء عم» لمحمد عبده ص(١٥٥ - ١٥٦).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما أرسل الله الحجارة على أصحاب الفيل لم يقع حجر على أحد منهم إلا نفط جلده وثار به الجدر»<sup>(١)</sup>. وهذا كله مجرد رواية فain هي من دعوى التواتر.

أما زعم الشيخ أن ما قاله هو ما اتفقت عليه الروايات فهو غريب في باب العلم وعجب في تفسير القرآن وليس بغرير ولا بعجب من الشيخ محمد عبده وتلاميذه.

﴿وقال الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسير السورة: «أي أنه تعالى أرسل عليهم فرقاً من الطير تحمل حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش فابتلاهم بمرض الجدر أو الحصبة حتى هلكوا»، ثم قال: «ولا شك أن الذباب يحمل كثيراً من جراثيم الأمراض فوقوع ذبابة واحدة ملوثة بالمكروب على الإنسان كافية في إصابته بالمرض الذي يحمله، ثم هو ينتقل هذا المرض إلى الجم الغفير من الناس، فإذا أراد الله أن يهلك جيشاً كثيراً العدد ببعوضة واحدة لم يكن ذلك بعيداً عن مجرى ألف والعادة، وهذا أقوى في الدلالة على قدرة الله وعظيم سلطانه من أن يكون هلاكهم بكبار الطيور وغرائب الأمور، وأدل على ضعف الإنسان وذله أمام القهر الإلهي وكيف لا وهو مخلوق تبيده ذبابة وتقض مضجعه ببعوضة، ويؤديه هبوب الريح»<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا ندرك أن الشيخ أول الطير والحجارة في السورة بـ «الذباب يحمل كثيراً من جراثيم الأمراض، فالمراد بالطير والمراد بالحجارة تلك الجراثيم التي يحملها الذباب».

﴿قال الشيخ محمد عبده: «فيجوز ذلك أن تعتقد أن هذا الطير من

(١) «المصحف المفسر» لمحمد فريد وجدي ص(٨٢٢).

(٢) «تفسير المراغي» (٣٠/٢٤٣).

جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه فأثار فيه تلك القرorch التي تنتهي بياساد الجسم وتساقط لحمه. وأن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها، وهو فرق وجماعات لا يحصى عددها إلا بارتها - ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى في قهر الطاغين على أن يكون الطير في ضخامة رءوس الجبال ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ولا على أن يكون له ألوان خاصة به، ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها»<sup>(١)</sup>.

ولا يُقبل أبداً في تأويل الآيات بأن المراد بها البعوض والذباب والميكروبات قال الشيخ الذهبي: «لأن هذه الجراثيم التي اكتشفها الطب الحديث لم يكن للعرب علم بها وقت نزول القرآن، والعربى إذا سمع لفظ الحجارة في هذه السورة لا ينصرف ذهنه إلى تلك الجراثيم بحال من الأحوال، وقد جاء القرآن بلغة العرب ومخاطبهم بما يألقوه»<sup>(٢)</sup>.

بل إن الآية صرحت بإرسال الطير «وأرسل عليهم طيراً أبابيل» وبين المخاطبين كثير من عاصر الحادث بل من شاهده وفيهم كثير من أعداء الرسول عليه السلام فالسورة مكية ولو أنهم لم يروا هذا الطير الأبابيل رأى العين ليبدروا إلى تكذيب القرآن وإنكارهم لرمي الطير لجيش أبرهة ولا يقبل أن يقال: إنهم رأوا المكروب أو الجراثيم؛ لأنهم لا يستطيعون رؤيتها، ولا يقال: إنهم رأوا الذباب أو البعوض؛ لأنهم لا يرون الحجارة التي تحملها فكان لا بد أن

(١) «تفسير جزء عم» لمحمد عبد ص(١٥٦).

(٢) «التفسير والمفسرون» للذهبي (٣/٢٣٥).

يكونوا رأوا طيراً ورأوا الحجارة التي تحملها ورأوا الرمي ولا يهم بعد ذلك أن يكون هلاك الجيش بمجرد وقوع الحجر أو أن تكون هذه الحجارة قد أصابته بمرض من الأمراض فالقرآن لم يصرح بذلك بل ذكر هلاكهم بهذا العقاب الشديد.

أما ما زعموه من أن تأويل الطير بالجراثيم والذباب والبعوض وتأويل الحجارة بما يعلق في أرجل هذه المخلوقات من ميكروبات أو مواد سامة هو أقوى في الدلالة على قدرة الله عظيم سلطانه فرد عليه سيد قطب - رحمه الله تعالى - حيث قال: «لا نرى أن هذه الصورة أو تلك أدل على قدرة الله ولا أولى بتفسير الحادث فهذه كتل في نظرنا من حيث إمكان الوقع، ومن حيث الدلالة على قدرة الله وتدبیره ويستوي عندنا أن تكون السنة المألوفة للناس المعهودة المکشوفة لعلمهم، وهي التي جرت فأهلكت قوماً أراد الله إهلاكهم أو أن تكون سنة الله قد جرت بغير المألف للبشر، وغير المعهود المکشوف لعلمهم، فحققت قدرة ذلك»، ثم قال: فاما في هذا الحادث بالذات فنحن أميل إلى اعتبار أن الأمر قد جرى على أساس الخارقة غير المعهودة وأن الله أرسل طيراً أبائيلاً غير معهودة.. نحن أميل إلى هذا الاعتبار لا لأنه أعظم دلالة ولا أكبر حقيقة ولكن لأن جو السورة وملابسات الحادث تجعل هذا الاعتبار هو الأقرب»<sup>(١)</sup> ، ثم قال: «ثم إن إصابة الجيش على هذا النحو - يعني بالخصبة والحدري - وعدم إصابة العرب القربيين بهمثه في حينه تبدو خارقة إذا كانت الطير تقصد الجيش وحده بما تحمل، وما دامت المسألة خارقة فعلام العنا في حصرها في صورة معينة لمجرد أن هذه الصورة مألوفة لمدارك البشر وجريان الأمر على غير المألف أنساب بجو الحادث.

إننا ندرك ونقدر دوافع المدرسة العقلية التي كان الأستاذ الإمام -

(١) «في ظلال القرآن» لسيد قطب (٢٥٢/١٠ - ٢٥٣).

رحمه الله - على رأسها في تلك الحقبة.. ندرك ونقدر دوافعها إلى تضييق نطاق الخوارق والغيبيات في تفسير القرآن الكريم وأحداث التاريخ، ومحاولة ردها إلى المأثور المكشوف من السنن الكونية.. فلقد كانت هذه المدرسة تواجه التزعة الخرافية الشائعة التي تسيطر على العقلية العامة في تلك الفترة، كما تواجه سيل الأساطير والإسرائيليات التي حشيت بها كتب التفسير والرواية في الوقت الذي وصلت فيه الفتنة بالعلم الحديث إلى ذروتها ومواجة الشك في مقولات الدين إلى قمتها. فقادت هذه المدرسة تحاول أن ترد إلى الدين اعتباره على أساس أن كل ما جاء به موافق للعقل»، ثم قال: «ولكن مواجهة ضغط الخرافية من جهة وضغط الفتنة بالعلم من جهة أخرى تركت آثارها في تلك المدرسة. من المبالغة في الاحتياط، والميل إلى جعل مأثور السنن الكونية هو القاعدة الكلية لسنة الله فشاع في تفسير الأستاذ الشيخ محمد عبده - كما شاع في تفسير تلميذه الأستاذ الشيخ رشيد رضا والأستاذ الشيخ عبدالقادر المغربي - رحمهم الله جميعاً - شاع في هذا التفسير الرغبة الواضحة في رد كثير من الخوارق إلى مأثور سنة الله دون الخارج منها، وإلى تأويل بعضها بحيث يلائم ما يسمونه «المعقول» وإلى الحذر والاحتراس الشديد في تقبل الغيبيات.

ومع إدراكنا وتقديرنا للعوامل البيئية الدافعة مثل هذا الاتجاه. فإننا نلاحظ عنصر المبالغة فيه، وإغفال الجانب الآخر للتصور القرآني الكامل. وهو طلاقة مشيئة الله وقدرته من وراء السنن التي اختارها - سواء المأثور منها للبشر أو غير المأثور - هذه الطلاقة التي لا تجعل العقل البشري هو الحاكم الأخير ولا يجعل معقول هذا العقل هو مرد كل أمر بحيث يتحتم تأويل ما لا يوافقه - كما يتكرر هذا القول في تفسير أعلام المدرسة<sup>(١)</sup> فتبين

(١) «في ظلال القرآن» لسيد قطب (٣٠/٢٥٤ - ٢٥٥).

بهذا كله خطأ رجال المدرسة العقلية الحديثة في تفسير هذه الآية وتجاوزهم للحدود التي شرعها الله سبحانه وتعالى لتحكم العقل وتعديهم على القرآن الكريم بتفسيرهم لأياته تفسيراً لا يعتمد على قواعد التفسير وأصوله فعلوا كل هذا لمواجهة المفتونين بالعلم الحديث وما توصل إليه من مقررات ولكن هذا لا يعني من قريب أو بعيد أن نصرف ظاهر آيات القرآن الكريم عن حقيقتها مع عدم مصادمتها لشيء من مقررات العلم الثابتة وفعلوا ذلك تقريباً لوقوع الحادثة إلى عقول من ينكرون الخوارق ولا يؤمنون بها لعلهم يصدقون إذا كانت جارية على ما هو مألف ومحرر في العلم الحديث.

ونسوا أن فيما أقرروا به خارقة لا تقل عن خارقة ذلك الطير الذي يحمل الحجارة ويلقي به على الجيش فيهلكه ذلكم أن وقوع المرض الفتاك بجيش أبرهة مع عدم تعديه وتجاوزه إلى من حوله يعد خارقة كبيرة. فهم فروا من أمر إلى مثيله<sup>(١)</sup>.

#### \* قول المدرسة العقلية في القصة القرآنية :

سبق أن عرضنا قول محمد أحمد خلف الله في كتابه «الفن القصصي في القرآن الكريم» وجراه على الله وكتابه فهو يصف القرآن بأنه «أساطير» كما وصفه به المشركون ويستدل على هذا بأن القرآن عرض مرة واحدة للرد على المشركين: «في قيلهم بأنه أساطير وهي المرة التي ترد في سورة الفرقان وهذه هي الآيات: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَبْهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًاً قُلْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥ - ٦]، فهل هذا الرد ينفي ورود الأساطير في القرآن؟ أو هو إنما ينفي أن تكون هذه الأساطير من عند محمد يكتبها وتتملى عليه ويثبت أنها

(١) «منهج المدرسة العقلية في التفسير».

من عند الله قل أنزله الذي يعلم السر... إلخ<sup>(١)</sup>، ثم يقول بعد هذا: «وإذا كان القرآن لا ينفي ورود الأساطير فيه وإنما ينفي أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام، وليس من عند الله إذا كان هذا ثابتاً فإننا لا نتخرج من القول بأن القرآن أساطير لأنها في ذلك لا نقول قولًا يعارض نصاً من نصوص القرآن»<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذا يبرز مخالفة القصص في القرآن للحقائق الواقعية حسب إلحاده بها بأن هذا من البلاغة في القرآن ثم يستدل بهذا على أمر خطير «وإن الصنيع البلاغي للقرآن الذي يقوم على تخلص العناصر القصصية من أحداث وأشخاص وأخبار من معانيها التاريخية وجعلها صالحة كل الصلاحية لاستارة العواطف والانفعالات حتى تكون العمة والعبرة وتكون البشارة والإذار وتكون الهدایة والإرشاد ويكون الدفاع عن الدعوة الإسلامية والتمكين لها حتى في نفوس المعارضة إن هذا كله لهو الدليل القوي على أن القرآن الكريم لا يطلب الإيمان برأي معين في هذه المسائل التاريخية»<sup>(٣)</sup>.

وهو يريد أن يصل بهذا إلى نتيجة أخطر «ومن هنا يصبح من حقنا أو من حق القرآن علينا أن نفسح المجال أمام العقل البشري ليبحث ويدقق وليس عليه من بأس في أن يتنهى من هذه البحوث إلى ما يخالف هذه المسائل ولن تكون مخالفة لما أراده الله أو لما قصد إليه القرآن؛ لأن الله لم يرد تعليمنا التاريخ ولأن القصص القرآني لم يقصد إلا الموعظة والعبرة وما شابههما من مقاصد وأغراض»<sup>(٤)</sup>.

(١) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف الله ص(١٧٨).

(٢) المرجع السابق ص(١٧٩ - ١٨٠).

(٣) المرجع السابق ص(٢٥٤).

(٤) المرجع السابق ص(٢٥٤).

ثم يقرر ما يعتقده بعد ذلك «أعتقد أنك قد فطنت إلى ما نريد تقريره من نظرية تحمل مشكلات المفسرين وترد اعترافات المستشرقين والمبشرين، وأعتقد أنك قد فطنت إلى أن هذه النظرية ليست إلا القول بأن ما بالقصص القرآني من مسائل تاريخية ليست إلا الصور الذهنية لما يعرفه المعاصرون للنبي عليه السلام عن التاريخ - وما يعرفه هؤلاء لا يلزم أن يكون هو الحق والواقع كما لا يلزم القرآن أن يصحح هذه المسائل أو يردها إلى الحق والواقع لأن القرآن الكريم كان يجيء في بيانه المعجز على ما يعتقد العرب وتعتقد البيئة ويعتقد المخاطبون»<sup>(١)</sup>.

﴿ وخلاصة القول أن الطالب ينفي الصدق عن القرآن الكريم ومطابقة قصصه للحقائق التاريخية حسب زعمه، ويدركني هذا الإلحاد والتکذيب للقرآن الكريم بتکذيب الدكتور طه حسين للقرآن الكريم حين قال في كتابه: «في الشعر الجاهلي»: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا أيضًا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي»<sup>(٢)</sup>.

﴿ وما كان لنا أن ندرس هذه القضية لو لا صلة ذكرت بينها وبين أستاذ المدرسة العقلية وإمامها وبعض تلاميذه.

تبداً الحكاية حينما ينسب الطالب خلف الله أسباب ذلك إلى أستاده أمين الخولي «أما الأسباب التي جعلتني أعني بالدراسة الأدبية وأجعل من القرآن ميدان أبحاثي فترجع قبل كل شيء إلى نوع من الاستهواه عمل على إذاعته في نفسي درس أستاذنا الخولي عن المنهج الأدبي في فهم القرآن

(١) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف الله ص (٢٥٥).

(٢) «ذيل الملل والنحل» لمحمد سيد كيلاني ص (٨٤) عن «في الشعر الجاهلي» لطه حسين ص (٢٦).

وتقديره فقد كانت تلك اللفتات تستقر في نفسي استقراراً يجعلني أتخيل أنني  
أستطيع تمثيل هذا المنهج والسير عليه في تفسير كتاب الله<sup>(١)</sup>.

ولا تنس ما نقلناه عن الأستاذ محمد سيد كيلاني من وصف لأمر أمين  
الخولي وكونه مستوراً لا يدرى أحد في خارج الكلية ما يلقنه للاميذه من  
أنواع الكفر والضلال.

ولكن أمين الخولي نفسه لا يحوجنا إلى شيء من هذا فهو يقر بنفسه  
بأن كل ما جاء في الرسالة حق حيث يقول: «فلو لم يبق في مصر والشرق  
أحد يقول: إنه حق لقلت وحدي وأنا أقذف في النار أنه حق حق»<sup>(٢)</sup>.  
إذن فالأستاذ المشرف على الرسالة يشارك تلميذه في كل ما جاء فيها  
من إلحاد وتكذيب للقرآن الكريم.

فقمت الاحتجاجات ورفعت البرقيات للمسئولين، ورفضت الرسالة  
وطالب أولئك بتطبيق أحكام الردة على خلف الله ودافع عنه أستاذه أمين  
الخولي ودفع إلى الميدان بورقتة الرابحة عند ضعاف النفوس حيث وصف  
جامعة فؤاد التي رفضت الرسالة إنها «ترفض اليوم ما كان يقرره الشيخ محمد  
عبدة بين جدران الأزهر منذ اثنين وأربعين عاماً!»<sup>(٣)</sup>.

وعلى توفيق الحكيم على هذا بقوله: «إنني أحب أن ألتف النظر إلى  
نقطة الخطورة فيها تلك هي قوله أن الأستاذ الإمام محمد عبدة انتهى إلى مثل  
هذه الآراء منذ اثنين وأربعين عاماً إذا كان هذا القول صحيحاً كما يؤكده  
الأستاذ الخولي فلنا أن نطلب تعليلاً لما صرنا إليه وعلى المسئولين من رجال  
الدين أن يوضحوا الموقف فإنه لا يرضيهم أن نرجع اليوم - في عهدهم -

(١) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف الله ص(١).

(٢) المرجع السابق: مقدمة أمين الخولي ص: ح.

(٣) المرجع السابق ص: ح.

القهقري . . بعد نهضة إسلامية بعثها الأستاذ الإمام<sup>(١)</sup> . .  
وهم حين يلقون هذا القول يعتقدون أنهم يلقونه على رجل لا تتصعد  
إليه المسئولية بل تتلاشى قبل أن تصل إلى مقامه بعيد<sup>(٢)</sup> .

□ يقول الشيخ مصطفى صبرى - رحمه الله تعالى - عن الرسالة تلك :  
«واني أرى الرسالة المستنكرة وما سبقها في مصر من الأحداث والفتنة المماثلة  
الماسة بدين الإسلام وعقائده المحفوظة إلى عصر الشيخ محمد عبده . . كلها  
ناشئة من الأسس التي ابتدعها هذا الشيخ الملقب بالأستاذ الإمام . . فلا  
مناص إذن للقضاء على تيار الفتنة من مصدرها أن تفصل الدعوى مع الإمام  
دون المؤمنين»<sup>(٣)</sup> .

واني أدعو كل رجل مؤمن بالله تعالى أن يجعل الله سبحانه نصب  
عينيه وأن لا يجعل للعاطفة سبيلاً عند مناقشة قضية بهذه القضية تمس  
كيان القرآن الكريم ، وأن لا يجعل لها سبيلاً لطمس الحقائق حينما تمس من  
نزله في نفوسنا متزلة سامية فلعلنا تكون قد خدعاً به والحقيقة ضالة كل  
مسلم .

ومنهج الناس من القصص القرآني إما منهج القائلين للروايات التي  
صحت عن القرون الخيرية من سلف الأمة وعليه المعتمد .  
أو منهج المؤولين للقصص ، أو منهج القائلين بالتخيل .

#### ١- منهج المؤولين للقصص :

«وهو صرف الكلام عن مدلوله اللغوي إلى معنى آخر دون ما يدعوه

(١) المرجع السابق ص: ط.

(٢) « موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين » لمصطفى صبرى  
(٣٤٥/١).

(٣) المرجع السابق (٣٤٦/١).

إلى هذا التأويل» وصاحبـه قد يحـكمـ فيه مجرد الاستبعـادـ لـماـ يؤـديـهـ الكلامـ منـ المعـنىـ الظـاهـرـ،ـ وكـثـيرـاـ ماـ يـقـصـدـهـ بـعـضـ الـبـاحـثـينـ دـفـعاـ لـماـ يـشـيرـهـ خـصـومـ القرآنـ عـلـىـ الـقـرـآنـ،ـ وـيـدـخـلـ فـيـ هـذـاـ القـسـمـ تـأـوـيلـ إـحـيـاءـ الـموـتـىـ الـمـسـوـبـ لـعـيـسـىـ بـالـإـحـيـاءـ الـرـوـحـيـ،ـ وـحـمـلـ النـمـلـ فـيـ قـصـةـ سـلـيـمـانـ عـلـىـ أـنـهـ قـبـيـلـةـ ضـعـيفـةـ..ـ ثـمـ يـقـولـ:ـ «ـوـهـذـاـ المـنـهـجـ هوـ مـنـ طـرـيقـةـ تـأـوـيلـ الـتـيـ أـسـسـهـاـ الـبـاطـنـيـةـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ صـرـفـوـهـ بـهـاـ عـنـ دـلـالـتـهـ الـعـرـبـيـةـ وـفـيـ اـحـفـاظـ بـدـلـولـ لـلـكـلامـ وـوـاقـعـ يـدـلـ عـلـىـ وـلـكـنـهـ صـرـفـ الـلـفـظـ عـنـ مـعـناـهـ الـوـضـعـيـ إـلـىـ هـذـاـ مـعـنىـ الـوـاقـعـيـ الـذـيـ يـزـعـمـهـ الـمـؤـولـ مـدـلـوـلـاـ لـلـكـلامـ،ـ وـالـرـأـيـ فـيـ هـذـهـ طـرـيقـةـ أـنـ يـجـبـ أـنـ يـطـبـقـ عـلـيـهـ قـانـونـ تـأـوـيلـ الـيـ يـتـلـخـصـ فـيـ أـنـ إـذـ كـانـ تـأـوـيلـ لـاـ يـقـضـيـ عـلـىـ أـصـلـ دـيـنـيـ وـلـاـ يـمـسـ عـقـيـدةـ ثـابـتـةـ وـهـوـ فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ يـحـفـظـ لـلـعـبـارـةـ الـقـرـآنـيـةـ بـوـاقـعـ تـعـبـرـ عـنـهـ تـعبـيرـاـ صـادـقـاـ وـكـانـتـ الـلـغـةـ تـسـمـحـ بـهـ فـإـنـهـ يـكـوـنـ مـقـبـلـاـ مـنـ الـوـجـهـتـيـنـ الـدـيـنـيـةـ وـالـلـغـوـيـةـ،ـ إـذـاـ لـمـ تـسـمـحـ بـهـ الـلـغـةـ فـهـوـ مـرـفـوـضـ مـنـ هـذـهـ الـجـهـةـ صـادـرـ عـنـ جـهـلـ مـنـ صـاحـبـهـ بـقـانـونـ تـأـوـيلـ وـمـرـفـوـضـ أـيـضاـ مـنـ جـهـةـ مـاـ يـلـزـمـهـ مـنـ الـحـكـمـ بـصـدـورـ التـلـيسـ مـنـ الـلـهـ تـعـالـىـ عـنـ ذـلـكـ عـلـوـاـ كـبـيرـاـ أـمـاـ إـذـاـ كـانـ يـقـضـيـ عـلـىـ أـصـلـ دـيـنـيـ أـوـ يـمـسـ عـقـيـدةـ فـإـنـهـ يـكـوـنـ مـرـفـوـضـاـ مـنـ الـوـجـهـةـ الـدـيـنـيـةـ»<sup>(١)</sup>.

□ بـقـيـ أـنـ نـقـولـ أـنـ الشـيـخـ شـلـتوـتـ جـعـلـ تـأـوـيلـ الشـيـخـ مـحـمـدـ عـبـدـهـ وـرـشـيدـ رـضـاـ لـقـصـةـ بـقـرـةـ بـنـيـ إـسـرـائـيـلـ مـنـ هـذـاـ النـوـعـ.ـ حـيـثـ قـالـ:ـ «ـوـكـلـ هـذـاـ لـاـ يـتـقـقـ وـمـاـ يـرـيـدـهـ الشـيـخـانـ مـنـ حـمـلـ الـآـيـةـ عـلـىـ الـمـعـنىـ التـشـرـيعـيـ فـهـذـاـ الـحـمـلـ تـأـوـيلـ مـنـهـمـ لـكـنـهـ تـأـوـيلـ لـاـ تـسـاعـدـ عـلـيـهـ الـلـغـةـ،ـ وـمـاـ هـوـ الـمـعـهـودـ مـنـ كـلـامـ الـعـربـ»<sup>(٢)</sup>.

(١) تـفسـيرـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ لـمـحمدـ شـلـتوـتـ صـ(٤٥ - ٤٦).

(٢) (تـفسـيرـ الـقـرـآنـ) لـمـحمدـ شـلـتوـتـ صـ(٥٠).

\* المنهج الثاني - منهج القائلين بالتخيل :-

وهو يتفق مع المنهج الأول في ناحية وخالفه في ناحية إذ هو صرف للألفاظ عن معاناتها الحقيقة كما في المنهج الأول، ولكن لا إلى واقع يزعم ويدعى أنه مراد وإنما إلى تخيل ما ليس بواقع واقعاً فلا يلزم فيه الصدق ولا أن يكون إخباراً بما حصل وإنما هو ضرب من القول شبيه بما يوضع من حكايات بين أشخاص مفروضين أو على السنة الطيور والحيوان للإيحاء فقط بمعنى الحكايات من الإرشاد إلى فضيلة والحدث عليها أو التحذير من رذيلة والتنفير منها.. ولا شك أن القرآن إذا استقبلت دراسته على هذا النحو من الخلط والخبط والأدعاء فقد اقتحمت قدسيته وزالت عن النفوس روعة الحق فيه، وتزلزلت قضائياه في كل ما تناوله من عقائد وتشريع وأخبار»<sup>(١)</sup>.

ولقد وردت عبارة نشدّ عليها وردت في ذمّ الشيخ شلتوت لهذا المنهج الباطل توقع الشيخ محمد عبده، وغيرهم في سلك هذا المنهج المذموم حيث يقول: «هذه الآراء فضلاً عما لها من تلك التنتائج السيئة هي فاسدة في ذاتها؛ لأن القرآن عربي نزل بلغة العرب وقانون اللغة المتواتر يقضي بحمل الكلام على ظاهره وما تدل عليه ألفاظه من المعاني المعروفة لها عند المخاطبين ما لم يمنع من ذلك الحمل مانع»<sup>(٢)</sup> نشد على هذه العبارة؛ لأنه وصف آنفًا منهج الشيخ وتلميذه بهذا الوصف.

فهل يريد الشيخ شلتوت بهذا أن يشرك محمد عبده ورشيد رضا مع أولئك؟ هذا ما يفهم من عباراته وتصوّره المنقول، وعلى كل حال سواء أكان يشركه أم لا يشركه فهي شهادة من تلميذ يبطلان منهج أستاذه يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار.

(١) «تفسير القرآن الكريم» لمحمود شلتوت ص(٤٦ - ٤٧).

(٢) «تفسير القرآن» لمحمود شلتوت ص(٢٧٣ - ٢٧٤).

## رياض الجنة في الرد

وكلمة حق يجب أن نسوقها قبل سياق نصوص محمد عبده وتلميذه رشيد ذلك أنه لم يصدر عنهم أي تصريح بأن قصص القرآن منافية للحقيقة أو وصفها بالكذب ومخايبة الواقع أقول: إنه لم يصدر نص صريح بهذا أما أن كلامهما يحتمل ذلك ويحتمل غيره فهذا أمر لا تنفيه ولندع نصوصهم تتحدث.

﴿ قالَ الشِّيخُ مُحَمَّدُ عَبْدُهُ فِي تَفْسِيرِهِ قَصْةُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي تَحْدُثُ عَنْهَا الْآيَاتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَلَّا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرِبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥].

يقول الشيخ محمد عبده: «وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف في التمثيل فيقال فيه: أن القرآن كثيراً ما يصور المعاني بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكاية لما في ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الأذهان إلى ما وراءها من المعاني كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مُّزِيدٍ ﴾ [ق: ٢٠] فليس المراد أن الله تعالى يستفهم منها وهي تجاوبه وإنما هو تمثيل لسعتها وكونها لا تضيق بال مجرمين مهما كثروا ونحوه قوله عز وجل بعد ذلك الاستواء إلى خلق السماء ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اأْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١] والمعنى في التمثيل ظاهر».

١ ثم قال: «وتقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب هكذا: أن إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة في الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه التي بها قوامه ونظامه لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فيها فيكون به كمال الوجود في هذه الأرض - وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الأرض؛ لأنه يعمل باختياره ويعطي استعداداً في العلم والعمل لا حدّ لهما هو تصوير لما في استعداد الإنسان لذلك وتهييد لبيان أنه لا ينافي خلافه في الأرض - وتعليم آدم الأسماء كلها بيان لاستعداد الإنسان

لعلم كل شيء في هذه الأرض وانتفاعه به في استعمارها - وعرض الأسماء على الملائكة وسؤالهم عنها وتنصلهم في الجواب تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كل روح من الأرواح المدبرة للعالَم محدوداً لا يتعدى وظيفته - وسجود الملائكة لأَدَم عبارة عن تسخير هذه الأرواح والقوى له ينتفع بها في ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك وإياء إيليس واستكباره عن السجود تمثيل لعجز الإنسان عن إخضاع روح الشر وإبطال داعية خواطر السوء التي هي مثار التنازع والتخاصم والتعدي والإفساد في الأرض - ولو لا ذلك بلاء على الإنسان زمن يكون فيه أفراده كالملائكة بل أعظم أو يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري.

هذا ملخص ما تقدم في سياق آيات القصة، وأما التمثيل فيما نحن فيه منها فيصح عليه أن يراد بالجنة الراحة والنعيم؛ فإن من شأن الإنسان أن يجد في الجنة التي هي الحديقة ذات الشجر الملتئف ما يلذ له من مرأى وما كول ومشروب ومشروم ومسروم<sup>(١)</sup> في ظل ظليل وهواء عليل وماء سلسيل كما قال تعالى في القصة من سورة طه ﴿إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ ١١٨ وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحي، ويصح أن يعبر عن السعادة بالكون في الجنة وهو مستعمل، ويصح أن يراد بآدم نوع الإنسان كما يطلق اسم أبي القبيلة الأكبر على القبيلة فيقال: كلب فعلت كذا ويراد قبيلة كلب، وكان من قريش كذا يعني القبيلة التي أبوها قريش، وفي كلام العرب كثير من هذا.

ويصح أن يراد بالشجرة معنى الشر والمخالفة كما عبر الله تعالى في مقام التمثيل عن الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، وفسرت الكلمة التوحيد وعن الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة وفسرت بكلمة الكفر وفي الحديث تشبيه المؤمن

(١) هكذا وردت ولعلها (مسروع).

بشجرة النخل - ويصح أن يكون المراد بالأمر بسكنى الجنة وبالهبوط منها أمر التكوين فقد تقدم أن الأمر الإلهي قسمان: أمر تكوين، وأمر تكليف، والمعنى على هذا أن الله تعالى كون النوع البشري على ما نشاهد في الأطوار التدرجية التي قال فيها سبحانه: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُمْ أَطْوَارًا﴾ فأولها طور الطفولة وهي لا هم فيها ولا كدر وإنما هي لعب ولهم كان الطفل دائمًا في جنة ملتفة الأشجار يانعة الشمار جارية الأنهر متناغمة الأطياف وهذا معنى ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ وذكر الزوجة مع أن المراد بأدم النوع الآدمي للتبنيه على الشمول وعلى أن استعداد المرأة كاستعداد الرجل في جميع الشئون البشرية فامر آدم وحواء بالسكنى أمر تكوين أي أنه تعالى خلق البشر ذكوراً وإناثاً هكذا - وأمرهما بالأكل حيث شاء عبارة عن إباحة الطيبات وإلهام معرفة الخير والنهي عن الشجرة عبارة عن إلهام معرفة الشر، وأن الفطرة تهدي إلى قبحه ووجوب اجتنابه وهذا الإلهامان اللذان يكونان للإنسان في الطور الثاني وهو طور التمييز مما المراد بقوله تعالى ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ووسوءة الشيطان وإزالته لهما عبارة عن وظيفة تلك الروح الخبيثة التي تلبس النفوس البشرية فتقوى فيها داعية الشر، أي أن إلهام التقوى والخير أقوى في فطرة الإنسان أو هو الأصل ولذلك لا يفعل الشر إلا بملابس الشيطان له ووسوسته إليه - والخروج من الجنة مثال لما يلاقيه الإنسان من البلاء والعناء بالخروج عن حد الاعتدال الفطري - وأما تلقي آدم الكلمات وتوبته فهو بيان لما عرف في الفطرة السليمة من الاعتبار بالعقوبات التي تعقب الأفعال السيئة ورجوعه إلى الله تعالى عند الضيق والتجاهه إليه في الشدة وتوبه الله تعالى عليه عبارة عن هدايته إياه إلى المخرج من الضيق والتغلت من شرك البلاء بعد ذلك الاعتبار والالتجاء وذكر توبه الله على الإنسان ترد ما عليه النصارى من اعتقاد أن الله تعالى قد سجل معصية آدم عليه وعلى بنيه إلى أن يأتي عيسى وبخلصهم منها وهو اعتقاد تنبذه الفطرة ويرده الوحي المحكم المتواتر ..

وبقي طور آخر أعلى من هذه الأطوار وهو متنه الكمال وأعني به طور الدين الإلهي والوحى السماوي الذى به كمال الهدایة الإنسانية وبيانه في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِينَكُمْ مِّنْ هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدًى إِلَّا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٢٨] <sup>(١)</sup> **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [البقرة: ٣٩، ٣٨] <sup>(٢)</sup>.

□ ذلكم ما ذهب إليه الشيخ محمد عبده في تأويل قصة آدم في الجنة ومنه ندرك أن الإمام لم يصرح بما صرخ به خلف الله من أن قصص القرآن منافية للواقع مخالفة للحقيقة، وهو لا شك وافقه في حمل القصة على غير ظاهر ألفاظها إلى معنى أو معانٍ أخرى لا يدل عليها ظاهر الكلام ومن غير مسوغ لذلك.

وهو مذهب لم يذهب إليه الشيخ محمد عبده في هذه القصة فحسب بل هو منهج سار عليه وبعض تلاميذه في معظم قصص وأخبار القرآن الكريم ففي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتُ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. قال السيد رشيد رضا: «ولا يشترط أن تكون القصة في مثل هذا التعبير واقعة بل يصح مثله في القصص التمثيلية إذ يراد أن من شأن مثلها في وضوحيه أن يكون معلوماً حتى كأنه مرئي بالعينين»<sup>(٢)</sup> ، ثم ذهب في تفسير الآية **﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾** أي أماتهم بإمكان العدو منهم فالأمر أمر التكوين لا أمر التشريع أي قضت سنته في خلقه بأن يموتون بما أتوا

(١) «تفسير المنار» (١/٢٨٠ - ٢٨٤) وانظر «تفسير المراغي» (١/٩٤ - ٩٦) فقد نقل هذا النص ووصف أستاذة بالإجادة.

(٢) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (٢/٤٥٧).

من سبب الموت، وهو تمكين العدو المحارب من أقفائهم بالفرار ففتكت بهم وقتل أكثرهم ولم يصرح بأنهم ماتوا لأن أمر التكوين عبارة عن مشيته سبحانه فلا يمكن تخلفه وللاستثناء عن التصرير بقوله بعد ذلك: «ثم أحياهم»، وإنما يكون الإحياء بعد الموت والكلام في القوم لا في أفراد لهم خصوصية؛ لأن المراد بيان سنته تعالى في الأمم التي تجبن فلا تدافع العادين عليها ومعنى حياة الأمم وموتها في عرف الناس جميعهم معروف فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدو نكل بهم فأفني قوتهم وأزال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعد أمة، بأن تفرق شملها وذهب جامعتها فكل من بقي من أفرادها خاضعين للغالبين ضائعين فيهم مدغعين في غمارهم لا وجود لهم في أنفسهم وإنما وجودهم تابع لوجود غيرهم ومعنى حياتهم هو عود الاستقلال إليهم ذلك أن من رحمة الله تعالى في البلاء يصيب الناس أن يكون تأدبياً لهم ومظهراً لنفسهم مما عرض لها من دنس الأخلاق الذميمة أشعر الله أولئك القوم بسوء عاقبة الجبن والخوف والفشل والتخاذل بما أذاقهم من مراتتها فجمعوا كلمتهم ووثقوا رابطهم حتى عادت لهم وحدتهم قوية فاعترزوا وكثروا إلى أن خرجو من ذل العبودية التي كانوا فيها إلى عز الاستقلال فهذا معنى حياة الأمم وموتها<sup>(١)</sup>.

وي بين الشيخ محمد عبد رأيه في القصة في القرآن الكريم بعض بيان حين يقول: «يظن كثير من الناس الآن كما ظن كثير من قبلهم - أن القصص التي جاءت في القرآن يجب أن تتفق مع ما جاء في كتببني إسرائيل المعروفة عند النصارى بالعهد العتيق أو كتب التاريخ القديمة، وليس القرآن تاريخاً ولا قصصاً وإنما هو هداية وموعظة فلا يذكر قصة لبيان تاريخ حدوثها ولا لأجل التفكه بها أو الإحاطة بتفاصيلها وإنما يذكر ما يذكره لأجل العبرة

(١) المرجع السابق (٢/٤٥٧ - ٤٥٨) وانظر «تفسير المراغي» (٢/٢٠٨ - ٢٠٩).

كما قال تعالى: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الظَّالِمِينَ»، وبيان سنن الإجتماع كما قال: «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنُنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ» [آل عمران: ١٣٧] <sup>(١)</sup>.

وهو يكرر مثل هذا الكلام في مواضع عديدة من التفسير فيقول في تفسير قوله تعالى: «وَإِذَا سَتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بَعْصَكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ أَثْنَاءُ عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَّاسٍ مَشْرِبَهُمْ» [البقرة: ٦٠]. «إن كثيراً من أعداء القرآن يأخذون عليه عدم الترتيب في القصص ويقولون هنا أن الاستسقاء وضرب الحجر كان قبل التيه وقبل الأمر بدخول تلك القرية فذكر هنا بعد تلك الواقع، والجواب عن هذه الشبهة يفهم مما قلناه مراراً في قصص الأنبياء والأمم الواردة في القرآن وهو أنه لم يقصد بها التاريخ وسرد الواقع مرتبة بحسب أزمنة وقوعها. وإنما المراد بها الاعتبار والعظة ببيان التعم المتصلة بأسبابها لطلب بها وبيان النقم بعللها لتنقى من جهتها»، ثم يقول: «إن ترتيب الواقع هو من الزينة في وضع التأليف فلا يتوقف عليه الاعتبار بل ربما يصد عنه بما يكلف الذهن من ملاحظته وحفظه فهذا ضرب من ضروب الإصلاح العلمي جاء به القرآن وأيده سير الاجتماع في الإنسان» <sup>(٢)</sup>.

\* وفي قوله تعالى: «وَإِذَا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّحُوا بَقَرَةً» [البقرة: ٦٧] الآيات يقول الشيخ محمد عبده: «جاءت هذه الآيات على أسلوب القرآن الخاص الذي لم يسبق إليه ولم يلحق فيه فهو في هذه القصص لم يلتزم ترتيب المؤرخين ولا طريقة الكتاب في تنسيق الكلام وترتيبه على حسب الواقع حتى في القصة الواحدة وإنما ينسق الكلام فيه بأسلوب

(١) «تفسير المنار» محمد رشيد رضا (٤٧٠ / ٢).

(٢) «تفسير المنار» (٣٢٧ / ١).

## رياض الجنة في الرد

يأخذ بمجامع القلوب ويحرك الفكر إلى النظر تحريكًا ويهز النفوس للاعتبار هزاً<sup>(١)</sup>.

□ قال الشيخ رشيد: «قد جرى على هذا الأسلوب كتاب القصص المخترعة والأساطير التي يسمونها الروايات في هذا العصر»<sup>(٢)</sup>.

□ وقال الشيخ محمد عبده في موضع آخر عن التاريخ والقصة القرآنية: «ليس في القرآن شيء من التاريخ من حيث هو قصص وأخبار للأمم أو البلاد لمعرفة أحوالها وإنما هي الآيات والعبر تجلت في سياق الواقع بين الرسل وأقوامهم لبيان سن الله تعالى فيهم إنذاراً للكافرين بما جاء به محمد عليه السلام وتثبيتاً لقلبه وقلوب المؤمنين به، ولذلك لم تذكر قصة بترتيبها وتفاصيلها وإنما يذكر موضع العبرة فيها»<sup>(٣)</sup>.

□ وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي يُكَسِّهُ مُبَارَّكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]، وإن أخبار التاريخ ليست مما بلغ على أنه دين يتبع والموضوعات المروية في بناء الكعبة كثيرة<sup>(٤)</sup>.

□ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِّي يُحِينِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قال الشيخ رشيد رضا: «ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل»<sup>(٥)</sup>.

(١) «تفسير المنار» (١/٣٤٦ - ٣٤٧).

(٢) «تفسير المنار» (١/٣٤٦ - ٣٤٧).

(٣) «تفسير المنار» (٢/٢٠٥).

(٤) «تفسير المنار» (٤/٧).

(٥) «تفسير المنار» (٣/٥٢).

■ وقال الشيخ محمد عبده: «بَيْنَا غَيْرَ مَرَةٍ أَنَّ الْقُصُصَ جَاءَتِ فِي الْقُرْآنِ لِأَجْلِ الْمَوْعِظَةِ وَالاعتبارِ لَا لِبَيَانِ التَّارِيخِ وَلَا لِلْحَمْلِ عَلَى الاعتقادِ بجزئيات الأخبار عند الغابرين، وإنَّه ليحكى من عقائدهم الحقُّ والباطلُ وَمِنْ تَقَالِيدِهِم الصادقُ والكاذبُ وَمِنْ عَادَاتِهِم النافعُ والضارُ لِأَجْلِ الْمَوْعِظَةِ وَالاعتبارِ فِي حَكَاهَةِ الْقُرْآنِ لَا تَعْدُ مَوْضِعَ الْعِبْرَةِ وَلَا تَجَاوزُ مَوْطِنَ الْهُدَى»<sup>(١)</sup>.  
ولَا ندرى ما الذي يقصدهُ الشِّيخُ بِهَذَا؟ هل يُريدُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ قصصُهُ لِيُسْتَ لِلتَّارِيخِ وَإِنَّمَا لِلْهُدَى وَالاعتبارِ فَإِنَّهَا لَا تَلْتَزِمُ حَقَائِقَ التَّارِيخِ بَلْ تَشْتَمِلُ عَلَى مَا لَمْ يَقُعْ وَمَا لَمْ يَحْدُثْ؟!

وَهُلْ يُريدُ بِزَعْمِهِ وَزَعْمِ تَلَمِيذهِ أَنَّ قصصَ الْقُرْآنِ «لَا تَجَاوزُ مَوْطِنَ الْهُدَى»، وَأَنَّهَا لَمْ تَرُدْ إِلَّا «لِلْمَوْعِظَةِ وَالاعتبارِ» الورودُ الَّذِي يُسْوِغُ لِقَائِلِهِ أَنْ يَتَجَاوزَ الْحَقَائِقَ وَيَرْوِيَ مَا لَمْ يَقُعْ وَلَمْ يَحْصُلْ مَا دَامَتِ فِي حِيزِ الْهُدَى وَالْمَوْعِظَةِ كَمَا يُسْوِغُ لِلْحَكِيمِ أَنْ يَرْوِيَ حَكْمَتَهُ وَيُسْدِيهَا إِلَى النَّاسِ عَلَى أَسْنَةِ الْحَيَاةِ وَالطَّيُورِ.

■ هل يُريدُ بِهَذَا أَنْ يَرْفُضَ قُولَهُ تَعَالَى وَوَصْفَهُ لِقصصِ الْقُرْآنِ بِأَنَّهَا الْحَقُّ **«إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقُصُصُ الْحَقُّ»**، وَقُولَهُ سَبَحَانَهُ: **«نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأْهُمْ بِالْحَقِّ»**، وَقُولَهُ سَبَحَانَهُ: **«إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْصُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ»**.  
وَهُلْ يَقْصِدُ الشِّيخُ بِقُولِهِ: «وَلَا لِلْحَمْلِ عَلَى الاعتقادِ بجزئياتِ الأخبارِ» إِيَّاهُ رَدَّ شَيْءٍ مِّنْ جزئياتِهَا وَتَكْذِيَّهَا وَأَنْ ذَلِكَ لَا يَخَالِفُ عَقِيَّدَةَ الْمُسْلِمِ؟!  
إِنَّ كَانَ وَتَلَمِيذهِ يَقْصِدُونَ هَذَا وَلَمْ يَصُرُّهُوا بِهِ كَمَا صَرَّحُ بِهِ خَلْفُ اللَّهِ فِي رِسَالَتِهِ الْمُلْحَدَةِ فَهُوَ أَمْرٌ يَذَكُّرُنَا بِقُولِهِ تَلَمِيذهِ الْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ فَرِيدِ وجْدِيِّ:  
وَقَدْ اتَّصلَ الشَّرْقُ الْإِسْلَامِيُّ بِالْغَربِ مِنْذَ أَكْثَرَ مِنْ مائَةِ سَنَةٍ فَأَخْذَ

(١) «تَفْسِيرُ النَّارِ» (١/٣٩٩).

يرتشف من مناهله العلمية ويقتبس من مدنیته المادية فوق فیما وقف على هذه المیتولوجيا «علم الأساطیر» ووجد دینه مائلاً فيها فلم ينبع بكلمة لأنه يرى الأمر أكبر من أن يحاوله ولكنه استبطن الإلحاد متیقناً أنه مصير إخوانه كافة متى وصلوا إلى درجته العلمية، وقد نبغ في البلاد الإسلامية كتاب وشعراء وقفوا على هذه البحوث العلمية فسحرتهم فأخذوا يهیئون الأذهان لقبولها دساً في مقالاتهم وقصائدهم غير مصارحين بها غير أمثالهم تفادياً من أن يقاطعوا أو ينفوا من الأرض»<sup>(١)</sup>.

﴿والحق أنا لا نرى كبير فرق بين قولي الشيخ محمد عبده والأستاذ خلف الله فإن رأي الشيخ في قصص القرآن أنها «تمثيل وتخيل وهي للعظة والهدایة» ورأي خلف الله: «أنها مخالفة للواقع ومختلفة وهي للعظة والهدایة﴾.

فهما متفقان على الشطر الثاني، ومتافقان في الشطر الأول على أن ظاهر لفظها غير مراد وأنها غير واقعة عبر الأول عن ذلك بالتمثيل والتخيل وعبر الثاني عنه بالاختلاق.

ولا ينفي هذا قوله في موضع آخر: «وجملة القول أن طريقة القرآن في قصص الذين خلوا هي متنه الحكم، وما كان لمحمد الأمي الناشئ في تلك الجاهلية الأمية أن يرتفع إليها بفکره، وقد جهلها الحكماء في عصره وقبل عصره ولكنها هداية الله تعالى لعباده أوحاجها إلى صفوته منهم ﴿وَمَا كُنَّا لِنُهَتِّدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ فعلينا وقد ظهرت الآية ووضحت السبيل أن لا نلتفت إلى روایات الغابرين في تلك القصص ولا نعد مخالفتها للقرآن شبهة نبالي بكشفها»<sup>(٢)</sup>.

(١) جريدة الأهرام ٣٠/٨/١٩٣٣ مقال «مذهب القرآن في المتشابهات» لـ محمد فريد وجدي.

(٢) «تفسير المنار» لـ محمد رشيد رضا (٤٧٢/٢).

□ وإنني لأشعري هنا نصوصاً ذكرتها تؤيد ما قلته. قال السيد رشيد: «ولا يشترط أن تكون القصة في مثل هذا التعبير واقعة بل يصح مثله في القصص التمثيلية»<sup>(١)</sup>، ويقول: «وإن أخبار التاريخ ليست مما بلغ على أنه دين يتبع»<sup>(٢)</sup>، ويقول في إحدى القصص: «ويحتمل أن تكون القصة من قبل التمثيل»<sup>(٣)</sup> ويقول أخيراً: «قد جرى على هذا الأسلوب كتاب القصص المخترعة والأساطير التي يسمونها الروايات في هذا العصر»<sup>(٤)</sup>.

□ ويقول شيخه محمد عبده: «بينا غير مرة أن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين»<sup>(٥)</sup>.

وإنني لأدعوك كل مسلم أن يجعل البحث عن الحقيقة هدفه وأن لا تعميه متزلة الرجل بين الناس عن طلبها وأن يجعل الحق ميزاناً للأقوال لا أن يجعل الرجال ميزاناً لها.

وبعد أن يؤمن بهذا فلينظر فيما سقناه من النصوص في مذهب الشيخ محمد عبده وبعض تلاميذه في القصة في القرآن الكريم. وما لم نذكره اختصاراً ثم ليقل رأيه بعد هذا وليرشدنا إلى الحق إن كنا قد تجاوزناه فالحقيقة ضالتنا»<sup>(٦)</sup>.

(١) المرجع السابق (٤٥٧/٢).

(٢) المرجع السابق (٤/٧).

(٣) المرجع السابق (٣/٥٢).

(٤) المرجع السابق (١/٣٤٧).

(٥) المرجع السابق (١/٣٩٩).

(٦) «منهج المدرسة العقلية الحديثة» ص(٤٤٢ - ٤٦٦).

\* شذوذ المدرسة العقلية في كيفية خلق عيسى من مريم عليها السلام:  
 \* قال تعالى: ﴿رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

تأثير رجال المدرسة العقلية الحديثة كثيراً بالمستشرقين الفرنسيين وغيرهم، ويظهر تأثيرهم بهم أكثر ما يظهر في محاولاتهم الدائبة على تقريب الأخبار الخارقة في القرآن إلى الأذهان بصرفها إلى خضوع الأسباب لمسيباتها، وتعليلها بما يوافق العلم والعقل بزعمهم.

ومن ذلك تأويلهم لخلق عيسى عليه السلام المذكور في هذه الآية، وكان الواجب التوقف في تفصيل كيفية نشوء الحمل لأنّه من الأمور الغيبية التي لا تثبت إلا بالوحى ولم ينص الوحي على كيفية ذلك، فكان المنهج السليم ومنهج السلف التوقف في كيفية وإسناد علم ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، وعلينا أن نؤمن أن مريم عليها السلام ليست بغيّاً بل اصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، وأن الله أرسل إليها ملائكاً تمثل لها بشراً أخبرها بمهمة وهي أن يهب لها غلاماً، ثم نفح الله فيها من روحه فحملت بعيسى عليه السلام.

أما محاولة تقريب حملها بعيسى عليه السلام إلى الأذهان بما تكون به هذه الواقعة أمراً عادياً لا إعجاز فيه ولا في كونه آية للناس فيها باطل نرفضه. فكيف إذا كان تأويله بما هو بعيد عن الحقائق متأثر بنظريات علمية ثبت بطلانها وزيفها، ولندع السيد رشيد رضا يشرح لنا محاولاتهم حيث يقول: «وأقول: أعلم أن الكافرين بآيات الله ينكرون الحمل بعيسى من غير أب جموداً على العادات، وذهولاً عن كيفية ابتداء خلق جميع المخلوقات. ولو كان لهم دليل عقلي على استحالة ذلك لكانوا معدورين ولكن لا دليل لهم إلا أن هذا غير معتمد، وهم في كل يوم يرون من شئون الكون ما لم

يكن معتاداً من قبل، فمته ما يعرفون له سبباً ويعبرون عنه بالاكتشاف والاختراع، ومنه ما لا يعرفون له سبباً ويعبرون عنه بفلتات الطبيعة ونحن معاشر المؤمنين نقول: إن تلك الأشياء المعتبر عنها بالفلتات إما أن يكون لها سبب خفي وحيثذا يجب أن تهدي هؤلاء الجامدين إلى أن بعض الأشياء يجوز أن يأتي من غير طريق الأسباب المعروفة، فلا ينكروا كل ما يخالفها لاحتمال أن يكون له سبب خفي لم يقفوا عليه، ولا يتزل أمر عيسى في الحمل به من غير واسطة أب عن ذلك، وأما أن تكون قد وجدت في الواقع بنفس الأمر خارقة لنظام الأسباب وحيثذا يجب بأن يعترفوا بأن الأسباب الظاهرة المعروفة ليست واجبة وجوباً عقلياً مطرياً وإذا كان الأمر كذلك امتنع على العاقل أن ينكر شيئاً ما ويعده مستحيلاً لأنه لا يعرف له سبباً، ولعل أبناء العصور السابقة كانوا أقرب إلى أن يعدروا بإنكار غير المألوف من أبناء هذا العصر الذي ظهر فيه من أعمال الناس ما لو حدث به عقلاً الغابرين لعدوه من خرافات الدجالين، ونحن نرى علماء الغرب وفلسفته متفقين على إمكان التولد الذاتي أي تولد الحيوان من غير حيوان أو من الجماد، وهم يبحثون ويحاولون أن يصلوا إلى ذلك بتجاربهم، وإذا كان تولد الحيوان من الجماد جائزاً فتولد الحيوان من حيوان واحد أولى بالجواز وأقرب إلى الحصول نعم.. إنه خلاف الأصل وإن كونه جائزاً لا يقتضي وقوعه بالفعل، ونحن نستدل بوقوعه بالفعل بخبر الوحي الذي قام الدليل على صدقه<sup>(١)</sup>.

إلا أن تعدي السيد رشيا رضا حدود التفسير وتجاوزه لمنهج السلف يظهر في محاولته تقريب هذه الواقعة إلى السنن المعروفة في نظام الكائنات، وذلك بصرفها عن أن تكون خارقة وآية للناس إلى أن تكون غير ذلك حيث يقول: «ويمكن تقريب هذه الآية الإلهية من السنن المعروفة في نظام

(١) «تفسير المنار» (٣٠٨ - ٣٠٩).

الكائنات بوجهين :

أحدهما: أن الاعتقاد القوي الذي يستولى على القلب ويستحوذ على المجموع العصبي يحدث في عالم المادة من الآثار ما يكون على خلاف المعتاد فكم من سليم اعتقد أنه مصاب بمرض كذا، وليس في بدنـه شيء من جرائم هذا المرض فولد له اعتقاده تلك الجرائم الحية وصار مريضًا، وكم من أمرئ سقي الماء القرابح أو نحوه فشربه معتقداً أنه سـم نـاقـع فـمـات مـسـمـومـاً بـهـ، والحوادث في هذا الباب كثيرة أثبتتها التجارب وإذا اعتبرنا بها في أمر ولادة المسيح نقول: إن مريم لما بـشـرـتـ بـأنـ اللـهـ تـعـالـىـ سـيـهـبـ لـهـاـ ولـدـاـ بـمـحـضـ قـدـرـتـهـ وهي على ما هي عليه من صحة الإيمان وقوة اليقين، انفعـلـ مـزـاجـهاـ بـهـذاـ الـاعـتـقـادـ انـفـعـالـاـ فـعـلـ فـيـ الرـحـمـ فعلـ التـلـقـيـحـ، كما يـفـعـلـ الـاعـتـقـادـ القـوـيـ فيـ مـزـاجـ السـلـيمـ فـيـمـرـضـ أوـ يـمـوتـ، وـفـيـ مـزـاجـ المـرـيـضـ فـيـرـأـ، وـكـانـ نـفـخـ الـرـوـحـ الـذـيـ وـرـدـ فـيـ سـوـرـةـ أـخـرـىـ مـتـمـمـاـ لـهـذاـ التـأـيـرـ.

الوجه الثاني: وهو أقرب إلى الحق وإن كان أخفى وأدق وبيانه يتوقف على مقدمة وجيبة في تأثير الأرواح في الأشباح، وهي أن المخلوقات قسمان أجسام كثيفة وارواح لطيفة، وأن اللطيف هو الذي يحدث في الكثيف الحي ما نراه فيه من النمو والحركة والتـوالـدـ الذي يكون فيه من النـموـ أوـ يـكـونـ النـمـوـ منهـ فـلـوـلاـ الـهـوـاءـ لـمـ عـاشـتـ هـذـهـ الـأـحـيـاءـ وـالـهـوـاءـ رـوـحـ، ولـذـلـكـ كانـ منـ أـسـمـائـهـ إـذـاـ تـحـرـكـ الـرـيـحـ وـأـصـلـهـاـ رـوـحـ بـكـسـرـ الرـاءـ وـلـأـجـلـ الـكـسـرـ قـلـبـ الـوـاـوـ يـاءـ لـتـنـاسـبـهـ وـلـمـاءـ الـذـيـ مـنـهـ كـلـ شـيـءـ حـيـ مـرـكـبـ مـنـ روـحـينـ لـطـيفـينـ وـهـوـ يـكـادـ يـكـونـ فـيـ حـالـ التـرـكـيبـ وـسـطـاـ بـيـنـ الـكـثـيـفـ وـالـلـطـيـفـ وـلـكـنـهـ أـقـرـبـ إـلـىـ الثـانـيـ، وـالـكـهـرـبـائـيـةـ مـنـ الـأـرـوـاحـ وـنـاهـيـكـ بـفـعـلـهـاـ فـيـ الـأـشـبـاحـ، فـهـذـهـ الـمـوـجـوـدـاتـ الـلـطـيـفـةـ الـتـيـ سـمـيـنـاـهـاـ أـرـوـاحـاـ هـيـ التـيـ تـحـدـثـ مـعـظـمـ التـغـيـرـ الـذـيـ نـشـاهـدـهـ فـيـ الـكـوـنـ حـتـىـ أـنـاـ قـدـ رـأـيـنـاـ فـيـ هـذـاـ الـعـصـرـ مـنـ أـسـرـارـهـاـ مـاـ لـمـ يـكـنـ يـخـطـرـ عـلـىـ بـالـ أـحـدـ.

من قدماء فلاسفتنا، ويعتقد علماؤنا اليوم أن ما سيظهر منها في المستقبل أجل وأعظم، فإذا كان الأمر كذلك في الأرواح التي لا دليل عندنا على أنها تدرك وتريد فلم لا يجوز أن يكون تأثير الأرواح العاقلة المريدة أعظم.

ثم قال: «إذا تمهد هذا فنقول: إن الله المسخر للأرواح المبتهة في الكائنات قد أرسل روحًا من عنده إلى مريم فتمثل لها بشرًا ونفخ فيها فأحدثت نفخته التلقيح في رحمها فحملت بعيسى عليه السلام وهل حملت إليها تلك النفحة مادة أم لا؟ الله أعلم»<sup>(١)</sup>.

ذلكم ما قاله رجال المدرسة العقلية الحديثة في أمر خلق عيسى عليه السلام فهو أمر ليس فيه من خارق العادات شيء بل هو إما اعتقاد قوي استولى على قلب مريم واستحوذ على مجموع أعصابها لما بشرت بأن الله تعالى سيهب لها ولدًا بمحض قدرته فانفعل مزاجها انفعالاً فعل في الرحم فعل التلقيح؟! فلم يكن في الأمر عجباً! ولم يكن فيه «آية للناس»؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

وهم بهذا التأويل وإن لم يرجحوه قد فروا من طريق السلامة إلى طريق الضلال وفتحوا طريقاً سهلاً للبغایا الفاسدات ولزيغمون إذا وقع منهن الحمل أنهن لم يرتكبن جريمة الزنا، وإنما وقع منهن الاعتقاد؟! وما الذي بأيدينا حتى نثبت كذبهن إذا جعلنا الاعتقاد هذا سبيلاً للحمل، وأي فضل اختصت به مريم عليها السلام بل أي أمر عجب جعله الله آية للناس فليعلم بطلان هذا الزعم.

وأما أن الله المسخر للأرواح المبتهة في الكائنات قد أرسل روحًا من عنده إلى مريم، فتمثل لها بشرًا ونفخ فيها فأحدثت نفخته التلقيح في رحمها

(١) «تفسير المنار» (٣١٠ - ٣٠٩/٣).

## رياض الجنة في الرد

فحملت بعيسى عليه السلام وهل حملت إليها تلك النفخة مادة أم لا؟ الله أعلم<sup>(١)</sup>.

□ وهذا هو الذي ورد في القرآن ما يشير إليه، وكنا نود لو اكتفى رجال المدرسة بهذا التأويل في الأمر الغيبي ولم يأتوا من عندهم ومن خارج ما تدل عليه ألفاظ القرآن بتأويلات باطلة ومفاهيم ضالة.

ولكنهم أرادوا زيادة التقريب إلى الأذهان خشية ألا تقبل أذهان «أحرار الأفرنج» التأويل السليم للأية فجاءوا بتأويل آخر تقبله أذهانهم ولكنه مخالف لما دل عليه القرآن الكريم فكان حقًا علينا أن نرفضه ونرده على أصحابه ليقى التأويل السليم والفهم السلفي الصحيح هو رائدنا في تفسير الآية، والله الهادي.

\* إنكارهم لنزول عيسى عليه السلام آخر الزمان وردتهم للحديث المتواتر: فقد تواتر في السنة النبوية الشريفة نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان ومن حكى التواتر هذا ابن حجر الطبرى<sup>(٢)</sup> آنفًا والشوكاني في تفسيره<sup>(٣)</sup> وابن كثير<sup>(٤)</sup> وابن حجر العسقلانى<sup>(٥)</sup> وابن عطية الغرناطي الأندلسي في تفسيره<sup>(٦)</sup>. وأبو الوليد بن رشد<sup>(٧)</sup> والسفاريني<sup>(٨)</sup> والكتانى<sup>(٩)</sup> والشيخ محمد شفيع<sup>(١٠)</sup>

(١) «تفسير المنار» (٣١٠ / ٣). (٢) «تفسير الطبرى» (٤٥٨ / ٦).

(٣) «فتح القدير» (٥٣٥ / ١). (٤) «تفسير ابن كثير» (٦١٥ / ١ - ٦٢١)، و(٤ / ٤).

(٥) «فتح الباري» لابن حجر العسقلانى (٤٩٣ / ٦ - ٤٩٤).

(٦) «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي الغرناطي (٤٧٣ / ٢).

(٧) «إكمال إكمال المعلم» (شرح صحيح مسلم) لأبي عبدالله محمد بن خلفة الوشتنى الأبي (٢٦٥ / ١).

(٨) «الوامع الأنوار البهية» لمحمد بن أحمد السفاريني (٩٤ / ٢ - ٩٥).

(٩) «نظم المتأثر من الحديث المتواتر» لأبي عبدالله محمد الكتانى ص (١٤٧).

(١٠) «مقدمة التصريح بما تواتر في نزول المسيح» كتبها الشيخ محمد شفيع ص (٥٦).

والشيخ مصطفى صبّري<sup>(١)</sup> وأبو حيـان الأندلسـي في تفسـيره<sup>(٢)</sup>. لكن رجال المدرسة العقلية الحديثـة جاءـوا بالعجب العجـاب في تفسـير هذه الآية مهدـوا للأمر أولـاً تمهـيدـاً فـأنكروا صـحة الأحادـيث الـوارـدة في نـزول عـيسـى عليهـ السلام فـضلاً عنـ توـاتـرـها وـزـعمـوا أنـها «روـاـيات مـضـطـرـبة مـخـلـفة فيـ الـفـاظـها وـمـعـانـيها اـخـلـافـاً لـا مـجـالـ معـه لـلـجـمـعـ بـيـنـها، وـقـدـ نـصـ علىـ ذـلـكـ عـلـمـاءـ الـحـدـيـثـ وـهـيـ فـوـقـ ذـلـكـ روـاـيـةـ وـهـبـ بـنـ مـنـبـهـ، وـكـعبـ الـأـحـبـارـ وـهـماـ مـنـ أـهـلـ الـكـتـابـ الـذـينـ اـعـتـنـقـواـ إـلـاسـلـامـ وـقـدـ عـرـفـتـ درـجـتـهـماـ فيـ الـحـدـيـثـ عـلـمـاءـ الـجـرـحـ وـالـتـعـدـيلـ»<sup>(٣)</sup> وأـضـافـ الشـيـخـ شـلتـوتـ قـائـلاً: «ومـوجـزـ ماـ نـقـولـ فيـهـ: أنـهاـ لـا تـخـرـجـ عنـ كـوـنـهـاـ أـحـادـيثـ آـحـادـ، وـأـحـادـيثـ الـآـحـادـ مـهـماـ صـحـتـ لـاـ تـفـيدـ يـقـيـناـ يـثـبـتـ عـقـيـدةـ يـكـفـرـ مـنـكـرـهـاـ»<sup>(٤)</sup>.

ثم يـصفـ أولـئـكـ الـعـلـمـاءـ الـأـفـاضـلـ الـذـيـ حـكـوـاـ التـوـاتـرـ وـمـنـهـمـ مـنـ ذـكـرـنـاـ آـنـفـاـ كـاـبـنـ حـجـرـ وـالـطـبـرـيـ وـابـنـ كـثـيرـ وـالـشـوـكـانـيـ وـغـيـرـهـمـ بـأـنـهـمـ قـوـمـ «تـظـاهـرـوـاـ بـالـإـنـسـابـ إـلـىـ الـدـيـنـ وـالـغـيـرـةـ عـلـىـ أـحـادـيثـ الرـسـوـلـ وـاستـبـاحـوـ لـأـنـفـسـهـمـ -ـ فـيـ سـبـيلـ أـغـرـاضـهـمـ الدـنـيـاـ -ـ أـنـ يـصـطـنـعـوـاـ كـلـ أـسـالـيـبـ التـلـيـسـ وـالـتـموـيـهـ فـيـ شـأنـ أـحـادـيثـ عـيـسـىـ الـتـيـ لـاـ يـكـنـ أـنـ يـكـونـ مـنـهـاـ مـتـوـاتـرـ حـتـىـ عـلـىـ أـوـسـعـ الـأـرـاءـ فـيـ تـحـقـقـهـ وـهـيـ مـعـ آـحـادـيـتهاـ يـكـثـرـ وـيـشـتـدـ فـيـ مـعـظـمـهـاـ ضـعـفـ الرـوـاـةـ وـاضـطـرـابـ الـمـتـوـنـ، وـنـكـارـةـ الـمـعـانـيـ، فـتـرـاهـمـ يـقـولـونـ هـيـ مـتـوـاتـرـةـ قـدـ رـوـاـهـاـ فـلـانـ وـفـلـانـ مـنـ الصـحـابـةـ وـالـتـابـعـينـ، وـذـكـرـتـ فـيـ كـتـابـ كـذـاـ وـكـتـابـ كـذـاـ مـنـ كـتـبـ الـمـقـدـمـينـ، فـإـذـاـ رـأـواـ فـيـ بـعـضـهـاـ ضـعـفـاـ أوـ اـضـطـرـابـاـ أوـ نـكـارـةـ حـاـوـلـوـاـ التـخلـصـ مـنـ ذـلـكـ

(١) «مـوقـفـ الـعـقـلـ وـالـعـلـمـ وـالـعـالـمـ» (٤/٢٤٧) لـمـصـطـفـيـ صـبـرـيـ.

(٢) «الـنـهـرـ المـاـدـ مـنـ الـبـحـرـ» لـأـبـيـ حـيـانـ الـأـنـدـلـسـيـ (٢/٤٧٣) بـهـامـشـ تـفـسـيرـ الـبـحـرـ الـمـحـيطـ.

(٣) «الـفـتاـوىـ» لـلـشـيـخـ مـحـمـودـ شـلتـوتـ صـ(٦٢).

(٤) المـرـجـعـ السـابـقـ صـ(٧٧).

## رياض الجنّة في الرد

قالوا: إن الضعيف فيها منجبر بالقوى وأن العدالة لا تشرط في رواة المواتر. وهكذا يخلعون عليها ثواباً مهلهلاً من القدسية، لا رغبة في علم ولا غيرة على حق ولكن مكابرة وعنداداً وإصراراً على التضليل، وليقال على ألسنة العامة وأشباه العامة أنهم حفاظ وأنهم محدثون! (١) !

فإن قال قائل: إنه لا يقصد في اتهامه الخطير هذا أولئك العلماء الذين ذكرت ولم يسم أحداً منهم؟ قلت: إن كلامه ولا شك يشملهم ويعمهم فإنهم هم الذين قالوا: «أنها متوترة قد رواها فلان وفلان من الصحابة والتابعين وذكرت في كتاب كذا وكتاب كذا من كتب المتقدمين»، وهم الذين قالوا: «إن الضعيف فيها منجبر بالقوى».

فإن كان لا يقصدهم فإن كلامه يشملهم بل كدت أقول يخصهم شاء ذلك أم أبي.

ثم أدرك أن كلامه هذا لا يقوم على الأصول الصحيحة في نقد الحديث أو قواعد الجرح والتعديل فذهب يلتمس مخرجاً آخر فزعم «أن تلك الأحاديث كيما كانت ليست من قبل الحكم الذي لا يتحمل التأويل حتى تكون قطعية الدلالة، فقد تناولتها أفهم العلماء قدماً وحديثاً، ولم يجدوا مانعاً من تأويلها» (٢) .

□ وقال الشيخ شلتوت أيضاً: «إنه ليس في الأحاديث التي أوردوها في شأن نزول عيسى آخر الزمان قطعية ما، لا من ناحية ورودها ولا من ناحية دلالتها» (٣) .

وهذا هو ما ذهب إليه شيخه «الأستاذ الإمام» محمد عبده حيث قال

(١) المرجع السابق ص (٧٧ - ٧٨).

(٢) المرجع السابق ص (٧٨).

(٣) «الفتاوی» لمحمود شلتوت ص (٧٩).

عن طريقته: «ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والتزول في آخر الزمان تخريجان أحدهما أنه حديث أحد متعلق بأمر اعتقادي؛ لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي؛ لأن المطلوب فيها هو اليقين وليس في الباب حديث متواتر. وثانيهما: تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وهو ما غالب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بما يقصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وما شرعت لأجله»<sup>(١)</sup>.

وقد أراد أن يدافع السيد رشيد عن ظاهر هذه الأحاديث بأنه لا يوافقهم ثم أشار إلى تأويل آخر ليسلكوه هو أشد فتنة وضلالاً من أنكر التواتر فقال: «هذا ما قاله الأستاذ الإمام في الدرس مع بسط وإيضاح، ولكن ظواهر الأحاديث الواردة في ذلك تأباه، ولأهل هذا التأويل أن هذه الأحاديث قد نقلت بالمعنى كأكثر الأحاديث والناقل للمعنى ينقل ما فهمه»<sup>(٢)</sup>، وإنما قلنا: أن هذا التأويل أشد ضلالاً وفتنة من ينكر التواتر لأن من أنكر التواتر إذا صبح عنده التواتر عمل به واعتقد. أما من زعم أن هذه الأحاديث نقلت بالمعنى فالتأويل الباطل هو سببه في كل ما خالف معتقده سواء كان الدليل متواتراً أو غير متواتر وحجته أنها رويت بالمعنى.

□ ونقل الشيخ شلتوت عن الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغي فتواه في نزول عيسى وجاء فيه «لكن جمهور العلماء على أنه رفعه بجسمه وروحه فهو حي الآن بجسمه وروحه وفسروا الآية بهذا بناء على أحاديث وردت كان لها عندهم المقام الذي يسوغ تفسير القرآن بها، ثم قال: «ولكن هذه الأحاديث لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التي توجب على المسلم عقيدة،

(١) «تفسير المنار» (٣١٧/٣).

(٢) «تفسير المنار» (٣١٧/٣).

والعقيدة لا تجحب إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر<sup>(١)</sup>.

ومن هذا ندرك مبلغ جهدهم في إنكار توادر هذه الأحاديث وهو جهد ضال؛ لأنّه لا يقوم على الأسس الصحيحة لنقد الحديث مع جمع للروايات ثم نقادها ونقد رجالها بما تبطل به صحتها وتوادرها ولكنهم يصفونها - اعتباطاً - بأنّها أحاديث غير متواترة وهذا منهج مألف لهم في إنكار الأحاديث المتواترة التي لا تتوافق هواهم وقد منّا بعض ذلك في إنكارهم توادر ما توادر عند السلف من علامات الساعة قال الشوكاني بعد أن ساق الأحاديث الواردة في المهدى والدجال ونزول عيسى: «فتقرر أن الأحاديث الواردة في المهدى المتظر متواترة والأحاديث الواردة في الدجال متواترة والأحاديث الواردة في نزول عيسى بن مريم متواترة»<sup>(٢)</sup>.

وغير ذلك من الآيات التي ذكرنا هناك توادرها، وقد أنكر رجال المدرسة العقلية صحتها فضلاً عن توادرها وأولوها تأويلاً باطلة على نحو ما نقلنا عن الشيخ عبد الله آنفًا عن الدجال وكونه رمزاً للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها»<sup>(٣)</sup>.

\* نقل رشيد رضا تأویل الشیخ عبد الله لهذه الآیة بقوله:

«يقول بعض المفسرين: «إني متوفيك»، أي منومك وبعضهم إني قابضك من الأرض بروحك وجسديك «ورافعك إلى» بيان لهذا التوفي، وبعضهم إني أنجيك من هؤلاء المعذين فلا يمكنون من قتلك وأميتك حتف

(١) «الفتاوى» لشلتوت ص(٨٢).

(٢) انظر تحقيق عبدالفتاح أبو غدة لكتاب «التصریح بما توادر في نزول المسيح» للكشمیری ص(٦٤).

(٣) «تفسير المنار» (٣١٧/٣).

أنفك، ثم أرفعك إلىَّ. ونسب هذا القول إلى الجمُهور، وقال للعلماء: هنا طريقتان أحدهما وهي المشهورة أنه رفع حيًّا بجسمه وروحه وأنه سينزل في آخر الزمان فيحكم بين الناس بشرعيتنا ثم يتوفاه اللَّه تعالى ولهم في حياته الثانية على الأرض كلام طويل معروف وأجاب هؤلاء عما يرد عليهم من مخالفة القرآن في تقديم الرفع على التوفي بأن الواو لا تفيد ترتيبًا - أقول: وفاتهـم أن مخالفة الترتيب في الذكر للترتيب في الوجود لا يأتي في الكلام البليغ إلا لنكتة ولا نكتة هنا لتقديم التوفي على الرفع إذ الرفع هو الأهم لما فيه من البشارة بالنجاة ورفعة المكان. (قال) والطريقة الثانية أن الآية على ظاهرها وأن التوفي على معناه الظاهر المتادر وهو الإمامة العادية وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح ولا بدع في إطلاق الخطاب على شخص وإرادة روحه، فإن الروح هي حقيقة الإنسان والجسد كالثوب المستعار، فإنه يزيد وينقص ويتغير والإنسان إنسان؛ لأن روحه هي هي (قال) ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والتزول في آخر الزمان تخريجان أحدهما أنه حديث أحد متعلق بأمر اعتقادـي؛ لأنـه من أمور الغـيب والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي؛ لأنـ المطلوب فيها هو اليقـين وليس في الباب حديث متواتـر وثانيهما: تأوـيل نزوله وحكمـه في الأرض بغلبة روحـه وسر رسالته على الناس وهو ما غالبـ في تعليمه من الأمر بالرحمة والمـحبة والـسلم والأخذ بمقاصـد الشـريـعة دونـ الوقـوف عندـ ظواهرـها والـتمـسـك بـقـشورـها دونـ لـبابـها وهو حـكمـتها وما شـرـعت لأجلـه فـالـمـسيـح عـلـيـه السـلام لمـ يـأتـ لـلـيهـود بـشـرـيعـة جـديـدة، ولـكـنه جاءـهـم بما يـزـحـزـهم عنـ الجـمـود عـلـى ظـواـهرـ الفـاظـ شـرـيعـة مـوسـى عـلـيـه السـلام وـيـوقـفهم عـلـى فـقـهـها وـالـمـرـادـ منـهـا وـيـأـمـرـهـم بـمـرـاعـاتـهـ وـبـمـا يـجـذـبـهـم إـلـى عـالـمـ الـأـرـوـاحـ بـتـحـرـيـ كـمـالـ الـآـدـابـ أـيـ وـلـاـ كانـ أـصـحـابـ الـشـرـيعـةـ الـأـخـيـرـةـ قدـ جـمـدـواـ عـلـى ظـواـهرـ الفـاظـهـاـ بـلـ وـالـفـاظـ منـ كـتـبـ فـيـهاـ مـعـبـرـاـ عـنـ رـأـيـهـ وـفـهـمـهـ وـكـانـ ذـلـكـ مـزـهـقـاـ لـرـوـحـهـاـ ذـاهـبـاـ بـحـكـمـتهاـ كـانـ لـاـ بـدـ لـهـمـ

## رياض الجنة في الرد

من إصلاح عيسوي يبين لهم أسرار الشريعة وروح الدين وأدبه الحقيقي وكل ذلك مطوي في القرآن الذي حجبوا عنه بالتقليد الذي هو آفة الحق وعدو الدين في كل زمان فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية لإصلاح السرائر من غير تقييد بالرسوم والظواهر<sup>(١)</sup>.

□ ومن هذا ندرك أن الشيخ جعل عيسى عليه السلام رمزاً لغبة روحه وسر رسالته على الناس كما جعل الدجال رمزاً للدجل والخرافات وكلاهما مذهب جديد سبق إليه الشيخ عبده وتلاميذه. قال الشيخ أحمد مصطفى المراغي: «فzman عيسى هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية لإصلاح السرائر من غير تقييد بالرسوم والظواهر وأما الدجال فهو رمز الخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها، والقرآن أعظم هاد إلى الحكم والأسرار وسنة الرسول عليه السلام مبنية لذلك»<sup>(٢)</sup>.

□ يا ضيعة الأمة حين تنبذ العقائد الثابتة بما دل عليه القرآن الكريم وما تواتر في السنة النبوية.

وانظر إلى عجب العجب من قول السيد رشيد رضا: «وجملة القول: أنه ليس في القرآن نص صريح في أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حياً حياة دنيوية بهما.. وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء، وإنما هذه عقيدة أكثر النصارى، وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهور الإسلام إلى الآن بثها في المسلمين»<sup>(٣)</sup>.

(١) «تفسير المنار» (٣١٧/٣).

(٢) «تفسير المراغي» (١٧٠/٣).

(٣) الجزء العاشر المجلد ٢٨ للمنار ص (٧٥٦).

إذن فهذه العقيدة أسطورية؛ لأنها لا تستند إلى الكتاب ولا إلى السنة حاول بثها بين المسلمين أكثر النصارى منذ ظهور الإسلام.

ولا أدرى كيف يصفهم بأنهم «حاولوا» ولا يقول: «نجحوا»؛ لأنهم تمكنوا من بثها في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما بل في منابع تلك الكتب وتمكنوا من خداع أصحاب هذه الكتب بل من خداع جمهور علماء المسلمين ولم يكشف زيفهم ودسهم لهذه الأسطورة إلا الشيخ محمد عبده وتلاميذه، هذا على التسليم بأن القرآن لا يدل على هذه العقيدة.

ورحم الله الشافعي الذي أدرك بصيرته جنائية تقديم العقل على النقل فقال: «إنما فسد العرب لما تركوا لسان الفطرة واتبعوا لسان أرسطو طاليس».

□ يقول الشاعر:

من أنت يا رسطو	ومن أفلاط قبلك يا مبلد
هل أنتم إلا الفراش	وقد رأى ناراً توقد
فدنـا فاحرق نفسه	ولـو اهـتدـى رـشدـاً لـأبـعدـ
فـلـتـخـسـأـ الـحـكـمـاءـ عنـ	ربـ لـهـ الـأـفـلاـكـ تـسـجـدـ

#### \* أثر المدرسة العقلية الحديثة في الفكر الإسلامي:

□ تكلمنا عن أثر المدرسة في تفسير القرآن، وأنهم يحملون الآيات ما لا تحتمله، ويؤولون الحقائق القرآنية تأويلاً منحرفاً عن فهم السلف الصالح. انظر مثلاً إلى «الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن» لأبي زيد الدمنهوري وقد سبق ذكر شطحاته.

وانظر إلى طنطاوي جوهري في كتابه «الجوهر في تفسير القرآن العظيم»، يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّحُوا بَقَرَةً﴾ الآيات «وأما علم تحضير الأرواح، فإنه من هذه الآية

استخراجه، أن هذه الآية تتلى المسلمين يؤمّنون بها حتى ظهر علم تحضير الأرواح بأمريكا أولاً ثم بسائر أوربا ثانياً<sup>(١)</sup> ، وقال: «ولما كانت السورة التي نحن بصدقها قد جاء فيها حياة العزيز بعد موته، وكذلك حماره، ومسألة الطير وإبراهيم الخليل، ومسألة الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الطاعون فماتوا ثم أحياهم وعلم الله أننا نعجز عن ذلك جعل قبل ذكر تلك الثلاثة في السورة ما يرمي إلى استحضار الأرواح في مسألة البقرة كأنه يقول: إذا قرأت ما جاء عن بنى إسرائيل في إحياء الموتى في هذه السورة عند أواخرها فلا تيأسوا من ذلك فإني قد بدأت بذكر استحضار الأرواح فاستحضروها بطرقها المعروفة» **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**، ولكن ليكن المحضر ذا قلب نقى خالص على قدم الأنبياء والمرسلين كالعزيز، وإبراهيم وموسى، فهو لاء خلوص قلوبهم وعلو نفوسهم أربتهم بالمعاينة ليطمئنوا وأنا أمرت نبيكم أن يقتدي بهم فقلت: **فَبِهَدَاهُمْ إِقْتَدَهُ**<sup>(٢)</sup>.

□ وفي تفسير قوله تعالى: **يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمْ أَسْتِنْتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ونحوها من الآيات يقول: «.. أو ليس الاستدلال بآثار الأقدام وأثار أصابع الأيدي في أيامنا الحاضرة هو نفس الذي صرّح به القرآن»<sup>(٣)</sup>.

لا شك أن هذا التفسير وأمثاله من أخطر التفاسير للقرآن الكريم بل هو تلاعب بالأيات وصرف لها عن حقائقها الثابتة إلى معان لا تثبت إلا بقدر ما تثبت مكتشفات علمية تهتز يمنة ويسرة بين الثبات والسقوط - هذا في الآيات التي قد يفهم منها ما أورده في تفسيرها بما بالك بما يورده من تفسير لا

(١) «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» لطقطاوي جوهري (٨٤/١).

(٢) المرجع السابق (٨٩/١).

(٣) المرجع السابق (٩٩/٣).

تحتمله الآي من بعيد ولا من قريب.

(ب) في السنة النبوية:

وقد سبق ذكر ذلك بالتفصيل وردهم لأحاديث صحيحة بل ومتواترة، وعدم أخذهم بأحاديث الأحاداد، وثمرة من ثمارهم النكدة عدو السنة محمود أبو رية.

(ج) في القصة القرآنية:

قولهم في القصص القرآني بأنه من قبيل التمثيل فتح الباب على مصراعيه أمام محمد أحمد خلف الله ليقول: «إنا لا نتخرج من القول بأن القرآن أساطير»<sup>(١)</sup>.

ويستدل<sup>(٢)</sup> لإثبات هذه التبيحة التي توصل إليها بما جاء في النار عن احدى قصص القرآن «ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل والله أعلم»<sup>(٣)</sup> ويستدل<sup>(٤)</sup> أيضاً يقول الشيخ محمد عبده: «وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف في التمثيل فيقال فيه: إن القرآن كثيراً ما يصور المعاني بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكاية لما في ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الأذهان إلى ما وراءها من المعاني كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مُّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، فليس المراد أن الله تعالى يستفهم منها وهي تجاوبه، وإنما هو تمثيل لسعتها وكونها لا تضيق بال مجرمين مهما كثروا ونحو قوله عز وجل بعد ذكر الاستواء إلى خلق السماء: ﴿فَقَالَ

(١) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف الله (١٧٨ - ١٨٠).

(٢) المرجع السابق ص (١٦٤).

(٣) «تفسير النار» (٣/٥٢).

(٤) «الفن القصصي في القرآن الكريم» (١٦٩ - ١٦٨).

لَهَا وَلِلأَرْضِ أَتَيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ [فصلت: ١١]، والمعنى في التمثيل ظاهر»<sup>(١)</sup>.

(د) في الفقه:

ونحن وإن كنا لا نزعم أن كل انحراف في تقنين الأحكام الشرعية وميل بها عن الحق أنه أثر من آثار المدرسة العقلية إلا أننا نؤكد أن كثيراً من ذلك يستند إلى آرائهم ويستدل بأقوالهم ويستشهد بها وما هذا إلا معيار لتأثيرهم بها، نذكر من هذا مسألة تعدد الزوجات دع عنك تحرير المرأة وخروجها إلى العمل واحتلاطها بالرجال في ميادينه.. إلخ.

وقد سبق للشيخ عبده أن دعا إلى تطبيق ما ذهب إليه في مسألة تعدد الزوجات ونحن نذكر دعوته هنا حتى ندرك أن ما حدث بعد إنما هو من آثاره ومدرسته قال: «لا سبيل إلى تربية الأمة مع فشو تعدد الزوجات فيها فيجب على العلماء النظر في هذه المسألة خصوصاً الحفيدة منهم الذين ييدهم الأمر وعلى مذهبهم الحكم فهم لا ينكرون أن الدين أنزل لصلاحة الناس وخيرهم وأن من أصوله منع الضرر والضرار فإذا ترتب على شيء مفسدة في زمان لم تكن تلحقه فيما قبله فلا شك في وجوب تغيير الحكم وتطبيقه على الحال الحاضرة»<sup>(٢)</sup>.

إذن فهو يدعو إلى تغيير الحكم؟! ترى هل يدعو إلى تغييره دفعة واحدة أو بطريقة أخرى؟! يفسر هذا تلميذه السيد رشيد بقوله: «إن قاعدة اليسر في الأمور ورفع الحرج من القواعد الأساسية لبناء الإسلام ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، و﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرْجٍ﴾

(١) «تفسير المنار» (١/٢٨٠ - ٢٨١).

(٢) «تفسير المنار» (٤/٣٤٩ - ٣٥٠).

[المائدة: ٦]، ولا يصح أن يبني على هذه القاعدة تحريم أمر تلجيء إليه الضرورة أو تدعوه إليه المصلحة العامة أو الخاصة.. وهو مما يشق امثاله دفعه واحدة لا سيما على من اعتادوا المبالغة فيه كتعدد الزوجات كذلك لا يصح السكوت عنه وترك الناس، و شأنهم فيه على ما فيه من المفاسد فلم يبق إلا أن يقلل العدد ويقييد بقيد ثقيل وهو اشتراط انتفاء الخوف من عدم العدل بين الزوجات وهو شرط يعز تتحققه ومن فقهه واختبار حال الذين يتزوجون بأكثر من واحدة يتجلى له أن أكثرهم لم يلتزم الشرط ومن لم يلتزمه فزواجه غير إسلامي<sup>(١)</sup> !!

إذن فليس الأمر في المنع «دفعه واحدة»؛ لأنه يشق على من اعتادوا المبالغة فيه والحل أن يقييد بقيد ثقيل.. وهو شرط يعز تتحققه.. ومن لم يلتزمه فزواجه غير إسلامي.

وليس المانع من إلغاء التعدد دفعه واحدة «أمر شرعي وإنما المشقة على من اعتادوا المبالغة فيه، والعلاج التدرج في ذلك إلى أن يصل الأمر إلى اعتياد الناس على عدم التعدد ولا يشق على أحد إلغاؤه ومن ثم إلغاء التعدد.

لن أذكر هنا أثر تلك الدعوة على الأفراد في أقوالهم ودعواتهم؛ لأنها كلها تنتهي إلى الدعوة إلى تطبيقه وتقنيته، وإذا ما اكتفينا بذكر القوانين التي ستها بعض الدول المسلمة في ذلك تكون قد تجاوزنا آراءهم إلى الت نتيجة والت نتيجة هدفنا من الإشارة إلى الآخر.

وفي الواقع أن الدول التي تأثرت بهذه الدعوة انقسمت إلى قسمين ولا يزال بعضها في مرتبة «قيد ثقيل يعز تتحققه.. ومن لم يلتزمه فزواجه غير

(١) «تفسير المنار» (٤/٣٥٩).

«إسلامي»، واستطاع بعضهم أن يصل إلى مرتبة «دفعه واحدة».

أما القسم الأول فدول المغرب وسوريا والعراق قيده المغرب قضائياً بالعدل بين الزوجات، وقيده سوريا بالقدرة على الإنفاق، وقيد في العراق بمصلحة مشروعة وبالعدل بين الزوجات، وبالقدرة على الإنفاق عليهم.

«وورود أحد هذه القيود في القانون معناه أنه أصبح ملزماً ويتعين على القاضي أن يتحقق من توافقه بحيث إذا لم يكن هذا الشرط متواافقاً أو ذاك كان تعدد الزوجات غير جائز؛ لأن المفروض أن أحكام القانون جميعها ملزمة ويحمل الناس على احترامها وتطبيقها طوعاً أو كرهاً»<sup>(١)</sup>.

أما التي أخذت بالطريقة الثانية فتونس فمنعت تعدد الزوجات ومن تزوج بأكثر من واحدة يستوجب عقاباً بالسجن مدة عام وبخطية (أي غرامة) قدرها (٢٤٠٠ و ٣٠٠) فرنك أو بإحدى العقوبتين فقط «الفصل ١٨»<sup>(٢)</sup>.

□ ومصر انتهى الأمر سنة ١٩٦٧م ففي هذه السنة صدر قانون الأسرة في مصر والجديد الذي جاء فيه ما نصت عليه المادة (١٣٤).

أ - للزوجة التي تزوج عليها زوجها وإن لم تكن قد اشترطت عليه في العقد إلا يتزوج عليها أن تطلب التفريق بينها وبينه وفي مدى شهرين من تاريخ علمها بالزواج ما لم ترض به صراحة أو دلالة.

ب - ويتجدد حقها في طلب التفريق كلما تزوج بأخرى.

ج - وإذا كانت الزوجة الجديدة قد فهمت من الزوج أنه غير متزوج بسواءاً ثم ظهر أنه متزوج فلها أن تطلب التفريق.

كما نصت هذه المادة على أن «التفريق للزواج بأخرى طلاق بائن»<sup>(٣)</sup>.

(١) «تعدد الزوجات» ص(٢٦٢).

(٢) المرجع السابق ص(٢٦٢).

(٣) «تعدد الزوجات» لعبد الناصر توفيق العطار ص(٢٣٧).

وهذا ولا شك «قيد ثقيل يعز تحققه ..!؟».

□ والاتجاه العام إلى تقييد تعدد الزوجات سائر على منهج مدروس وقد بدأت بعض السلطات في بعض البلدان الإسلامية في إصدار قوانين تحرم من عدد زوجاته من بعض الحقوق أو المزايا التي يتمتع بها سائر المواطنين كحرمانه من الاشتراك في نقابة أو ناد معين أو قصر الإعارة للخارج على المتزوجين بوحدة أو السماح بالعلاج المجاني لزوجة واحدة أو قصر الإعفاء الضريبي على المتزوجين بوحدة<sup>(١)</sup> ونحو ذلك.

□ وهذا كله ولا شك في سبيل «تقييد تعدد الزوجات بقيد ثقيل .. يعز تحققه - ومن لم يلتزمه فزواجه غير «إسلامي» «والانتقال بعد هذا إلى الخطوة الأخرى «منع تعدد الزوجات» دفعة واحدة»، وبهذا لا يشق هذا الأمر على «من اعتاد على تعدد الزوجات»؟!.

و قبل أن نترك هذه النقطة نقول: إن المدعو عبدالعزيز فهمي باشا زعم أن القرار يحرم بتاتاً تعدد الزوجات؟!، وإلى تحريم تعدد الزوجات ذهب الشيخ الأزهري عبدالمتعال الصعيدي قائلاً: «لولي الأمر أن ينهى عنه إذا أساء المسلمون استعماله فيصير حراماً لنهيه عنه، وإن كان في ذاته مباحاً؟!! ولذا فلا عجب أن يقول الدكتور عفت الشرقاوي معلقاً على ما ذهب إليه عبدالعزيز فهمي ونعم به عبدالمتعال «ومع ما يبدو في هذا من الغرابة والتجوز في الاستنتاج، وخروجه عن المألف المأثور، فإنه كان التبيجة الطبيعية لتأثراً بالنظم الأوربية في تشريع الزواج .. وكان ذلك في جملته تطوراً وأضحاً لنزععة قدية حمل لواءها «محمد عبده» محاولاً التوفيق بين النص القرآني وهذا التصور الجديد»<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق ص(٣١٦ - ٣١٧).

(٢) «الفكر الديني في مواجهة العصر» لعفت الشرقاوي ص(٢٣٧).

هـ- في السياسة:

عمى الألوان مرض يصيب البصر لا يستطيع صاحبه التفريق أو التمييز بينها، وأحسب أن عمى الألوان هذا يصيب البصيرة فلا يستطيع صاحبه أن يفرق بين دين ودين، ومنهج وآخر.

□ نظرت طائفه من المسلمين أو من المتبسين للإسلام إلى ما حدث في أوروبا في العصور الوسطى، وإلى ما حدث من صراع هناك بين الدين والعلم، بين الدين والسياسة، بين الدين والدولة، نظروا إلى «رجال الدين» يستندون إلى كتب «محرفة»، وما فيها يخالف حقائق العلم ونظرياته، أضعف إلى هذا تشدد أولئك «رجال الدين» في مواجهة خصومهم.

□ ليس هناك مجال آخر دين محرف أقواله تصادم حقائق علمية، ورجاله متصلبون متشددون، فكان لا بد من قيام ثورة للفصل بين الدين والدولة، بين الدين والسياسة بين الدين والعلم، فعزلوا الدين وأقصوه.

حسب من أصيب بعمى البصيرة أن كل دين كهذا الدين المحرف، فأراد من يتسب إلى الإسلام منهم أن يطلب تلك الثورة على دينه الذي يتسب إليه - إما عن جهل منه وإما عن خبث فيه - فدعوا إلى فصل الدين عن الدولة، وجعل الدين مجرد عبادة تؤدي في المسجد فإذا خرجت إلى الشارع فقد تعدت حدودها وتجاوزت مراضيها ووجب عقابها وقمعها.

ـ فليبق الدين في المسجد؟!

ولتبق الوطنية والقومية.. الخ في الشارع، وليسح الناس وليرحوا حسب نظامهما، دينهم الوطن وعقيدتهم القومية.

□ وكان من السابقين السابقين إلى هذه الدعوة الشيخ محمد عبده حيث قال: «إن خير أوجه الوحدة الوطن لامتناع الخلاف والتزاع فيه»<sup>(١)</sup>. والشيخ

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» رشيد رضا ٢/١٩٤.

نفسه هو الذي صاغ برنامج «الحزب الوطني» المصري وجاء فيه «الحزب الوطني حزب سياسي لا ديني»<sup>(١)</sup> فإنه مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذاهب، وجميع النصارى واليهود وكل من يحرس أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم إليه<sup>(٢)</sup> ، ودافع عن القبط في مصر قائلاً: «ليس من اللائق بأصحاب الجرائد أن يعمدوا إلى إحدى الطوائف المتواطنة في أرض واحدة فيشملوها بشيء من الطعن أو ينسبوها إلى شائن من العمل تعللاً بأن رجلاً أو رجالاً منها قد استهدفوا لذلك..»<sup>(٣)</sup> .

□ وهو في هذا يقلد أستاذ الأفغاني الذي دعا إلى القومية والوطنية «الفرعونية» في مصر حيث يقول موجهاً حديثه للعوام: «إنكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد.. تناوبتكم أيدي الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والأكراد والمماليك ثم الفرنسيين والمماليك والعلويين وكلهم يشق جلوذكم ببعض نهمه وبهيبض عظامكم بأداة عسفه وأنتم كالصخرة الملقاة في الفلاة لا حس لكم ولا صوت.. انظروا أهرام مصر وهيأكل منفيس وأثار تبيه ومشاهد سيه وحصون دمياط شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم: وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرشيد فلاح<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

(١) لاحظ الفصل بين الدين والسياسة.

(٢) «الأعمال الكاملة» لمحمد عبد جمع محمد عمارة (١٠٧/١)، و«التاريخ السري» بلنت ص(٤٤٢).

(٣) «الأعمال الكاملة» لمحمد عبد جمع عمارة (١٠٨/١).

(٤). «تاريخ الأستاذ الإمام» لرشيد رضا (٤٦/١ - ٤٧) و«زعماء الإصلاح» لأحمد أمين ص(٧٨ - ٧٩).

## رياض الجنة في الرد

□ واتبعاً القول بالعمل فجداً واجتها في سبيل هدم الخلافة الإسلامية، واستقلال العرب عن الأتراك والتقرير بين الأديان.

وقد سرت هذه الأفكار والمبادئ في المجتمع الإسلامي بعد ذلك وانتشرت ولا نزال حتى ساعتنا هذه نعاني من آثارها.

وظهرت آثارها أول ما ظهرت في الثورة الكمالية الإلحادية في تركيا حيث عملت أول ما عملت على فصل الدين عن الدولة وقالوا فيما قالوا: «إتنا نحن العثمانيين لا يمكن أن نترقى إلا إذا نبذنا الدين وراء ظهورنا وعصرنا العلماء عصراً نحققهم به محققاً، وسرنا وراء فرنسة خطوة خطوة»<sup>(١)</sup>.

□ وأشار بعض العرب بهذه الحركة وفتن بها كثير منهم قال أحدهم: «حصل التقدم في تركيا بعد نبذها تعاليم رجال الدين وفتاويهم وفصلها الأمور الزمنية عن الدينية، واستغناها عن قراءة البخاري في السفن البحرية»<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ١٩٢٥ وضع علي عبدالرزاق كتابه الإسلام وأصول الحكم خاص فيه في مباحثين:

١) هل منصب الخلافة ديني أم سياسي أم مزيج من كليهما معاً؟

٢) هل منصب الخلافة ضروري للمسلمين؟<sup>(٣)</sup>.

ـ وهو في سبيل فصل الدين عن الدولة تضمن:

١ - جعل الشريعة الإسلامية روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا.

(١) مجلة المنار مجلد ١٦ ج ٢ ص عدد صفر ١٣٣١ هـ ص (١٣٢).

(٢) «هذا هو الإسلام» لفاروق الدملوجي ص (٢١٣).

(٣) «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبدالرزاق ص (٥).

- ٢ - أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي ﷺ كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا بлаг الدعوة إلى العالمين.
- ٣ - وأن نظام الحكم في عهد النبي ﷺ كان موضوع غموض أو إبهام أو اضطراب أو نقص وموجباً للحيرة.
- ٤ - وأن مهمة النبي ﷺ كانت بلاغاً للشريعة مجرداً عن الحكم والتنفيذ.
- ٥ - وإنكار إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام وعلى أنه لا بد للأمة من يقوم بأمرها في الدين والدنيا.
- ٦ - وإنكار أن القضاء وظيفة شرعية.
- ٧ - وأن حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده رضي الله عنه كانت لا دينية<sup>(١)</sup>.

و جاء فيه «الدنيا من أولها لأنها ولآخرها وجميع ما فيها من أغراض وغایات أهون عند الله تعالى من أن يبعث لها رسولاً وأهون عند رسول الله تعالى من أن يشغلوا بها وينصبوا لتدبيرها»<sup>(٢)</sup>.

وزعم «أن كل ما جاء به الإسلام من عقائد ومعاملات وآداب وعقوبات فإنما هو شرع ديني خالص لله تعالى ولمصلحة البشر الدينية لا غير، وسيان بعد ذلك أن تتضح لنا تلك المصالح الدينية أم تخفي علينا، وسيان أن يكون منها للبشر مصلحة مدنية أم لا فذلك مما لا ينظر الشرع السماوي إليه ولا ينظر إليه الرسول»<sup>(٣)</sup>.

□ وقال: «التمس بين دفتري المصحف الكريم أثراً ظاهراً خفياً لما يريدون

(١) «حكم هيئة كبار العلماء في كتاب الإسلام وأصول الحكم» ص (٥ - ٦).

(٢) «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبدالرازق ص (١٥٤).

(٣) المرجع السابق ص (١٧١ - ١٧٢).

أن يعتقدوا من صفة سياسية للدين الإسلامي ثم التمس ذلك الأثر مبلغ جهلك بين أحاديث النبي ﷺ ، تلك منابع الدين الصافية في متناول يديك ، وعلى كتب منك فالتمس منها دليلاً أو شبه دليل فإنك لن تجد عليها برهاناً، إلا ظناً وأن الظن لا يعني عن الحق شيئاً<sup>(١)</sup> .

□ ولن ندع مثل هذا التحدي لهذا القزم المتعلق من غير رد، ولن نأتيه بشبه دليل بل نأتيه بالصاعقة قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [ النساء: ١٠٥] ، وهل الحكم بين الناس إلا عين السياسة وهدفها ولا نريد أن نعدد الأدلة بعد هذا فهي جد طويلة ولكن أتينا بما طلبه «التمس دليلاً أو شبه دليل.. إلخ؟!».

□ وقال بنحو هذا محمد أحمد خلف الله في كتابه «القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة»، حيث يقول: «إن رياضة الخلفاء الراشدين للدولة العربية (!!) لم تكن دينية بحال من الأحوال وإنما كانت مدنية صرفة»<sup>(٢)</sup> .

□ وقال: «والقرآن الكريم قد أعرض إعراضًا تاماً عن الحديث في أي نظام أساسي للدولة العربية الإسلامية وترك أمر ذلك للمواطنين (!!) يقررون فيه ما يشاءون (!!)»<sup>(٣)</sup> .

ودعوا إلى حركة القومية العربية وقالوا: «إن هذه الحركة لم تتخذ من الإسلام خاصة ومن الدين عامة أساساً لها، وإنما مضت على أساس عربي خالص»<sup>(٤)</sup> «وإن الفكرة العربية أكثر انتشاراً وأوسع نفوذاً من الفكرة الإسلامية»<sup>(٤)</sup> .

(١) المرجع السابق ص (١٥١).

(٢) «القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة» لمحمد أحمد خلف الله ص (٨٢).

(٣) «القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة» لمحمد أحمد خلف الله ص (٨٢).

(٤) «مجلة العربي» العدد الأول مقال (القومية العربية كما يجب أن تفهمها) لمحمد أحمد خلف الله ص (٢٢ و ٢٤).

ودعوا إلى توحيد الأديان وصهرها بعضها ببعض وهو سبيل من سبل القومية قال أبو رية: «إن الناس سيصلون إن شاء الله بعلومهم وعقولهم إلى مرتفى تزول فيه الجنسيات الدينية وتخفي العصبيات المذهبية ويجتمعون على دين واحد يشمل الناس جميعاً وهذا الدين يقوم على ثلاث قواعد:

١ - إيمان بالله.

٢ - عمل صالح في الحياة.

٣ - إيمان باليوم الآخر.

□ أما ما وراء ذلك مما هو خارج عن علمهم فأمره مفوض إلى ربهم وبذلك يعيشون الحياة تحت ظل السعادة ظليل متحابين متعاونين على عمل ما فيه الخير لكل قبيل»<sup>(١)</sup>.

□ وإذا ما استنكر أحدهم الترحم على نصراني قال: «إذا كان حكمكم على الكافر صحيحاً فإن النصراني ليس بكافر»<sup>(٢)</sup>.

ولنقف هنا ولنجمع الشتات

القومية الوطنية

التقريب بين الأديان

فصل الدين عن الدولة

أحسبها وجوهاً متعددة لقضية واحدة، وهدفها واحد: إقصاء الدين الحق وقيام قومية وطنية.. لا دينية «علمانية».. تنبذ الدين وتقصيه عن ميدان السياسة وحيثند يسهل انقيادها لمن خطط لذلك ووقف خلفه من وراء الستار هل ترون الأصابع الخفية؟ إنها الصهيونية العالمية تسعى للقضاء على

(١) «دين الله واحد على السنة جميع الرسل» لمحمود أبو رية ص(١٦٨).

(٢) المرجع السابق ص(٢٨).

القومية الدينية.

وصهر الأديان تحت عنوان التقريب بينها وهو تذويب لها وتدمير.  
وفصل الدين عن الدولة.  
وظفرت في يومنا هذا على حلم كبير من أحلامها فقد صرخ زعيم  
عربي بـ  
فصل الدين عن الدولة بمنع الخطباء في المساجد من التعرض لما يجري  
في السياسة... إلخ.  
وسعى ويسعى في بناء.

«مسجد إسلام» و«كنيسة نصرانية» و«معبد يهودي».  
في سيناء في سبيل التقريب بين الأديان أليس «خير أوجه الوحدة  
الوطن» كما يقول الشيخ محمد عبده<sup>(١)</sup> آخر أخبار هذا المشروع أن هذا الزعيم  
طلب من مثلة أفلام الخلاعة والجنس أن تبرع لبناء هذه المعابد ولو  
بدولارين.

و- في الاجتماع والأسرة:  
والحديث هنا متشعب الأطراف متعدد الجوانب وأهم الأطراف وأخطر  
الجوانب قضية المرأة أليست المرأة هي الأم وهي الأخت وهي البنت وهي  
الزوجة وهي المربية وهي المعلمة؟! وهي في كل قاعدة تقف عليها أو منصب  
يجد الرجل والطفل والشاب ما يجذبه إليها ويشده ومن هنا يكون تأثيرها.  
إن صلحت أصلحت وإن فسدت أفسدت أليست المرأة الصالحة خير  
مداع الدنيا؟ إذن فاظفر بذات الدين تربت يداك.  
وأحسب أن المرأة جوهرة يجب أن تصان عن أعين اللصوص وغبار

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لرشيد رضا (٢/١٩٤).

الطريق ما الذي ترجوه من امرأة خلعت جلبابها وفتحت ستراها وتزينت وتبرجت وفنت وفنتت وانهالت ب الرجال تأججت غرائزهم وانفلت زمامهم، ما إن يفتح أحدهم مجلة حتى يرى الصورة المثيرة، ويذهب إلى دار السينما فيرى ما هو أشد ويفتح التلفاز والمذياع فيسمع ويرى قصص الحب والغرام وماذا بعد هذا؟!

ينظر إلى زميلته في العمل أو على كرسي المدرسة وقد اكتسست من المدنية سرباً وتزينت بزيتها ولبسها وأصابها ما أصاب الرجل نفسه وخلا لهم المكان والزمان بعد هذا؟!

ما الذي ترجوه من امرأة تسلم أولادها لمربية وتخرج إلى واجهات المتاجر والمعارض وتتخذ وسيلة لإغراء المشترين حيث تحدثهم بأرق حديث وألينه، أو تتجه إلى آلات المصانع ودخان المعامل وتهين نفسها بين العمال والموظفين هذا يغمزها وذاك يلمزها وذاك ينظر إليها بعين النهم؟! أو تنساق وراء مغريات الحضارة والحياة الغربية وتتبع شهواتها ورغباتها والمتعة المحرمة؟ كل هذا ولا شك سبب خطير لوقعها في الرذيلة، إن لم تختصر الطريق وتجعل الرذيلة مهمتها..

وحيثئذ فلا أسرة؟ وتشتت الأسر ضياع للمجتمع، وضياع المجتمع ضياع للأمة؟ إذن فضياع المرأة ميزان لضياع الأمة يرتفع ضياعها بارتفاع ضياع المرأة وينخفض بانخفاضه ويسلم بسلامتها، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»<sup>(١)</sup>، وفي رواية «أضر على أمتي».

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح باب ما يتقى من شؤم المرأة، ورواه مسلم في كتاب الرقاق ورواه الترمذ في كتاب الأدب باب: ٣١ ورواه ابن ماجه في «الفتن»: باب فتنة النساء حديث ٦٢٤ ورواه أحمد (٥/٢٠٠ و ٢١٠).

\* وقبل هذا قال تعالى: «زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْنَطِرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفَضْلَةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرَثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ» [آل عمران: ١٤] عدد سبحانه في هذه الآية متاع الحياة الدنيا وجعل في مقدمته النساء قال ابن حجر - رحمه الله تعالى -: «وَبِدَا بِهِنْ قَبْلَ بَقِيَةِ الْأَنْوَاعِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُنَّ الْأَصْلُ فِي ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

□ أدرك ذلك المقياس المعز لدين الله لما قيل له: إن نساء قصر الإشيد قد أغرقن في الترف ورفعن نقاب الحياة والسرف واستهنهن بالفضيلة وتركت رسالتهن قال في زهو وانتصار: «الليوم فتحت يا مصر»<sup>(٢)</sup>.

□ وأدرك هذا الشاعر العربي حين قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها شعباً طيب الأعراق

□ وأدرك هذا أيضاً الاستعمار ومن خلفه الصهيونية العالمية وجندت جنودها لهذا الهدف، ولقد خدمها ولا زال يخدمها في تحقيقه كثير وكثير من الناس منهم من يعلم أنه جند من جنود الاستعمار ومنهم من يعلم أنهم جند من جنود الصهيونية نفسها ومنهم إمعة يخدمهم من حيث لا يدري.

ظهر أول كتاب في مصر يدعوه إلى «تحريرها» من النظام الإسلامي سنة ١٨٩٤م عنوانه: «المرأة في الشرق» مؤلفه مرقص فهمي المحامي وبعده بسنوات خمس أصدر قاسم أمين كتابه الأول «تحرير المرأة» دعا فيه إلى:

.١) القضاء على الحجاب الإسلامي المعروف.

.٢) إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها.

.٣) تقيد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضي.

(١) «فتح الباري» شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١٣٨/٩).

(٢) «الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار» جمع محمد عطية خميس ص(١٤).

٤) منع الزواج بأكثر من واحدة<sup>(١)</sup>.

ونحن ندرك صلة الشيخ محمد عبده بهذا الكتاب فهي لا تخفي وسبق الحديث عنها وأقل ما قيل في هذه الصلة أن هذا الكتاب «وضعه - قاسم أمين - بيايعاز من الأميرة نازلي وبتشجيع من الشيخ محمد عبده»<sup>(٢)</sup>.

وقد حقق الأستاذ محمد عمارة في «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» أن هذا الكتاب إنما جاء ثمرة لعمل مشترك بين كل من الشيخ محمد عبده وقاسم أمين.. وأن في هذا الكتاب عدة فصول قد كتبها الأستاذ الإمام وحده، وعدة فصول أخرى كتبها قاسم أمين ثم صاغ الأستاذ الإمام الكتاب صياغته النهائية بحيث جاء أسلوبه على نمط واحد هو أقرب إلى أسلوب محمد عبده منه إلى أسلوب قاسم أمين»<sup>(٣)</sup>.

□ وقد أحدث صدور هذا الكتاب ضجة في المجتمع المصري دونها الضجة التي أحدثتها علي عبدالرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم» أو طه حسين في «في الشعر الجاهلي» أو محمد أحمد خلف الله في «الفن القصصي في القرآن الكريم». ذلك أن هذه الكتب إنما يعني بها رجال السياسة والأدب وعلوم القرآن وإن شئت فقل الطبقة المثقفة.

أما «تحرير المرأة» فيمس كل الطبقات لارتباطه بحياة كل أسرة وتناوله المباشر لأحد أركانها ولهذا كان له من الأثر والصدى في المجتمع وردود الفعل ما لم يكن لتلك.

□ قالوا عن الكتاب فيما قالوا: «إننا نظن أن يكون ظهور هذا الكتاب

(١) المرجع السابق ص(٧٣ - ٧٤).

(٢) المرجع السابق ص(٧٤).

(٣) «الأعمال الكاملة» للإمام محمد عبده: جمع وتحقيق محمد عمارة (٢٥٢/١).

مصدر تغير عظيم في أفكار الأمة ينشأ عنه فيما بعد تغير أعظم في أخلاقها...<sup>(١)</sup>.

لذلك فلا عجب أن يقوم ضد هذا الاتجاه الفكري طائفة من الناس كبيرة إما لغرض ديني محض، وإما تقريرًا للمجتمع المصري الرافض لهذا الاتجاه وهو الجانب الأكبر.

وقف فيمن وقف ضد هذا الاتجاه الحزب الوطني<sup>(٢)</sup> الذي شجب هذا الاتجاه في أول اجتماع عقده بعد صدور الكتاب في ٥ شعبان ١٣١٧ هـ سبتمبر ١٨٩٩ م وفتح صدر صحيفته اللواء لكل طاعن في قاسم أمين وأفكاره<sup>(٣)</sup>.

وحيثما توفي قاسم أمين سنة ١٩٠٨ م وأقام له شيعته حفلة تأبين أشادوا فيها بدعوته إلى السفور قابل رجال الحزب الوطني هذه الحركة بإقامة احتفال كبير للدعوة إلى الحجاب<sup>(٤)</sup>.

وفي مقابلة هذا كان «حزب الأمة» من المناصرين لقاسم أمين وأفكاره على صفحات «الجريدة» وكان لطفي السيد باشا في مقدمة المروجين لها بمقالاته العديدة<sup>(٥)</sup>.

وكان لا بد من تدخل الاستعمار الذي استغل فترة الحرب العالمية الأولى فاعتقل رجال الحزب الوطني وأواعز إلى أنصار الدعوة النسائية بإصدار مجلتهم «السفور»<sup>(٦)</sup> وحتى هذا الوقت كانت النساء الداعيات إلى السفور

(١) المرجع السابق (٢٤٥/١).

(٢) هذا حزب وطني جديد ليس هو الذي شارك محمد عبده في صياغة دستوره وسبق الحديث عنه.

(٣) «الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار» جمع محمد عطيه خميس ص (٧٥ - ٧٦).

(٤) «الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار» جمع محمد عطيه خميس ص (٧٨).

(٥) المرجع السابق ص (٨٠ - ٨١).

يخرجن في مظاهرات وهن متبرجات ومنهن هدى شعراوي وصفية زغلول حرم سعد زغلول أحد تلاميذ الأستاذ الإمام.

وفي عام ١٩٢٢م تلقت هدى شعراوي<sup>(١)</sup> دعوة من الاتحاد النسائي الدولي بروما وعند عودتها ورسو الباخرة في الميناء المصري ألقت حجابها في ماء البحر.. ثم كونت الاتحاد النسائي المصري عام ١٩٢٣م ووضعت حجر الأساس له في إبريل ١٩٢٤م.

ودعا الاتحاد النسائي إلى تطبيق المبادئ التي نادى بها مرقص فهمي وقاسم أمين وفي مقدمتها تعديل قوانين الطلاق ومنع تعدد الزوجات علاوة على المطالبة للمرأة بالحقوق الاجتماعية والسياسية المزعومة<sup>(٢)</sup> وبعد عشرين عاماً من إنشائه أي سنة ١٩٤٤م استطاع الاتحاد النسائي أن يهدى لعقد المؤتمر النسائي العربي وجاءت قراراته بالدعوة إلى تطبيق ذلك؟!

﴿هل تريدون أن أذكر شيئاً من صلة الصهيونية العالمية بذلك؟ إذن فاعلموا أن حرم الرئيس الأمريكي روزفلت أبرقت إلى المؤتمر بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٤٤م أشادت فيها بالاتحادات النسائية في البلاد العربية وقالت فيها: إنها «واثقة» من أن النساء العربيات سيقمن بدورهن إلى جانب شقيقاتهن في بلدان العالم أملاً في نشر التفاهم والسلم العالمي في المستقبل «ولسنا في حاجة إلى أن نذكر الجهد الكبير الذي بذلته مسز روزفلت في تكوين الوطن القومي لليهود في فلسطين..﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) هدى شعراوي ابنة (محمد باشا سلطان) الذي رافق جيش الاحتلال في رحمه على القاهرة ودعا الأمة إلى استقباله وعدم مقاومته، وأهاب بها إلى تقديم كافة المساعدات المطلوبة له، وسجل له التاريخ صفحة خالدة حينما تقدم مع فريق من الخبراء بهدية من الأسلحة الفاخرة إلى قادة جيش الاحتلال شكرًا لهم على إنقاذ البلاد! وخدمة لأهداف الاستعمار فجاءت البنت تواصل أعمال والدها.

(٢) «الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار» لمحمد عطيه خميس ص(٨٢ - ٨٣).

(٣) «الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار» مجمع محمد عطيه خميس ص(٨٥).

## رياض الجنة في الود

■ وعقب هذا المؤتمر تكون «الحزب النسائي» سنة ١٩٤٥ وفي عام ١٩٤٩ تكون حزب بنت النيل وزعيمته درية شفيق وأصدر العديد من المجلات بالعربية والفرنسية للكبار والصغار.

وأول سؤال يتadar إلى الذهن هو السؤال عن إيرادات هذا الحزب المالية وقدرتها على إصدار هذه المجلات؟ والجواب كما نشرت الصحف بعد ذلك أنه من سفارتي ببريطانيا وأمريكا!! .

■ ولقد لقي هذا الحزب الترحيب من الاستعمار بكافة دوله، وزيرة الشئون الاجتماعية في إنجلترا تقوم بزيارته ورئيسة الاتحاد الدولي تبرق إلى رئيسة الحزب تدعوها للزيارة في أثينا. وجمعية سان جيمس النسائية بإنجلترا تهنئ الهيئات النسائية المصرية على كفاحها وتعلن تأييدها لها، ورئيسة لجنة الحقوق الاقتصادية بالاتحاد الدولي تقوم بزيارة إلى مصر لغرض الاطمئنان على أحوال الجمعيات النسائية في مصر<sup>(١)</sup> .

■ اهتمام عجيب ما عهدناه منهم فيما فيه صلاحنا وصلاح ديننا ولكنهم يدركون أنهم بذلك إنما يسعون لخدمة مصالحهم الصهيونية؟! نعم الصهيونية ذاتها!! أتریدون شاهدًا على ذلك! لقد دعا المؤتمر النسائي الدولي إلى اجتماع في ستوكهلم عاصمة السويد ومن قراراته قرار يقضي ببطلة وزير الداخلية في السويد بإزالة أشد العقوبات على مسيو أنيرابر؟ أتدرون لماذا؟!! لمواصلته أعمال الدعاية ضد الصهيونية في السويد!! وقد كتب مسيو أنيرابر على إثر ذلك إلى الجمعية العربية والحكومة المصرية يستنكر موقف مندوبيات هيئات النسائية المصرية الممثلة في المؤتمر لموافقتهن على هذا القرار<sup>(٢)</sup> !! .

(١) المرجع السابق ص(٩٣ - ٨٦).

(٢) «الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار» جمع محمد عطية خميس ص(٩٤).

وبهذا وغيرها كثير تبدو لنا صلة الحركات النسائية بالاستعمار ومن خلفه الصهيونية العالمية»<sup>(١)</sup>.

□ هذه قصة الصلة بين الاستعمار والاتحادات النسائية، والصلة بين الحركات النسائية ودعوة محمد عبده وتلميذه قاسم أمين وهي صلة قوية واضحة.

\* موقف علماء المسلمين منهم:

□ يقول الدكتور فهد الرومي:

وأسمح لنفسي هنا أن أستبق الأحداث وأجيب هنا على سؤال هام قد يخطر على ذهن من يقرأ ما سأكتب هنا.

سيقول قائل: تحيزك هنا بين وإجحافك بحقهم واضح وظلمك لهم ظاهر! كان الواجب إذا أردت تقسيم أولئك الرجال أن تذكر أقوال أنصارهم وخصومهم، أن تذكر أقوال المدح والثناء عليهم والإعجاب بهم والإطراء لهم، وتذكر في مقابل ذلك عبارات التجريح والذم لهم والتحذير منهم، أما أن تعمد إلى أقوال الخصوم وتدع أقوال الأنصار فليس هذا من الإنصاف في شيء؟

أقول لهذا رويدك.. لقد قلت بعض الحق لو كان قصدي من سياق الأقوال هو تقسيم رجال المدرسة العقلية بها، والحق أن هذا ليس كل قصدي. ذلكم أن تقسيمهم لا يكون بعرض أقوال الناس فيهم وإنما يكون بعرض أقوالهم أنفسهم على الكتاب والسنة وبمقدار موافقتهم لهما تكون سلامتهم والعكس بالعكس وهو ما فعلناه في كثير من القضايا التي بحثناها.

(١) «منهج المدرسة العقلية الحديثة»، ص(٧٥٩: ٧٧١).

## رياض الجنة في الرد

□ أما مرادنا هنا من عرض أقوال (من سميتهم خصوماً)<sup>(١)</sup> فهو أن نبين للقراء أنه كان بين علماء المسلمين من لم ينخدع بهم ويعميه الإعجاب بهم عن كشف مثالبهم وتجاوزهم وأخطائهم، وأنه كان بين العلماء من أدرك ذلك في حينه وأخذ على عاتقه كشفه وبيانه للناس، ولكنهم كانوا قلة في العدد والعدة ولم تكن هناك دولة تساندهم ولم يكن هناك استعمار المستعمرون للناس عامة بصورة المصلحين الساعين إلى ما فيه خيرهم وخير بلادهم ولا تزال هذه الصورة لهم إلى ساعتنا هذه هي الطاغية على الحقيقة حتى عند العلماء منهم، وحتى أن الأستاذ أنور الجندي يقول عن أحد الناقدين لهم: «وهكذا يمضي الدكتور محمد حسين في إثارة الشبهات حول حقيقة جمال الدين وموافقه مخالفًا كل ما ذهب الناس إليه من الثقة به واعتباره رائد النهضة وموظ الشرق»<sup>(٢)</sup>.

□ إذن فلا يحتاج هذا إلى بيان أقوال المؤيدين لهم والناصرين لأفكارهم ومبادئهم، وإنما يحتاج الأمر إلى بيان: من رفض أقوالهم، وكشف للناس حقيقتهم وسيرتهم وهذا ما سنفعل إن شاء الله فنبدأ:

أ- المعاصرین لهم:

\* الشيخ محمد الجنبيهي مؤلف كتاب «بلايابوزا» والشيخ يوسف النبهاني

يتصديان محمد عبده وشیخه الأفغاني:

ونبدأ ذلك بأقوال الشيخ محمد الجنبيهي صاحب كتاب «بلايا بوزا»

(١) الحقيقة أنهم ليسوا كلهم خصوماً بل فيهم من هو معجب بهم في بعض الجوانب لكن إعجابه هذا لم يمنعه من قول الحقيقة في جوانب أخرى وحتى الخصوم الذين نقل عنهم هنا لم يخاصموهم فيما نعلم لأمر دنيوي أو حقد أو حسد وإنما لأمر ديني وغيره منهم على الإسلام، ولا يعد هذا تجريحًا أو طعنًا في نقلهم.

(٢) «مفكرون وأدباء» لأنور الجندي ص(٢٦٢).

الذي وضعه ردًا على طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي» ويرمز الشيخ الجنبي بـ «بوزا» لطه حسين وهو اصطلاح فرنساوي وهي قطعة من الخشب وزنها خفيف.. على هيئة قبّل الرجال ولقد ركبت تلك القطعة على مقعر من رصاص ثقيل.. فتراها كلما أقيمت فوق الأرض كانت قائمة وقد ضربها عقلاً الأقدمين مثلاً لكل ضال حائر مغدور ذي لسانه وسفه فقد مزايا الأدباء وشذ عن مناهج الفضلاء متلبساً بعناد وإصرار شيطاني من حيث لا يشعر بما يقول ولا بما يعمل فلا توجه به أمياله إلا إلى مخالفة الفضلاء ومعارضة الأدباء بما لا يعلم عاقبته ولا يستطيع أن يقيم على صحته دليلاً<sup>(١)</sup>.

وحينما يتحدث الشيخ عن الأفغاني ومحمد عبده، فإنه لا يتحدث حديث التخرص والظنون وإنما حديث من خالطهم وعاشرهم، فهو حديث خبير بهم حيث يقول: «إني نشأت بعد بلوغ الرشد وطلب العلم في الأزهر الشريف مصاحباً تلميذ جمال الدين الأفغاني ومحاذياً له قدماً بقدم بعديماً أتى جمال الدين الديار المصرية، وكثيراً ما جالست ذلك الرجل وتذكرةت معه مذكرات ذكرتها في بعض الكتاب وما كان يدعوني إلى مجالسته إلا صاحبى الذي كان يظن أن يجذبني إلى الميل إلى ما مال إليه من فتن ذلك الفاتن وكانت أطمع أن أكون سبيلاً في خلاصه من تلك الفتنة (ولكن الله غالب على أمره)<sup>(٢)</sup>.

إذن فحديثه حديث المخالط المعاشر فلنذكر حديثاً له مع جمال الدين الأفغاني، كان محور الحديث بينهما ما يروى من الحديث القدسي «كنت كنزًا مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق في عرفاوني»<sup>(٣)</sup> قال الجنبي: «ولقد

(١) «بلايا بوزا» لمحمد الجنبي ص(٢٨ - ٢٩).

(٢) «بلايا بوزا» لمحمد الجنبي ص(٣٨).

(٣) قال السخاوي في «المقاديد الحسنة»: «قال ابن تيمية: أنه ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعد الزركشي وشيخنا» «المقاديد الحسنة» ص(٣٢٧).

كان لي في هذا الحديث القدسي مع جمال الدين الأفغاني واقعة كانت سبباً لعدم اتصالي به مع شديد رغبته ورغبة تلميذه الذي أشرنا إليه من قبل، وتلك الواقعة هي أنني سأله عن هذا الحديث لعلمي أنه ينكر الأحاديث القدسية؛ لأنه طبعي لا يعترف بوجود إله، وكنا في مجمع من الناس فقال: ليس هذا وقت الكلام على هذا الحديث فاملئني لوقت آخر «إلى أن قال: أنه وجده في مجالس اللاهين في قهوة من القهاوي فقال له: «هذا وقت الكلام على ذلك الحديث الشريف» مما كان جوابه إلا أن قال: ذهب فيلسوف إلى المتنزه في يوم العيد فوجد الناس على حال مضحك: منهم من هو مخمور ومنهم من هو لاعب ومنهم من هو مرافق لامرأة من المؤسسات ومنهم من هو راقص ومنهم من هو متبلس بما لا يرتضيه أبناء البشر فنظر ذلك الفيلسوف إلى السماء قائلاً: «الآن وقعت الحسرة في قلبك أهؤلاء كلهم عرفوك»، فعند ذلك تغير حالي وعلمت أن الرجل ضال فقلت له: أن هذا الفيلسوف لأحمق ومجنون. قال: ولم ذلك قلت: لأن من جهل ربه في الدنيا يعرفه فيما بعد الموت ومن جهله في الرخاء يعرفه عند الشدة فما ذلك الفيلسوف إلا ضائع العقل والدين ثم تركت الرجل محزوناً؛ لأن فتنته لم تؤثر في قلبي أثراً كان يريده وكان ذلك الموقف آخر عهدي به»<sup>(١)</sup>.

ويتحدث الجنبي عن المقادير التي جمعت بين دول الاستعمار وأنهم «الهموا أن المتسكين بآداب الدين القويم لن يغلبوا ما داموا متمسكون به سواء كثروا أو قلوا لأن المتمسك بدینه مرتکن على قوى متين لا يغلب ولا يقاوم فلذلك أجمعوا رأيهم على أن يعتمدوا على العلماء السياسيين منهم في حل روابط ذلك التماست فقرر أولئك السياسيون فيما بينهم أن روابط الدين القوية لا تنحل إلا بثلاثة أمور: استبدال العلم النافع الذي كان يسأل رسول

(١) «بلايا بوزا» لمحمد الجنبي ص(١١٨ - ١١٩).

الله ربه أن يزيده منه بالعلم الذي كان يستعيد بربه منه، والأمر الثاني تولية المناصب لغير أهلها.. والأمر الثالث إيجاد أسباب قوية توقد نيران العداوة والبغضاء والتشاجر بين المسلمين حتى لا يتمسكون بدينهم ولا يتلقوا على عمل مرضٍ إلى أن قال: «وبمقدار هذه الفكرة السياسية بعث جمال الدين الأفغاني إلى الديار المصرية لتنفيذ مفهوم تلك الفكرة»<sup>(١)</sup>.

ويتحدث عن علماء الأزهر آنذاك بأنهم أيقنوا أنه أي الأفغاني - من رجال الفتنة التي يتيحها الله لأشرار العلماء»<sup>(٢)</sup>.

□ ويتحدث عن محمد عبده ويسميـه (ابن عبده الغرابـلي)؛ لأنـه كما يقول الدكتور محمد محمد حسين من القراء الذين يتهـون صناعـات صـغـيرـة منها صـنـاعـة الغـرـاـيل<sup>(٣)</sup> ، قال الجنـيـهي عن محمد عـبـدـه: «أنـ الأـسـبـابـ التي جـعـلـت ابن عـبـدـه الغـرـاـيلـ مـحـبـوـباـ لـفـحـولـ السـيـاسـيـيـنـ وـلـوـلـةـ الـأـمـورـ منـ الـدـوـلـ الـمـتـحـالـفـةـ عـلـىـ مـحـوـ إـلـسـلـامـ اـسـمـاـ وـرـسـمـاـ وـصـيـرـتـهـ مـحـمـودـاـ عـنـدـ مـحـرـرـيـ الـجـرـائـدـ الـأـوـرـبـاوـيـةـ تـتـمـدـحـ بـاسـمـهـ وـتـعـتـنـيـ بـعـمـلـ تـذـكـارـلـهـ هـيـ بـعـينـهـ الـأـسـبـابـ الـتـيـ يـتـنـاـوـلـ بـهـ أـسـتـاذـ الجـامـعـةـ الـمـصـرـيـةـ - يـقـصـدـ طـهـ حـسـنـ - مـرـتـبـاـ كـبـيرـاـ بـسـبـبـ شـهـادـةـ الدـكـتـورـاهـ الـتـيـ تـنـاـوـلـهـ مـنـ أـورـبـاـ لـسـبـبـ عـدـاـوـتـهـ لـلـدـيـنـ وـرـجـالـهـ حـتـىـ يـكـونـ إـذـاـ أـعـلـوـ شـائـنـهـ فـتـنـةـ لـأـبـنـاءـ الـمـسـلـمـيـنـ»<sup>(٤)</sup>.

□ ويستدل الجنـيـهيـ عـلـىـ سـوـءـ اـتـجـاهـ مـحـمـدـ عـبـدـهـ الـفـكـرـيـ بـعـلـاقـتـهـ بـالـلـورـدـ كـرـوـمـرـ فـيـقـوـلـ: «فـهـلاـ فـكـرـتـ.. فـيـ الـأـسـبـابـ الـتـيـ صـعـدـتـ بـمـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـغـرـاـيلـ.. وـقـدـ اـتـخـذـهـ جـنـابـ الـلـورـدـ كـرـوـمـرـ أـسـتـاذـاـ وـمـرـشـدـاـ فـيـ الـدـيـنـ وـفـيـ

(١) «بـلـاـيـاـ بـوـزـاـ» لـمـحـمـدـ جـنـيـهيـ صـ(٤٥ـ ٤٦ـ).

(٢) المـرـجـعـ السـابـقـ صـ(٤٧ـ).

(٣) «إـلـسـلـامـ وـالـخـضـارـةـ الـغـرـيـبـيـةـ» لـمـحـمـدـ مـحـمـدـ حـسـنـ صـ(٨٧ـ).

(٤) «بـلـاـيـاـ بـوـزـاـ» لـمـحـمـدـ جـنـيـهيـ صـ(٣٥ـ ٣٦ـ).

## رياض الجنة في الرد

السياسة ثم نعاه بعد موته.. فهل كان ابن عبد الغرابلي في عصره من أكابر المرشدين الدينيين وكان ذلك اللورد متعطشاً لأن يسلك سبيلاً المؤمنين.. فهلا تفكر في الأسباب التي جعلته محبوباً لرؤساء الدول المتحالفه على محور الإسلام اسمًا ورسمًا وما ذلك إلا لأنه أجهد نفسه في حلّ روابط المدنية الإسلامية السماوية..<sup>(١)</sup>

□ وتحدث عن محمد عبده بعد عودته من المنفى في البلاد الشامية «فلما انقضت مدة النفي ورجع إلى الديار المصرية كانت ثقة اللورد كروم به أكبر ثقة فسكن في منشية الصدر بعيداً عن عيون الرقباء، وكانت الواسطة بينه وبين اللورد رجلاً إنجليزياً يسمى (بلنت) كان يتزينا هو وزوجته بزي عربي البادية.. فلما قويت رابطة التواصل بين ذلك الإنجليزي وبين ابن عبد الغرابلي أعطاها قطعة أرض.. ليكون له جاراً وفي ذلك الحين اتخذه اللورد أستاداً ومرشدًا يسترشد برأيه في كل عمل يطلبه في تنفيذ الغرض الذي أجمع عليه السياسيون فكان الإصلاح الأزهري الذي ذهب بالدين وعلمه النافع أدرج الرياح من إشارات ذلك المفتون، وكذلك كان إصلاح المحاكم الشرعية، وما أنشئت الجامعة المصرية إلا بإرشاده وكان من تعليماته لذلك اللورد أن لا يتولى المناصب العالية متمسكاً بدينه وكان بين ذلك التلميذ وبين المبشرين رابطة وداد قوية فكانوا يزورونه في غالب الأحيان للإسترشاد به في مهمات التضليل التي أجمعوا عليها.. وكان من مساعدة اللورد كروم لشيخه ومرشدته أن ولاه مناصب القضاء الأهلي حتى وصل به إلى وظيفة مستشار.. ثم عينه مفتياً بالديار المصرية ليكون له الحق في التدخل بشئون الأزهر الذي أجمع السياسيون على خرابه فكان كل من أراد أن يلتحق

(١) «بلايا بورا» لمحمد الجنبي ص(١٠).

بالمذاهب العالية يتظاهر بازدراء الدين ورجاله ويكون كذب الأرض في ثباته على تمثيل هيئة العناد والإصرار بعدم الإنقياد لأي واعظ كان من النصحاء.. وما زالت تماثيل زب الأرض تتفاقم رزايها وتنتشر مصائبها من سفهاء الزيغ الذي افتتنوا بذلك الطالب المارق من الدين ظانين أن انتشار صيته في المالك كان لمهارته في العلم وتمسكه بالحق وليس الأمر كذلك وإنما هي فتنة اتخذها اللورد كروم طريقاً مسلوكاً لتنفيذ أغراض السياسيين في البطش بالدين الإسلامي والخلافة الإسلامية وضياع العلم الديني وكان أمر الله قدرًا مقدوراً»<sup>(١)</sup>.

ونذكر بعد هذا رأي الشيخ يوسف النبهاني وهو مع رأي الجنبيهي كما يقول الدكتور محمد محمد حسين: «يصوران الجائب الآخر لصدى دعوة الأفغاني ومحمد عبده عند المعاصرين وهو الجائب الذي اختفى الآن أو كاد يختفي تحت تأثير الضغوط والحماية التي تساند هذه المدرسة وتحارب خصومها»<sup>(٢)</sup>.

والشيخ النبهاني - أيضًا - إنما يتحدث، ويقول بعد معاشرة ومخالطة للأفغاني إذن فقوله قول من أدرك الأمور على حقيقتها لا قول متخرص ظان.

يصفهم بادعاء الاجتهد المطلق وهم «الجاهلون» قال نظمًا:

وكم من قرون قد توالت ولم يجل	بدعوى اجتهد مطلق عالم كفراً
فكيف ادعاه الجاهلون بعصرنا	ما أقبح الدعوى وما أفظع الأمراً <sup>(٣)</sup>

(١) «بلايا بوزا» لمحمد الجنبيهي ص (٥٠ - ٥٣) باختصار.

(٢) «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد محمد حسين ص (٩٤).

(٣) «الرأي الصغرى» ليوسف النبهاني ضمن العقود اللؤلؤية في المذاهب النبوية له ص (٣٥٤).

\*ويرى أن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١١] [آل بقرة: ١١، ١٢]. يرى أنهم هم المرادون بها ويستدل بما نقله السيوطي في الدر المتشور عن سلمان الفارسي حيث أنه سئل عن هؤلاء القوم فقال: لم يأتوا بعد وذكر ذلك البيضاوي، ثم قال النبهاني: «قلت: لا شك أن المنافقين المذكورين في هذه الآيات السابقة واللاحقة، والخوارج الذين خرجوا على سيدنا علي حيث وغيره من أئمة الإسلام متصفون بهذه الأوصاف الذميمة إلا أنهم لم يدعوا أنهم مصلحون لدين الإسلام ويلقبوا أنفسهم بهذا اللقب مثل هذه الفرقة الضالة فرقة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده المصري في مطابقة الآية لهذه الفرقة أكثر من مطابقتها للمنافقين والخوارج وإن شملتم جميعاً أحكامها»<sup>(١)</sup>.

﴿وقال نظماً:

أما هي بالإصلاح من غيرها أخرى<sup>(٢)</sup>

فما بالهم لا يصلحون نفوسهم

﴿وقال:

من الكذب والتلفيق مهما أتى نكرأ  
يجوز لنا في البيت نجمعها قصاراً<sup>(٣)</sup>

وكل امرئ لا يستحي في جداله  
فمن قال صلوا قال قائلهم له

﴿وقال

ولا سيما إن كان في فقهه بحراً

وأعداؤهم من بيننا كل عالم

﴿وقال:

وإن أنت قد شاهدت من فعله الخيرا

فإياك أن تغتر منهم بفاجر

(١) «الرائية الصغرى» ص (٣٥٦).

(٢) المرجع السابق ص (٣٥٦).

(٣) المرجع السابق ص (٣٦٢).

وقد فعلوا أضعاف أضعافه شرًا  
فن Heidi له لا الفاجر الحمد والشكرا  
وأعظم منها في ديانتنا ضرًا  
ومن هؤلاء القوم لا يأخذ الحذرا<sup>(١)</sup>

بها مزجووا الإسلام بالملل الأخرى<sup>(٢)</sup>

كما وضعوا لفظ المفازة للصحراء<sup>(٣)</sup>

بأعمال أهل الكفر من جهة أخرى  
يرى حاجة للكفر يستحسن الكفرا  
فيبلغ عند القوم مرتبة كبرى  
وإن زعم العميان أن به خيرا

الله ويفصف عبده - بعد عودته إلى مصر من منفاه:  
ولوث من أقداره ذلك القطرا  
وأوهم أهل الجهل أن بهم خيرا  
ومهما أساءوا راح يتلمس العذرا  
لأعدائهم نصحاً علا عندهم قدرا  
وعاد إلى مصر فأحدث مذهبًا  
وأيد أعداء البلاد بسعيه  
يحسن بين الناس قبح فعالهم  
بمقدار ما خان البلاد وما أتى

بها حاز فيمن شاءه النفع والضرا

فذلك شيء جاء ضد طباعهم  
وكم أيد الإسلام ربي بفاجر  
أشد من الكفار فيما نكاشة  
من الكفر ذو الإسلام يأخذ حذره

﴿وقال عن جرائهم ومجلاتهم:  
بها خلطوا بالحق باطل غيهم

﴿وقال عن الأفغاني:  
تسمى جمال الدين مع قبح فعله

﴿وقال عن محمد عبده:  
 فمن جهة يدعى الإمام ويقتدي  
يذم خيار المسلمين وعندما  
لكيما يقال الشيخ حر ضميره  
وما زال مشهوداً على الدين شره

﴿ويصف عبده - بعد عودته إلى مصر من منفاه:  
ولوث من أقداره ذلك القطرا  
وأوهم أهل الجهل أن بهم خيرا  
ومهما أساءوا راح يتلمس العذرا  
لأعدائهم نصحاً علا عندهم قدرا  
وعاد إلى مصر فأحدث مذهبًا  
وأيد أعداء البلاد بسعيه  
يحسن بين الناس قبح فعالهم  
بمقدار ما خان البلاد وما أتى

﴿وقال:  
ونال بجاه القوم في الناس رتبة

(١) المرجع السابق ص (٣٦٢ - ٣٦٣).

(٢) «الرأية الصغرى» ص (٣٥٤).

﴿وقال:

طغام من الجهال أكسبهم خسرا

فمن رهبة أو رغبة كم سعى له

﴿وقال عن منهجهم في التفسير:

كما خبطت عشواء في الليلة القمرا  
فإما يرى فسقاً وإما يرى كفرا  
وبالرد والأعراض تفسيره أخرى

وقد ضل في القرآن مع عظم نوره  
فتفسيره من رأيه ليس حالياً  
أحدَر كل الناس من كتب دينه

﴿وقال عنه:

بذلك من بأس وإن كشف السترا  
ويشربها حمراء إن شاء أو صفرا  
إذا هي بالأسماء خالفت الخمرا  
لثلا يقولوا أنه ارتكب الوزرا  
به بعض أهل العلم قد ألحق الكفر  
يزر مكة يوماً ولا طيبة الغرا  
يرى فاعلاً يوماً وتاركها شهراً

يعاشر نسوان النصارى ولا يرى  
ويأكل معهم كل ما يأكلونه  
ويفتني بحل المسكرات جميعها  
ويأكل مخنوقاً ويفتني بحله  
وتخليله لبس البرانيط والربا  
وكم زار باريز ولندره ولم  
وإن كان يوماً للرياء مصلياً

﴿وقال:

وقد كنت في لبنان يوماً صحبته  
وصليت فرض الظهر والعصر بعده  
وكان صحيح الجسم لا عذر عنده

﴿وقال:

و قبل غروب الشمس صاحبت شيخه  
ولم أره أدى فريضة مغرب

لقرب العشا أيام جاورت في مصر  
فقطاعت شيخ السوء من أجلها الدهرا

□ وقال:

يقول به هلا شقت له الصدرا  
لدي وما استبعدت عن بعضهم كفرا  
على جبهات القوم كي يعرفوا والرا  
فيقرأ من يقرأ ومن لم يكن يقرأ  
من الدجل والإلحاد والبدع الأخرى  
عماهم ودجال الورى عينه عورا  
و Gund له من قبله مهدوا الأمرا  
أغوى الذي أغوى وأغرى الذي أغري<sup>(١)</sup>

ولو لا حديث المصطفى لأسامة  
لما صحت الدعوى بإسلام بعضهم  
وكنت كتبت الكاف والفاء بعدها  
كما جاء في الدجال يكتب لفظها  
فقد أشبهوه في معان كثيرة  
وما الفرق إلا أنهم في قلوبهم  
مقدمة للجيش عنه تقدموا  
تقدّم فيهم نائبا عنه عبده

□ وقال عن رشيد رضا ومجلته المدار:

كما نشر الزَّراع في أرضه البعرا

غدا ناشرا فيه ضلالات شيخه

□ وقال:

بأمر صحيح من شريعتنا الغرا  
ولكنه مع جهله قد حوى كبرا<sup>(٢)</sup>

وكم ضل رأيا من سقامة فهمه  
ولو سأل الأشياخ أدرك سره

□ وقال عن الثلاثة:

ومن فوقها الإلحاد صار لها قدرا  
بها حل كل من محالفه الصدرا  
تساوي به الإسلام والملل الأخرى<sup>(٣)</sup>

ثلاث أثاف تحتها نار فتنة  
وقد دخلوا حزب المسون بهمة  
ومذهبهم حكم الديانات واحد

(١) «الرأية الصغرى» ليوسف النبهاني من ص(٣٦٥ : ٣٧٤).

(٢) المرجع السابق ص(٣٧٧).

(٣) «الرأية الصغرى» ليوسف النبهاني ص(٣٨٤).

وهذا رجل آخر يكشف حالهم ويعلنها للناس وهو الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام للدولة العثمانية سابقاً يقول: «أما النهضة الإصلاحية المساوية إلى الشيخ محمد عبد فخلاصته أنه ززع الأزهر عن جموده على الدين فقرب كثيراً من الأزهريين إلى اللادينيين خطوات، ولم يقرب اللادينيين إلى الدين خطوة، وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدين الأفغاني كما أنه على ما يقال وسيأتي إياضاحه في هذا الكتاب هو الذي شجع قاسم أمين على ترويج السفور في مصر»<sup>(١)</sup>.

■ وقال عن محمد عبد: «فلعله وصديقه أو شيخه جمال الدين أرادا أن يلعبا في الإسلام دور لوثر وكلفين زعيمي البروتستانت في المسيحية فلم يتسن لهما الأمر لتأسيس دين حديث للمسلمين وإنما اقتصر تأثير سعيهما على مساعدة الإلحاد بالنهوض والتجديد»<sup>(٢)</sup>.

■ وقال عنه أيضاً: «وكان من مضار الشيخ بالإسلام وعلمائه الناشئين بعده أن حملة الأقلام بمصر المنحرفين عن الثقافة الإسلامية كما أكابرها الشيخ وأراءه الشاذة التي انتقدتها في هذا الكتاب وأوجدوا من السمعة العلمية السامية ما لا يزال طنيه في أذن الشرق الإسلامي. ولا شك في تأييد القوة الماسونية له كان ذلك حتى للذين يحبون الشهرة والظهور من شباب العلماء وكهولهم على نيل ما أرادوا بواسطة الشذوذ في الرأي والتزلف إلى الكتاب المفرنجين بل الإنتماء إلى الماسونية»<sup>(٣)</sup>.

■ ولا نريد أن نذكر بعد هذا موقف الشيخ عليش - رحمه الله تعالى -

(١) «موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين» لمصطفى صبرى (١/١٣٣ - ١٣٤).

(٢) المرجع السابق (١/١٤٤).

(٣) المرجع السابق (١/١٣٣ - ١٣٤).

الذي كان يلاحقهم في صحن الأزهر بعصاه أو موقف أبي الهدى الصيادى الذى وصف جمال الدين بأنه «مارق من الدين كما مرق السهم من الرمية»<sup>(١)</sup> أو اعترافات أتباعه أنفسهم بأن الأفغاني «برز في علم الأديان حتى أفضى به ذلك إلى الإلحاد والقول بقدمية العالم زاعماً أن الجرائم الحيوية المتشرة في الفضاء هي المكونة بترق وتحوير طبيعين ما نراه من الأجرام التي تشغل الفلك ويتجاذبها الجو أن القول بوجود محرك أولي حكيم وهم نشأ عن ترقى الإنسان في تعظيم العبود على حسب ترقيه في المقولات»<sup>(٢)</sup> أو وصف السلطان عبدالحميد بجمال الدين الأفغاني بأنه رجل الإنجليز، وأنه مهرج<sup>(٣)</sup>.

**ب : من بعدهم :**

سبق أن ذكرنا الموقف المشرف للعلماء الذين أتوا من بعدهم ونقدوا، المدرسة العقلية نقداً لاذعاً ومن هؤلاء الدكتور محمد حسين فقد كشف عن عور المدرسة العقلية الحديثة وانحرافها وقبح ما تدعوه إليه.

- ومنهم أيضاً الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه القيم «التفسير والمفسرون» وسيد قطب في كتابه «الظلال» والدكتور علي جريشة ومحمد شريف الزييق والأستاذ غازي التوبة في كتابه الفكر الإسلامي المعاصر.

﴿ ولقد استعرض غازي التوبة جملة من أخطاء محمد عبده فعد منها: دعوته للتقارب بين الأديان حتى صار مطية لهيئات ودول حاقدة على الإسلام وال المسلمين وما ذلك إلا لأنه لم يلتزم حد الإسلام بل اتبع هواه فكان أمره فرطا .

﴿ واستعرض الأستاذ غازي جملة الالخطاء والانحرافات بعد أن قسمها

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لرشيد رضا (٩٠ / ١).

(٢) المرجع السابق (٤٣ / ١).

(٣) «مذكرات السلطان عبدالحميد» ترجمة محمد حزب عبدالحميد ص (٦٧).

إلى قسمين:

أ) نتائج سياسية: وعد منها:

١ - التعاون مع رياض باشا عميل الإنجليز.

٢ - التعاون مع المحتل الإنجليزي.

٣ - الاصطدام مع عباس الثاني فقد كانت في مصر آنذاك سلطتان سلطة الاحتلال وسلطة الخديوية إحداهما مغتصبه والأخرى شرعية تمثلت الأولى في الثعلب العجوز اللورد كرومر والثانية الخديوي عباس الثاني.

٤ - تبرير وجود المحتل.

٥ - تكوين مدرسة سياسية باسم محمد عبده حيث وجد الاحتلال في محمد عبده وتلاميذه مدرسة سياسية تحقق أغراضه وتنفذ مآربه فرعاها ونمها.

ب) النتائج الفكرية:

كان الاستعمار يشعر بتحول المجتمع المسلم نحو الحضارة الغربية وأخذه منها في كل مجال وتقليله لها في كل أمر ولكنه كان يؤمن - في الوقت نفسه - بأن الهوة ستبقى قائمة بين الغرب والمسلمين من جهة ولا يؤمن الانهيار من جهة ثانية طالما أن الإسلام باق على طبيعته وحقيقةه لذلك فقد صب جهوداً كبيرة كي يحول ويحوّل الإسلام من الداخل ليعطي السنن الفكري والدعم الديني لمعطيات الحضارة الغربية من ناحية وتناولها دون التخرج من ناحية أخرى، وقد وجد الاستعمار في محمد عبده ضالته التي تحقق له هدفه ذلك في التحويل والتحوير أو قل التي تبدأ له بالخطوة الأولى في ذاك التحويل والتحوير<sup>(١)</sup>.

(١) «الفكر الإسلامي المعاصر» لغازي التوبي انظر ص(٤٤ - ٦٥).

□ والدكتور محمد محمد حسين غير مكث في ميدان الكتابة لكنه رصين الإداء مقتدر في استيفاء جوانب موضوعه ينظر إلى الأمور في عمق كما قال الأستاذ أنور الجندي<sup>(١)</sup>، وقد كان لدراسته العميقه في دعوة الأفغاني وتلاميذه نتيجة خطيرة توصل إليها حيث يقول: «الذى يبدو لي هو أن دعوة الأفغاني التي ربي محمد عبده في أحضانها كان لها - ككل الدعوات السرية - ظاهر وباطن فظاهرها يخاطب الجماهير. وهو يصور ما يريد صاحب الدعوة أن يعرفه جمهور المسلمين بما يعجبهم ويقع من قلوبهم موقع الارتياب والقبول، وباطنها يمثل حقيقتها التي يخفى أصحابها عن الناس، ولا يكشفون الستر عنها قبل أن تتحقق أهدافها بالوصول إلى مركز السلطة ومحمد عبده كان تابعاً لسيده الأفغاني أو خادماً له كما تعود هو نفسه أن يكتب إليه في بعض رسائله والأفغاني كان يريد أن يعيد الدور نفسه الذي لعبه الإسماعيلية من أصحاب الدعوات الباطنية التي تستتر وراء التشيع»<sup>(٢)</sup>.

□ وقال عنهما أي الأفغاني ومحمد عبده: «وكانا - ككل الثوار من أصحاب الدعوات السرية - يعلنان ما يحبه الناس ويستهويهم غير ما يبطنان مما ينكره الناس وما يبلغهم مطامعهم»<sup>(٣)</sup>.

□ هذا الرأي ليس رأي رجل خراص وإنما رأي رجل وقف جزاءً كبيراً من نشاطه لدراسة حقيقتهم وجلاء أهدافهم حتى إذا ما وصل إلى درجة كبيرة من ذلك كشف لل المسلمين ما توصل إليه مستندًا إلى حقائق ثابتة من أقوالهم أو أفعالهم التي لا تنكر وقد عرفت عنهم واشتهروا بها، وهو حينما يكشف

(١) «مفكرون وأدباء» لأنور الجندي ص(٢٦٤).

(٢) «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد حسين ص(٨٣).

(٣) مجلة «رسالة الطالب المسلم» لقاء مع الدكتور محمد محمد حسين ص(١٠٠) العدد الأول ١٣٩٧ - ١٣٩٨ هـ.

هذا لا يكشفه لحد أو حسد وإنما يكشفه لغرض إسلامي نبيل هو أن لا تقوم في مجتمعنا أصنام جديدة معبودة لأناس يزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ وأن أعمالهم كلها حسنات لا تقبل القدح والنقد حتى أن المخدوع بهم والمعصب لهم والمرور لأرائهم ليهيج ويوجز إذا وصف أحد الناس إماماً من آئتهم بالخطأ في رأي من آرائه في الوقت الذي لا يهيجون فيه ولا يوجزون حين يوصف أصحاب رسول الله ﷺ بما لا يقبلون أن يوصف به زعماً لهم المعصومون<sup>(١)</sup>.

إذن فنقد نقد عارف مطلع، هدفه الإصلاح، وهذا ما نبحث عنه.

□ ونختم الحديث هنا برأي صنيعة من صنائعهم وأثر من آثارهم هو الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطى لكنه مع هذا أبي إلا أن يقول الحق في منهجهم.

أما أنه متاثر بهم معجب فشاهد أنه قال في إهداء كتابه «النظرات»: «إن كان لي في هذا السفر فضيلة يعجب بها الفاضل أو رأي يرضى عنه العاقل، أو ديناجة يشني عليها الأديب فلا يد فيها لأحد من الناس غير هؤلاء الرجال الثلاثة ولني نفسي والذي السيد محمد لطفي وولي عقلني أستاذى الشيخ محمد عبده، وولي أمري سيدى سعد باشا زغلول أولئك الذين أهدي إليهم كتابى؛ لأنه حسنة من حسناتهم وصنيعة من صنائعهم وأثر من آثار عنایتهم ورعايتهم وأولئك الذين أحسنوا إلى في هذه الحياة إحساناً لا أزال أذكر أياديهم البيضاء فيه حتى يعتاق نفسي حمامها وعظمامي رجامها»<sup>(٢)</sup> إلخ. ولكن هذا الولاء ولا دخل لنا فيه، ولمحمد عبده ولسعد زغلول وهو

(١) «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد محمد حسين ص(٤٩ - ٥٠).

(٢) نقل لي هذا النص شيخنا وأستاذنا عبدالفتاح أبو غده جزاء الله خيراً عن الطبعة الأولى من كتاب «النظرات» لمصطفى لطفي المنفلوطى سنة ١٣٢٨هـ الصفحة الأولى.

مرادنا لم يمنعه من قول الحق في نقد منهج محمد عبده حيث عرض لذكره في مقالة عنوانها «يوم الحساب» تخيل فيها أنه قد انتقل من العالم الأول إلى العالم الثاني ورأى كأنه بعث بعد الموت، وكان أبناء آدم مجتمعون في صعيد واحد يحاسبون على أعمالهم فألهم أنه موقف الحشر، وأنه يوم الحساب ثم تخيل حواراً جرى هناك بين محمد عبده وقاسم أمين عاتب فيه الأول الثاني على دعوته إلى السفور، فإذا بقاسم أمين يجيب «أتاذن لي يا مولاي أن أقول لك: إنك قد وقعت في مثل ما وقعت فيه من الخطأ.. وإنك نصحتني بما لم تتصح به نفسك، أنا أردت أن أنصح المرأة فأفسدتها كما تقول، وأنت أردت أن تحبي الإسلام فقتلتة، إنك فاجأت جهله المسلمين بما لا يفهمون من الآراء الدينية الصحيحة والمقاصد العالية الشريفة فأرداوا غير ما أردت وفهموا غير ما فهمت فأصبحوا ملحدين، بعد أن كانوا مخرفين، وأنت تعلم أن ديننا خرافياً خير من لا دين.

أولت لهم بعض آيات الكتاب فاتخذوا التأويل قاعدة حتى أولوا الملك والشيطان والجنة والنار، وبيّنت لهم حكم العبادات وأسرارها وسفهت لهم رأيهم في الأخذ بقشورها دون لبابها، فتركوها جملة واحدة! وقلت لهم: إن الولي إله باطل والله إله حق فأنكروا الألوهية حقها وباطلها، فتهلل وجه الشيخ وقال له: ما زلت يا قاسم في آخرك مثلك في دنياك لا تضطرب في حجة ولا تنام عن ثار»<sup>(١)</sup>.

□ حسبك بهذا الاتهام من صناعة من صنائعهم وأثر من آثار عنایتهم  
ورعیاتهم وخلاصة ما نقلنا من نقد لهم هنا أنهم:

١- غير ملتزمين للشعائر الإسلامية من صلاة أو حج.. إلخ.

(١) «النَّظَرَاتُ» لِمُصطفى لطفي المَنْفُلوطي (١٢٣ / ١٢٤).

- ٢ - إن تعاونهم مع الاحتلال ودول الاستعمار إما لأنهم عملاء كما يقول بعض النقاد أو سذاجة منهم كما يقول آخرون.
- ٣ - إن لهم دعوة باطنية يظهرون منها ما يخالف حقيقتها وباطنها.
- ٤ - إنهم جاروا مذهب الاعتزال في كثير من مذاهبهم حتى اطلق عليهم أنهم معتزلة العصر الحديث.
- ٥ - إنهم الوسيلة التي اتخذها الاستعمار والمستعمرون لتحويل وتحويم الإسلام من الداخل ليعطي السند الفكري والدعم الديني لمعطيات الحضارة الغربية.
- ٦ - إن منهجهم في التفسير ضال ومنحرف.

كل هذا وغيره كثير كشفه الناقدون لهم لكن هذا كله، ولكنهم كلهم لم يكن لهم من الأثر ما يذكر، في التقليل من رواج حسن سيرتهم بين الناس وانخداع العلماء بهم قبل العوام حتى وصلوا إلى درجة لا يجرؤ عالم من العلماء على نقدتهم علانية أمام ملايين الناس في مجتمعهم.

لم يكن السبب في هذا سرًا لا يعلمه أحد بل علمه وخبره الكثيرون وأعلنوه للناس أيضًا، قالوا: إن السبب أن الاستعمار يقف خلفهم ويعيدهم ويساند دعوتهم ويحميهم أينما ساروا، ويحمي أفكارهم ومبادئهم في اللحظة التي يحتاجون فيها إلى الحماية ويسعى إلى ترويج آرائهم بين المسلمين وإيصال صوتهم ودعوتهم إلى الناس.

و Gund الاستعمار جنوده من المستشرقين للثناء عليهم ومدحهم حتى يروج ذلك بين الكتاب المسلمين فينقلوه عنهم نقل الإعجاب والتأييد «والافتخار» ببرجلين أو رجال من الشرق نالوا رتبة عالية عند رجال الغرب في المباحث الدينية، وهي رتبة تهفو إلى بلوغها أنظار طلاب الشهرة ولو على حساب الدين فأخذوا ينقلون ويروجون أفكارهم ومبادئهم لا نقل الفاحص

الناقد، وإنما نقل المؤيد المسلم لهم ما يقولون.

□ وبهذا راجت بين الناس أفكارهم وطغت على أذهانهم مبادئهم فلا يسمعون صيحة «مخنوق» ضدهم ولا همس هامس في نقدمهم، ولا صرخة محذّر بين صيحات المخدوعين **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْفَوْأَدِ فِيهِ لَعْلَكُمْ تَغْلِبُونَ﴾** [فصلت: ٢٦].

حتى أجاوا بعض من يزيد قول الحقيقة إلى قولها مشوبة بالثناء عليهم ومدحهم وتجيدهم تقريرًا إلى المخدوعين بهم.

ذلك أثر من آثار الاستعمار، ونتيجة لدراسة نقدية مزعومة من المستشرقين لا ندعى ذلك ادعاء وثبت هنا ما يقيم أساسه.

\* موقف الاستعمار البريطاني منهم واعترافه بما قدموه له من خدمات: سبق أن ذكرنا ما يثبت حماية الاستعمار لهم ودافعه المستميت عن دعوتهم، ونعيد هنا للمناسبة بعضه ونزيد عليه.

ونبدأ أول ما نبدأ برجل أعلن عداءه للإسلام حيث قال: جئت (إلى مصر) لأمحو ثلاث القرآن والكعبة والأزهر<sup>(١)</sup>.

ترى من الذي عاون هذا الرجل لتحقيق هدفه؟! إنهم ولا شك رجال المدرسة العقلية من حيث يدرؤون (فيكونوا عملاء) أو من حيث لا يدرؤون (فيكونوا سذاج).

□ قال كروم في تقريره السنوي لعام ١٩٠٥ عن محمد عبده: «كان لعرفته العميقه بالشريعة الإسلامية ولآرائه المتحررة المستنيرة أثراً في جعل مشورته والتعاون معه عظيم الجدوى»<sup>(٢)</sup>.

(١) «الخنجر المسموم» لأنور الجندي ص(٢٩).

(٢) «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد محمد حسين ص(٧٨).

## زياض الجنة في الرد

□ وقال أيضًا: «لا ريب عندي في أن السبيل القويم الذي أرشد إليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الإصلاح من المسلمين الخير منه لبني ملتهم إذا ساروا فيه فأتباع الشيخ حيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوروبيين»<sup>(١)</sup>.

□ وقال أيضًا: «إن أهميته السياسية ترجع إلى أنه يقوم بتقريب الهوة التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين، وإنه هو وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلحة الأوروبية»<sup>(٢)</sup>.

وقد امثل هو ما دعا إليه فمال إليهم وعطف عليهم وقدم لهم كل عون وتشجيع فكانوا له (حلفاء طبيعيون) فوجبت عليهم حمايته.

□ صرخ اللورد كرومرو بنفسه: «إن الشيخ محمد عبده يظل مفتياً في مصر ما ظلت بريطانيا العظمى محظلة لها»<sup>(٣)</sup>.

□ وقال السيد رشيد: «وقد تحقق أن اللورد كرومرو قال للخدبوسي: إن كان تحريك بعض المشايخ ضد الفتى لأجل فصله من الافتاء فاسمح لي بأن أقول: أنه ما دام لبريطانيا العظمى نفوذ في مصر فإن الشيخ محمد عبده يكون هو الفتى حتى يموت»<sup>(٤)</sup>.

هذه بعض حمايته في الداخل أما إذا ذهب إلى الخارج كالأسنانة مثلاً، فإنه يكتب إلى تلميذه السيد رشيد «إن السلطان لا يستطيع حبسه لو أراده

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا (٤٢٦/٣).

(٢) Medern Egept: Cromer P. 180

(٣) «تاريخ الأستاذ الإمام» (١/٥٠).

(٤) المراجع السابق (١/٥٦٤).

وهو يعلم عجزه عن ذلك حق العلم ولذلك أسباب لا أحب ذكرها الآن<sup>(١)</sup>، ولكن السيد رشيد يذكر السبب في هذا «وهم لا يجهلون أن السفاراة البريطانية كانت بالمرصاد؛ لأنها لا تسكت للحكومة الخمídية على ذلك لو أقدمت عليه والسلطان ورجاله لا يجهلون هذا أيضًا»<sup>(٢)</sup>.

بل إن الاحتلال الإنجليزي كان عاملاً أساسياً من عوامل عودة محمد عبده من المنفى في الشام إلى مصر وقد صرخ اللورد كرومرو ب لهذا في كتابه مصر الحديثة حيث قال: «إن العفو صدر عن محمد عبده بسبب الضغط البريطاني»<sup>(٣)</sup>.

هذه إشارة تكفي اللبيب في بيان مدى تعاون إمام المدرسة العقلية الحديثة وأستاذها مع الاحتلال ومدى حمايتهم له وهو أمر له معناه.

#### \* ترحيب المستشرقين بالمدرسة ونتائجها :

كان لأفكار المدرسة العقلية صدى كبيراً في دراسات المستشرقين، والحقيقة أنا لا ندري من أين نبدأ وإلى أين ننتهي بين عبارات الثناء والترحيب بهم من المستشرقين ولعلنا نكتفي - أيضاً - بالإشارة.

فهذا جب يقول عنهم: «السوء الحظ ظل قسم كبير من المسلمين المحافظين ولا سيما في الهند لا يخضعون لهذه الحركات الإصلاحية المهدئة وينظرون إلى الحركة التي تزعمتها مدرسة عليكره بالهند ومدرسة محمد عبده بمصر نظرة كلها ريبة وسوء ظن لا تقل عن ريبتهم في الثقافة الأوروبية نفسها»<sup>(٤)</sup> ، ثم وضح هذا المستشرق الإنجليزي جب دور المدرسة العقلية

(١) «الأعمال الكاملة» لمحمد عبده، جمع محمد عماره (١١٧/١).

(٢) «تاريخ الأستاذ الإمام» (١/٨٦٠).

(٣) «الفكر الإسلامي الحديث» لغازي التوبة ص (٤٥).

(٤) «إلى أين يتوجه الإسلام» للمستشرق جب عن مجلة المجتمع العدد ٣٦٤ في ٩ رمضان =

## رياض الجنة في الرد

بقوله: «إن في كل البلاد الإسلامية - باستثناء شبه جزيرة العرب وأفغانستان وبعض أجزاء من أواسط إفريقيا - حركات معينة تختلف قوتها واتساعاً ترمي إلى تأويل العقائد الإسلامية وتنفيحها»، ثم قال: «وقد اتجهت مدرسة محمد عبده بكل فروعها وشعبها نحو تحقيق هذا الهدف»، ثم ذكر «أن الأب (بانيرث) المبشر يرى أن حركة الإصلاح الإسلامي - على النحو الذي تسير فيه الآن يجب أن تقابل من المسحية الغربية بالتشجيع»<sup>(١)</sup>.

ولعله يكفي هنا أن ننقل عن جب رأيه في تلاميذ محمد عبده حيث يقول: «إن تلامذته هم من أولئك الذين تعلموا على الطريقة الأوروبية وذلك من ناحيتين أولاًهما إن ما كتبه الشيخ كان بثابة درع واقية للمصلحين الاجتماعيين والسياسيين فإن عظمة اسمه قد ساهمت نشر أخبار لم تكن تنشر من قبل ثم إنه قد أقام جسراً من فوق الهوة السحيقة بين التعليم التقليدي والتعليم العقلي المستورد من أوربا الأمر الذي مهد للطالب المسلم أن يدرس في الجامعات الأوروبية دون خشية من مخالفة معتقده وهكذا انفرجت مصر المسلمة بعد كبت، فقد ساهم الشيخ محمد عبده أكثر من أي شخص آخر في خلق اتجاه أدبي جديد في إطار الروح الإسلامية»<sup>(٢)</sup>.

أما الجاسوس البريطاني الفريد سكاون بلنت فيصف دعوتهم بأنها «الإصلاح الديني الحر» ويصفهم بأنهم «زعماء الإصلاح في الأزهر» ويصف مدرستهم بأنها «تلك المدرسة الواسعة التقية»<sup>(٣)</sup>.

□ وقال عن الأفغاني: «ومن أغرب ما يروى أن الفضل في نشر هذا

= ٩٧ هـ ص (٢٩).

(١) المرجع السابق ص (٦٣) عن «الفكر الإسلامي المعاصر» لغازي التوبة ص (٦١ - ٦٢).

(٢) «الاتجاهات الحديثة في الإسلام» ص (٧٠).

(٣) «التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر» الفرد سكاون بلنت ص (٧٦).

الإصلاح الديني الحر بين العلماء في القاهرة لا يعود إلى عربي أو مصري أو عثماني ولكن إلى رجل عبقرى غريب يدعى السيد جمال الدين الأفغاني<sup>(١)</sup>.

﴿وقال عن محمد عبده أنه «رجل من أحسن وأحكم الرجال العظام ويجب أن لا يتوهם أحد أنني إذا استخدم هذه الألفاظ ألقى القول على عواهنه أو أبالغ مثقال ذرة، ولكنني أقولها معتمداً على معرفتي بأخلاقه في ظروف مختلفة وأحوال صعبة فقد عرفته في أول الأمر معلماً دينياً ثم قائداً لحركة الإصلاح الاجتماعي.. وأخيراً حين سودته مواهبه العقلية ونصرته من جديد»<sup>(٢)</sup>.

وتحدث عن هدف الأفغاني فقال: «كان همه أن يطلق العقول من الأغلال التي قيدتها طوال الأجيال الماضية»، وأن هذا «يماطل ما حدث من إحياء المسيحية بأوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر»<sup>(٣)</sup>.

وهذا جولد زيهير يبين قصد مدرسة المنار بأنه «تحقيق قدرة الإسلام على الحياة بين تيارات العصر الحديث عن طريق إصلاح الأحوال المغلولة بقيود المذاهب الجامدة»<sup>(٤)</sup> واعتبر السيد جمال الدين الأفغاني المحرك الأول لهذا الاتجاه<sup>(٥)</sup>.

وحسبي أن أقف هنا في بيان الصراع بين المحذرين منهم وبين الاستعمار والمستشرقين، ولا يزال - حتى ساعتنا هذه - صوت الاستعمار هو الأكثر رسوخاً في أذهان الناس<sup>(٦)</sup>.

(١) المرجع السابق ص(٧٧).

(٢) المرجع السابق ص(٨٠).

(٣) المرجع السابق ص(٧٨).

(٤) «مذاهب التفسير الإسلامي» لجولد زيهير ص(٣٤٧ - ٣٤٨).

(٥) «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٧٩٩ - ٨٠٨).

\* من رفض هذه الحجج وردّها ندعوه إلى المباهلة:

بعدهما أطلنا النفس في عوار هذه المدرسة وكيف أن رجالها كانوا وراء كل مصيبة ألمت بأمتنا في واقعنا المعاصر.. فمن لم يقبل هذه الحجج لأنحراف الناس عن سواء السبيل، ويقول عن هذه المدرسة: إنها المدرسة الإصلاحية المستيرة، وإن إمامها نعم الإمام، وأنه سعى لنصرة دين الله حتى لا تقضي عليه عيّام الأزهر أو: «الإسطبل» كما كان يسميه، وكثيراً ما كان يقول:

ولكن ديناً قد أردت صلاحة أحذرك أن تقضي عليه العيّام فمن نعت القوم بأنهم أئمة هذا الدين وأن طريقهم خير طريق وهو الأوحد المستقيم فإننا ندعوه للمباهلة.

□ قال ابن حجر في «الفتح» (٦٩٧/٧): «في قصة أهل نجران.. وفيها مشروعيّة مباهلة المخالف إذا أصرّ بعد ظهور الحجة، وقد دعا ابن العباس إلى ذلك ثم الأوزاعي ووقع ذلك بجماعة من العلماء.

وما عُرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلاً لا تقضي عليه سنة من يوم المباهلة وقع ذلك لي مع شخص كان يتussب لبعض الملاحدة فلم يقم بعدها شهرين».

□ يقول الحافظ ابن حجر: «جرى بيني وبين بعض المحبين لابن عربي منازعة كثيرة في أمر ابن عربي، حتى تبرأت من ابن عربي بسوء مقالته - وهذا هو المحدث الذي يقصده ابن حجر - فلم يسهل ذلك بالرجل المنازع لي في أمره، وهددني بالشكوى إلى السلطان بمصر بأمر غير الذي تنازعنا فيه يتعب خاطري، فقلت له: ما للسلطان في هذا دخل، إلا تعالى تباهل وقلت: ما تباهل اثنان فكان أحدهما كاذباً إلا وأصيب، فقال لي: باسم الله قال: فقلت له: قل اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَبْنَ عَرَبِيَ عَلَى ضَلَالٍ فَالْعَنْيَ بِلَعْنَتِكَ،

فقال ذلك. فقلت أنا: اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلعنتك واقتربنا.

قال: وكان سكن الروضة فاستضافه شخص من أبناء الهند جميل الصورة، ثم بدا له أن يتركهم وخرج في أول الليل مصمماً على عدم المبيت، فخرجوا يشيعونه إلى الشخثور، فلما رجع أحس على شيء من على رجله فقال لاصحابه: من على رجلي شيء ناعم فانظروا فلنظروا فلم يروا شيئاً، وما رجع إلى منزله إلا وقد عمي وما أصبح إلا ميتاً، وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبع وسبعين، وكانت هذه المباهلة في رمضان منها، وعند وقوع المباهلة عرفت أن السنة ما تمضي عليه، وكانت بحضور من جماعته<sup>(١)</sup>.

\* وأخيراً:

نقول لكل معاند ومخالف:

أنت القتيل بكل من أحببته فاختر لنفسك في الهوى من تصطفى

\* \* \*

---

(١) «غاية الأماني» (٢/٣٧٤).

\* الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ يدافع عن أهل الحديث ويرد على

الشيخ محمد العزالي :

الشيخ محمد الغزالى رمز كبير من رموز الدعوة بمصر، وله قلم سيال في الرد على العلمانيين والمستشرقين وهو فارس لا يُشق له غبار في هذا الميدان. وهو وإن كان حبيباً إلى النفوس إلا أن الحق أحب إلينا منه، وقد كتب به جواده حينما يتكلم عن أهل الحديث، أو يطعن ويرد بعض الأحاديث التي وجدت في «الصحيحين» فانبأ للرد عليه عالم من البيت المبارك بيت الشيخ محمد بن عبدالوهاب شيخ الإسلام، وهو فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ فجزاه الله عن المسلمين خيراً الجزاء فيقول في رده على كتاب الشيخ محمد الغزالى «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث»:

«وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي طَلَبَتِ الْكَشْفُ عَنْهُ طَارَ بِهِ أَهْلُ الْفَتْنَةِ وَأَعْدَاءُ السَّنَنِ، لَجْرِيَانُهُ مَعَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فِي أَهْوَائِهِمْ، وَقَدْ ضَرَّمْ نَارَهُ، وَأَشْعَلَ الْفَتْيَلَ فِي زَنَادِهِ «خَضْرَاءَ الدَّمَنَ»<sup>(١)</sup>، وَمَا أَدْرَاكَ مَا خَضْرَاءَ الدَّمَنَ، وَسُوءَ مَنْبِتها، فَنُشِرتَ مِنْهُ وَانْتَقَتْ، فَدَخَلَتْ فَتَنَتْهُ إِلَى بَيْوَتِ لَمْ تَعْرِفْ الْكِتَابَ وَلَا كَاتِبَهُ؛ لَأَنَّهُ يَخْدُمُ مَصَالِحَ مَعْلُومَةَ فِي بَثِ الْخَلَافَ، وَتَفْرِيقِ الْعُلَمَاءِ، وَانْتِقَادِ الدُّعَاءِ، وَتَطْوِيرِ قُلُوبَ أَبْطَأَ تَطْوِيرَهَا.

لكن هذا حريق ضرمت ناره، وحريق الأقلام قد يطفئه سيل المداد من ذوي السداد.

□ ألم تر - أيها الفاضل المودود - كم أقرَّ الكاتب عين الرافضة والعلمانيين حين اجترأ على الفاروق المحدث رضي الله عنه فخطأه فيما رواه إذ خالف ما يراه ويهواه، فقال ص(١٧): «إن الخطأ غير مُستبعد على راوٍ، ولو كان

(١) يعني بها «جريدة الشرق الأوسط».

في جلالة عمر»! .

ثم ألم تر كيف عطف وكر على خباب بن الأرت الذي أسلم سادس ستة، وروحت روحه في جنة الخلد قبل مجيء الغزالى بثلاثة عشر قرناً<sup>(١)</sup> ، فطعن في علمه إذ ساق ما رواه البخاري ومسلم عن خباب: «إن المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب»، فقال الغزالى ص(٨٧) متطاولاً: «كلام خباب رضي الله عنه عليه مسحة تشاؤم غلت عليه لمرضه الذي اكتوى منه».

﴿ ثم ألم تر - أيها الأخ - قوله عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ص(١١٦) إثر سياق حديث له، قال: «حديث سلمان ليس إلا تعبيراً عن حالة نفسية خاصة» انتهى .

﴿ فقل لي أيها الموفق، أفيعز على ذي هوى أن يرد الحجج والدلائل بمثل ما رد به الغزالى: عمر مخطئ فيما رواه عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم ، وخباب متشارئ، وسلام ذو حالة نفسية خاصة.

﴿ ثم قف - أيها الودود - على قوله ص(١٢٨): «إن من قال بقطع الصلاة بالثلاثة المذكورين في حديث أبي ذر وغيره هم القاصرون من أهل الحديث».

أتدرى من الذين قالوا بقطع الصلاة بالثلاثة المذكورة؟ إنهم جمع خيرة؛ منهم: أنس، وأبو ذر، وأبو هريرة رضي الله عنه ، وابن عباس في رواية، والحسن البصري، وأبو الأحوص، وأحمد في رواية وغيرهم.

ثم سل أطفال المسلمين عنمن ذكرت لك أسماءهم من الآئمة الأعلام: أقاصرون هم؟ فإن أجبوك بأنهم كَمَلَة مُتَخْبُون فستقاسمني القول بأن الغزالى

(١) لا نشهد لمعين أنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا بما شهد له الشارع.

عَظُمْ رَغْبَهُ فِي إِطَاحةِ مِنْ يُخَالِفُهُ، بِالْفَاظِ نَابِيَاتِ، وَتَحْرِيرَاتِ وَاهِيَاتِ، شَانَ أَهْلَ الْهَوَى، وَمَنْ قَالَ مَا شَاءَ لَقِيَ مَا لَمْ يَشأْ.

\* أيها الصاحب :

قرأت وقرأت الكتاب، فالفيته غنياً فقيراً: غنياً من القصص والسخريات، فقيراً من عالي الكلام والاختيارات، نصب الكاتب فيه نفسه قاضياً وحكماء، وبين من؟ بين أهل الفقه وأهل الحديث في فهمهم للسنة، فدلل بذلك على ضيق أفقه، وضعف فقهه، إذ أهل الفقه المتقدمون جلهم محدثون، وأهل الحديث السائرون جلهم فقهاء.

واعتبر ذلك بمالك، والشافعي، وأحمد، والأوزاعي، والليث والثوري، ونحوهم.. أليسوا أمراء المؤمنين في الحديث؟ ثم أليسوا فقهاء الأمة؟<sup>(١)</sup>.

﴿ وَرَدَ عَلَى الغَزَالِيِّ قَوْلَهُ ص(١٩) :

«أَهْلُ الْحَدِيثِ يَجْعَلُونَ دِيَةَ الْمَرْأَةِ عَلَى النَّصْفِ مِنْ دِيَةِ الرَّجُلِ، وَهَذِهِ سُوَّاً فَكْرِيَةً وَخُلُقِيَّةً، رَفَضُهَا الْفُقَهَاءُ الْمُحَقِّقُونَ! »

﴿ قَالَ الشَّيْخُ صَالِحٌ: «وَهَذَا تَعَالَمٌ، بَلْ كَذَبٌ، فَمَنْ أَوْلَئِكَ الْفُقَهَاءُ الْمُحَقِّقُونَ الَّذِينَ رَفَضُوا هَذَا؟ لَمْ يَصْحِ خَلَافٌ لِأَحَدٍ؛ إِلَّا أَنْ يَعْنِي الغَزَالِي نَفْسَهُ! وَهُوَ الْأَظَهَرُ فَالْأَمَّةُ مُجَمَّعَةٌ عَلَى هَذَا فِي النَّفْسِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَحْدَهُمْ، قَالَ: الشَّافِعِيُّ فِي «الْأَمَّ»: «لَمْ أُعْلَمْ مَخَالِفًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا فِي أَنَّ دِيَةَ الْمَرْأَةِ نَصْفُ دِيَةِ الرَّجُلِ». »

(١) المعيار لعلم الغزالى في كتابه «السنة النبوية» للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ص(٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣).

ونقل الإجماع وأثبته: ابن المنذر، وابن حزم، وابن عبدالبر، وابن رشد والقرطبي، وجمع، والعلماء توادر عندهم نقل هذا الإجماع.

فإذا انكشف لك هذا فاعلم - علمت الخير - أن قوله: «هذه سوأة فكرية وخلقية» اتهام لأمة الإسلام، ولشريعة الإسلام، وشهادة على الصحابة والتابعين والعلماء بعدهم أجمعين بأن إجماعهم وفهمهم سوأة في الفكر، بل وفي الخلق، فالتفكير سوء، والخلق مذموم هابط!

هذا مكان هذه الأمة - وإجماع علمائها - في قلب هذا الرجل.

وتذكر هنا قوله ص(١٦٠) آخر كتابه، وكأنما يشهد على نفسه: «إن الذين يخطئون في الفهم، ويجهرون على في حكم لا ينبغي أن يُسقطوا عوجهم الفكري على دين الله» انتهى<sup>(١)</sup>.

﴿ وَعَنْ قَوْلِ الشَّيْخِ الْغَزَالِيِّ فِي الْمَعَاذِفِ وَالْمُوسِيقِيِّ ﴾ ص(٦٣): «الطرف في التحرير نزعة غير إسلامية».

﴿ قَالَ الشَّيْخُ صَالِحٌ : لَا يَبْعُدُ عَنْ خَاطِرِكَ أَنَّ الْأَئِمَّةَ الْأَرْبَعَةَ وَفَقَهَاءَ الْمَلَّةَ أَفْتَوُا بِتَحْرِيمِ الْمَعَاذِفِ ، وَلَمْ يُخَالِفْ إِلَّا الظَّاهِرِيَّةَ ، وَيَعْصُمُ أَفْرَادُ شَذِّوْمَانِ قَبْلَهُمْ ، وَلَهُذَا فَإِنَّ تَهْوِيلَهُ وَتَقْرِيرَهُ لَمْ يَرِيدْ بِعِنْوَانِ مَثْلِ هَذَا ، يُفْهَمُ أَنَّهُ مُتَهَمٌ لِلْأَئِمَّةِ بِأَنَّهُمْ حَرَّمُوا حَلَالًا ، نَازِعُهُنَّ إِلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يَتَّبِعُو الْإِسْلَامَ ، وَإِنَّمَا نَزَعُوا إِلَى غَيْرِهِ مِنْ تَقَالِيدِ وَأَدِيَانٍ .

وكلامه في المعاذف والغناء كلام من ركب الثقافة، فسعى إلى تقرير ما ي يريد، بعيداً عن القواعد العلمية، والبيانات الشرعية<sup>(٢)</sup>.

(١) «المعيار» ص(٤٦ - ٤٧).

(٢) قال الشيخ في غير هذا الموضوع «من لم يستمع للغناء فهو جلف الطياع»!

(٣) «المعيار» ص(٥٨ ، ٥٩).

□ وعن تنقص الغزالى وسخريته من علماء الأمة قال الشيخ صالح: «هذه - أيها الأخ - خلة من تجكنت منه أصابته المقاتل، ولحوم العلماء مسمومة، وتنقص العلماء من شيم السفهاء، وكلام الكلام كجراح السهام، أفلم تشعر بطنع ينفذ إلى حشاك كلما تنقص الغزالى إماماً أو عالماً؟».

قد سمعت مقاله قبل في عمر وخباب وسلمان والقاصرين - عنده - من أهل الحديث - فاسمع تنقصه من نافع أول سلسلة الذهب عن ابن عمر:  
 قال ص(١٠٣) بعد سياق حديث وأثر: «ونافع - غفر الله له - مخطئ... ورواية نافع هذه ليست أول خطأ يتورط فيه، بل قد حدث بأسوأ من ذلك»، ثم وصفه ص(١٠٥) بأنه: «راو تائه». فاسمع هذا، ثم تذكر قول الإمام مالك: «كنت إذا سمعت نافعاً يُحدث عن ابن عمر لا أبالي أن لا أسمعه من غيره».

لكن لا يعزّب عن لب مثلك - أيها الأخ - أن ذنب نافع هو روايته ما يخالف تفقة الغزالى، وذلك ذنب يهوي بصاحب!  
 وعيش تر، وتذكر قول ساكن المعرّة:

وقال السُّهْلَ لِلشَّمْسِ أَنْتَ خَفِيَّةٌ  
 وَطَاوَلْتِ الْأَرْضَ السَّمَاءَ سَفَاهَةٌ  
 وَفَارَخْتِ الشَّهْبَ الْحَصِّيَّ وَالْجَنَادِلُ  
 وَلَعْلَكَ - أيها الصاحب الموفق - اطْلَعْتَ عَلَى نَفِيَّهِ صَفَةً لِلَّهِ تَعَالَى يَشْبَهُ  
 أَهْلَ السَّنَةِ<sup>(١)</sup>، وَرَدَهُ حَدِيثُ الْبَخَارِيِّ - رَحْمَهُ اللَّهُ -، ثُمَّ قَوْلُهُ ص(١٢٧):  
 بَعْضُ الْمَرْضَى بِالتَّجَسِيمِ هُوَ الَّذِي يُشَيِّعُ هَذِهِ الْمَرْوِيَّاتِ، إِنَّ الْمُسْلِمَ الْحَقَّ  
 لِيَسْتَحِيَّ أَنْ يَنْسِبَ إِلَى رَسُولِهِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ» انتهى.

فالبخاري ومن حذا حذوه فيهم خصلتان: مرضى بالتجسيم، وليسوا

(١) يعني الشيخ بها صفة الساق الواردة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ اللَّهُ عَنِ السَّاقِ﴾.

من المسلمين حقاً!

ولا يقول ذلك إلا أشعري مجازف.

□ ولا تعجب - إذن - من قوله ص(١١٤) عن الحافظ المنذري: «إنه ليس لديه فقه صحيح».

ولا تعجب - إذن - من قوله عن كلام لابن خزيمة، وغيره من المتقدمين، والمازري، والقاضي عياض، لما وجهوا حديث فقيء موسى عين ملك الموت توجيهها صحيحًا عليه المعتمد والترجح، قال ص(٢٩) عن مقالهم السديد: «نقول نحن (!!) هذا الدفاع كله خفيف الوزن، وهو دفاع تافه لا يُساغ» انتهى.

□ هذه حُجج السُّوقَة والهمَل: دفع بالألفاظ المبتذلة الشوهاء في أوجه العلماء الفقهاء.

واسمعه حين قال ص(١١٨): «من زعم أن السنة تنسخ القرآن فهو مغرور» انتهى.

وهؤلاء الذين قالوا بالنسخ جمع من العلماء منهم: حسان بن عطية، وأحمد في رواية، وابن حزم، وجمع من الظاهريه؛ قالوا بوقوع النسخ مطلقاً، وذهب آخرون إلى وقوعه في زمن النبي ﷺ؛ منهم: القاضي في «التفريج»، والغزالى، والباجي، والقرطبي.. وغيرهم.

أفأولئك مغرورون؟

ومن استهزأ وسخر من العلماء السابقين فلا تستكثر منه مقالاً، أو تستغرب منه فعالاً، لأن لحومهم - كما أسلفت مسماومة»<sup>(١)</sup>.

□ يقول الشيخ صالح آل الشيخ في نقه للغزالى: «وقد بلغ هذا الراد

(١) «المعيار» ص(١٥ - ١٩) مختصرًا.

## رياض الجنة في الرد

للسن أطوريه حين اتهم الأمة وعلماءها تهمة ما تجاسر عليها مستشرقاً أو حاقد، فقال قالة سوء ص(٤٦) فأصفع لها، قال: «إنني أشعر أن أحکاماً قرآنية ثابتة أهملت كل الإهمال، لأنها تتصل بمصلحة المرأة»!

واسمع قوله ص(٣٣) عمن ذهب إلى إجبار البكر على الزواج بن رضيه لها والدها، قال: «ولا نرى (!!) وجهة النظر هذه إلا انسياقاً مع تقاليد إهانة المرأة وتحقيق شخصيتها» انتهى.

فالذين قرروا ترجيع جواز إجبار البكر لأدلة أقاموها.. وإن كان ترجيهم مرجوحاً - تركوا القرآن والنص عند الغزالي، واتبعوا تقاليد تهين المرأة، وتحقر شخصيتها.

لكن؛ أتدري من أولئك؟! هم القاسم، وسالم - وهما من فقهاء المدينة النبوية السبعة - وعامر الشعبي، وابن أبي ليلى، والليث ومالك، والشافعي، وأحمد في رواية وإسحاق.

هؤلاء الأئمة متهمون بترك القرآن والحكم به رعاية لتقاليد أهانت المرأة!  
نعود بالله من الحور بعد الكور»<sup>(١)</sup>.

□ ويقول الشيخ صالح: «ومن ضعف الكاتب في الحديث قوله ص(٥٥): «ولم يجيء في أحد «الصحيحين» ما يُقيّد منع النساء من الصلاة في المساجد» انتهى. وقد جاء في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لو أن رسول الله عليه السلام رأى من النساء ما رأينا لمنعهن من المسجد»<sup>(٢)</sup>.

□ ويقول الشيخ صالح: «ومن ضعفه في الأصول قوله ص(٦٥): «الحديث الصحيح له وزنه، والعمل به في فروع الشريعة له مساغ وقبول» انتهى.

(١) المصدر السابق ص(٢٠ - ٢١).

(٢) المصدر السابق ص(٢٨).

□ وهذا مخالفتان بدعيتان:

الأولى: قوله: «العمل به في فروع الشريعة». تنحية لما صح من السنن والأحاديث عن الاحتجاج بها في العقائد وأصول الدين، وتلکم نزعة اعتزالية اشتهرت في قالب الآشعرية والматريدية، ونحوهما من زيف الخلف عن محجة السلف.

الثانية: قوله: «العمل به... له مساغ وقبول» مخالف لاجماع الأمة من الفقهاء ومحدثين، وأصوليين، على أن الحديث إذا صح وجوب العمل به في الفقيهات.

وكلمات الأئمة في هذا ذائعة سائرة، وقد يترك أحدهم العمل به للنظر في دلالته بما يسوغ النظر فيه مما عرف في الأصول... .

أما قوله: «له مساغ وقبول»، فباطل ورد، والمستقيم أن يقول: «واجب وحتم، إن لم تكن دلالته محتملة»<sup>(١)</sup>.

#### \* رد على الغزالى في طعنه على السلفية:

□ قال الشيخ صالح: «ومن تناقضه قوله ص(١١) عن كتابه «العلّ في درساً لشيوخ يحاربون الفقه المذهبى لحساب سلفية مزعومة» انتهى.

ولزه للدعوة السلفية لا يضيرها، إذ الدعوة دعت إلى التوحيد الحق، وأخذت دين الله كله، بشمولية واتزان، واعتبر بذلك بدعة إمام الدعوة في هذه القرون شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ومن نهج نهجه، واقتفي سنته، في الدعوة إلى تعظيم الله وتوحيده، والإلزام بشرع الله.. رحم الله أئمتنا رحمة واسعة. ومن شدّ من أتباعها، فغلًا أو جفا، أو أخطأ وكبا،

(١) «المعيار» ص(٤١ - ٤٢).

فعلى نفسها جنت براقيش، خطوه على نفسه، لا تتحمل ما أخطأ فيه دعوتنا<sup>(١)</sup>.

#### \* تفسيره أحاديث بخلاف فهم أهل السنة :

□ قال الشيخ صالح: «وتارة يُفسّر أحاديث بتفسير أجمع أهل السنة على خلافه خذ مثلاً قوله ص(١٤): «أمتنا تعد الكذب على صاحب الرسالة طريق الخلود في النار؛ لأنّه تزوير للدين، وافتراء على الله لقوله عَزَّلَهُمْ : «إن كذباً علىٰ ليس كذب على أحد، من كذب علىٰ متعتمداً فليتبوأ مقعده من النار» انتهى.

وتلكم التي تحكم بالخلود على الكاذب على رسول الله عَزَّلَهُمْ هي الأمة الخارجية، لا أمة السنّة، ففسّر الحديث بتفسير الخوارج والمعزلة، من جعله الوعيد خلوداً، والكبيرة كفرًا<sup>(٢)</sup>.

#### \* ضعفه النفسي أمام الغرب وحال العصر :

□ قال الشيخ صالح آل الشيخ: «وهذا الضعف قسم ظهوراً، فرداً، على أدبارها حائرة ثكلى، ومن قوى يقينه بالله وشرعه، لم يرفع بحال الغرب رأساً، ولم يبالهم بالله، إذ برد الإيمان وبشاشة جالية للعزّة والاعتزاز بشرعنا وأحكامه، مهما شوش المرجفون، وحاك الشبه المتحيرون، والكاتب كثيراً ما يستحضر شبه المستشرين، وإن كانوا نافقوا، فيكون رد الشبهة عنده بأي طريق، حتى ولو كانت عسفة أو هوجاء اسمع إلى قوله لما وقف موقفه المنكور من الاختلاط والسفور، مبدياً باعث الموقف الخفي، قال

(١) «المعيار» ص(٦٦ - ٦٧).

(٢) «المعيار» ص(٣٤ - ٣٥).

ص(٤٦): «قد استغل الاستعمار العالمي في غارته الأخيرة علينا هذا الاعوجاج المنكورة وشنّ على تعاليم الإسلام حرباً ضاربة، كان الإسلام المظلوم هو المسؤول عن الفوضى الضاربة بين أتباعه».

فهذه كلمات خلّلها حالة نفسية تصوغ المواقف وتُبدي المرجوح راجحاً، والضعف قوياً.

ومن ذلك قوله ص(٥٢) عن الأوروبيين ومن شابهم: «إذا ارتبوا أن تكون المرأة حاكمة، أو قاضية، أو وزيرة، أو سفيرة فلهم ما شاءوا، ولدينا وجهات نظر فقهية تحيّز ذلك كله» انتهى.

وهذا غوص في بحار العقلانية، وتجدد عن التحقيقات الشرعية، والمسألة دين، وغدراً سؤال.

ومن ذلك قوله ص(٩٥): «عندما تناقلت الصحف (!) أن الشيخ عبدالعزيز بن باز أخرج شيطاناً بوذياً من أحد الأعراب، وأن هذا الشيطان أسلم.. كنت أرقب وجوه القراء، وأشعر في نفوسهم بمدى المسافة بين العلم والدين» انتهى.

ويعني بالعلم علم الغربيين الفجرة، وبالدين دين الشيخ وأمثاله.

□ وتجده قلقاً في نفسه من مخالفة الشرع للقوانين الدولية ويقول ص(٥٩): «ولست أحب أن أوهّن ديني أمام القوانين العالمية بموقف لا يستند استناداً قوياً إلى النصوص القاطعة» انتهى.

فهذه نقول كاشفات للحال النفسية المتورطة التي أنشأ أثناءها كتابه، وأنه بناء مریداً دفع شبّهات عن الإسلام بأي طريق وأي سبيل، حتى ولو كان السبيل ردّاً لقول العلماء والإجماعات، أو سلوكاً لسبيل الشذوذ في الآراء

(١) انظر المصدق السابق ص(٦٩ - ٧٣).

المعطلة عن محاجة الاستدلال ونور العلم الوثيق الصحيح».

#### \* من أخطائه الاعتقادية :

□ قال الشيخ صالح: «ومن أخطائه العقدية قوله ص(١٤٢): «العلم الإلهي مسطور في كتاب ضابط شامل محيط ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾» انتهى.  
وهذا تعدّ وابتداع بما لم يسبق إليه، إذا المسطور في اللوح المحفوظ هو ما في السماء والأرض، لا العلم الإلهي كله، فعبارته فيها عدم توقير صفات الله وفيها ابتداع وتعاليم<sup>(١)</sup>.

□ ومن أغلاطه قوله ص(١٤٤): «لقد شاء اللَّهُ لِحَكْمَةٍ لَا نَعْلَمُهَا أَنْ يَخْلُقَنَا وَيَكْلِفَنَا، وَقَالَ فِي وَضْوِحٍ ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾» انتهى.

□ والحكمة من الخلق والتکلیف يعلمها صبيان أهل التوحید ألا وهي تحقيق عبادة الله وحده لا شريك له؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

#### \* العلم... العلم :

□ ويسوق الشيخ في مقدمه كتابه قول ابن قتيبة: «قد كنا زماناً نعتذر من الجهل، فقد صرنا الآن نحتاج إلى الاعتذار من العلم! وكنا نؤمل شكر الناس بالتبنيه والدلالة، فصرنا نرضى بالسلامة، وليس هذا بعجب مع انقلاب الأحوال، ولا يُنكر مع تغير الزمان. وفي الله خلف وهو المستعان»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق ص(٧٦).

(٢) المصدر السابق ص(٧٦ - ٧٧).

(٣) المصدر السابق ص(٥).

■ ويقول: «ولقد شهدت وشهدتُ أن العلم في زماننا قد استدبر، وأن البُغاث «بأرضنا» قد استنسر.

قد أعز الماء الطهورُ وما بقي غيرُ التيمُّمِ لو يطيبُ صعيدُ»<sup>(٢)</sup>

\* أصل الإنسان وبدع المدرسة العقلية :

أصل الإنسان لا شك أمر غيبي لا سبيل إلى القطع في علمه ومعرفته إلا عن طريق الوحي والسنة الصحيحة المطهرة.

ولقد خلق الله آدم عليه السلام أبا البشر من تراب خلقاً متكاملاً يؤهله لأن يكون خليفة في الأرض بإذن الله، وألقى في ذهنه من العلم ما خفي على الملائكة عليهم السلام لتكون مزية عليهم لیسجدوا له بإذن الله وأمره، ثم ليسكته بعد هذا الجنة هو وزوجه لتقع منها العصبية فينزلهما الله إلى الأرض، أرض الابلاء والامتحان.

ولم تزل البشرية كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. ذلكم المعتقد في خلق الإنسان هو الذي اعتقاده السلف وقامت أركانه على قواعد القرآن وأياته وصحيح السنة.

إلى أن ظهرت نظرية داروين سنة ١٨٥٩ م التي قال عنها «فون باير» في كتابه «المذهب الدارووني»: «إن الرأي القائل أن النوع الإنساني متولد من القردة السيمانية هو بلا شك أدخل رأي في الجنون قاله رجل على تاريخ الإنسان».

ويأتي الأستاذ محمد فريد وجدي وينكر على داروين نظريته ولكنه أيضًا يخالف نصوص القرآن مخالفة صريحة حين ينكر خلق آدم خلقاً

(١) المصدر السابق ص(٧٩)، والبيت قاله الأمير الشاعر ابن حيوس، «ديوانه» (١٥٨/١) ط المجمع الدمشقي.

مستقلاً من طور العدم إلى طور الإنسانية الكاملة فيقول: «ونحن لا نريد من قولنا أن أهل العلم تبيّنوا وَهُنْ أصول مذهب داروين أنهم أصبحوا يقولون بالخلق المستقل فهذا ما لا يقول به إلا الشاذ من أهل العلم اليوم، ولكنهم يرون لسلسل الأحياء بعضها من بعض نواميس أخرى غير نواميس داروين»<sup>(١)</sup>.

ولا تعتقد أن فريد وجدي هو الفارس الوحيد في ميدان الشذوذ، فقد سبقه وزاد عليه الفارس الذي لا يُشُقُّ له غبار في هذا المجال الشيخ محمد عبده، ومن خلفه تلاميذه السيد رشيد رضا، وأحمد مصطفى المراغي، وتبعهم بعد ذلك الأستاذ عبد الصبور شاهين فزاد وأتى بما لم يأت به أحد.

□ لم يرفض الشيخ محمد عبده نظرية - داروين كما أنه لم يصرّ بقبولها، ولكنه فسر الآيات القرآنية بما يفسح المجال لمن يريد أن يقول بها وأنكر معارضته القرآن لذلك؟!

«ليس هذا تجنياً منا على الشيخ عبده بل هو مع حسن الظن أيضاً، حينما نعلم أن الشيخ وتلميذه رشيد يساوون بين الاعتقاد بأن آبا البشر آدم عليه السلام والاعتقاد بأنه القرد أو غير ذلك ما دامت الإنسانية مناط الوحدة وداعية الألفة والتعاطف بين البشر».

وحتى ندع القارئ يسبقنا إلى الحكم عليهما نكتفي هنا بإيراد نصوص لهم.

□ فقد قال الشيخ محمد عبده في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نُفْسِسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾

(١) «على أطلال المذهب المادي» لـ محمد فريد وجدي (١٠٣/١ - ١٠٤) - الطبعة الأولى - طبع دائرة معارف القرن العشرين - مصر.

وَنِسَاءً) [النساء: ١] «ليس المراد بالنفس الواحدة آدم بالنص ولا بالظاهر، فمن المفسرين من يقول إن كل نداء مثل هذا يراد به أهل مكة أو قريش، فإذا صاح هذا جاز أن يفهم منه بنو قريش أن النفس الواحدة هي قريش أو عدنان، وإذا كان الخطاب للعرب عامة جاز أن يفهموا منه أن المراد بالنفس الواحدة يعرب أو قحطان، وإذا قلنا أن الخطاب لجميع أهل الدعوة إلى الإسلام أي لجميع الأمم فلا شك أن كل أمة تفهم منه ما تعتقد، فالذين يعتقدون أن جميع البشر من سلالة آدم يفهمون أن المراد بالنفس الواحدة آدم، والذين يعتقدون أن لكل صنف من البشر أباً يحملون النفس على ما يعتقدون.. والقرينة على أنه ليس المراد هنا بالنفس الواحدة آدم قوله: «وَبَيْثُ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً» بالتنكير وكان المناسب على هذا الوجه أن يقول وبث منها جميع الرجال النساء، وكيف ينص على نفس معهودة والخطاب عام لجميع الشعوب وهذا العهد ليس معروفاً عند جميعهم فمن الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما، وهذا النسب المشهور عند ذرية نوح مثلاً هو مأخوذ عن العبرانيين فإنهم هم الذين جعلوا للبشر تاريخاً متصلةً بآدم وحددوا له زمناً قريباً. وأهل الصين ينسبون البشر إلى أب آخر ويذهبون بتاريخه إلى زمن أبعد من الزمن الذي ذهب إليه العبرانيون، والعلم والبحث في آثار البشر مما يطعن في تاريخ العبرانيين ونحن المسلمين لا نكلف تصديق تاريخ اليهود وإن عزوه إلى موسى عليه السلام فإنه لا ثقة عندنا بأنه من التوراة وإنه بقي كما جاء به موسى»<sup>(١)</sup>.

وبهذا أكده الشيخ أن آدم ليس أبو البشر كلهم وإنما قلت أكده لأنه: -

١ - استدل بأن الآية لا تدل (بالنص ولا بالظاهر) على ذلك.

(١) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (٤/٣٢٣ - ٣٢٤).

## رياض الجنة في الرد

٢ - وأنه لو كان آدم أباً للبشر كلهم لما قال ﴿رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ بل قال جميع الرجال والنساء.

٣ - وأن من الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما.

٤ - أن العلم والبحث في آثار البشر مما يطعن في تاريخ العبرانيين باعتقادهم أن آدم أبو البشر.

وبهذا أضاء الشيخ عبده النور الأخضر لمن يريد أن يقول بنظرية داروين بأن يجعل تطبيقها على آباء البشر الآخرين عدا آدم عليه السلام.

فإن ذهبت تعترض على هذا وتقول: - ورد في القرآن الكريم الخطاب ﴿يَا بَنِي آدَم﴾ وورد في قوله ﷺ: «كلكم بنو آدم وأدم خلق من تراب»<sup>(١)</sup> وما رواه أحمد في «مسنده» عن رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتفوي»<sup>(٢)</sup>.

إذا ما قلت هذا سهل عليه تأويل ذلك وكيف لا يسهل هذا على من يرد أحاديث البخاري ومسلم ويرد الأحاديث المتوترة كما مر بنا، يقول الشيخ عبده في تأويل ذلك: «وما ورد في آيات أخرى من مخاطبة الناس بقوله: «يا بني آدم» لا ينافي هذا ولا يعد نصاً قاطعاً في كون جميع البشر من أبناءه إذ يكفي في صحة الخطاب أن يكون من وجه إليهم في زمن التنزيل من أولاد آدم وقد تقدم في تفسير قصة آدم في أوائل سورة البقرة أنه كان في الأرض قبله نوع من هذا الجنس فسدوا فيها وسفكوا الدماء، وأقول زيادة في الإيضاح إذا كان جماهير المفسرين فسروا النفس الواحدة هنا بأدم فهم لم

(١) رواه البزار عن حذيفة بن اليمان.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٤١١/٥).

يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسألة المسلمة عندهم ((!!) وهي أن آدم أبو البشر»<sup>(١)</sup>.

ويؤيد هذا الكلام تلميذه السيد رشيد بنوع من الأخبار لو لم يكن فيها تأييد لما ذهب إليه لاعتبرها من الإسرائييليات التي أدخلتها كعب الأخبار ووهدب بن منه وأمثالهما ولشن عليهما هجوماً لا ينقطع ونعني على الإسلام أمثالهما ولكن الحال أن هذه الأخبار في مقام تأييده فلا بأس من الاستدلال بها والدفاع عن المعتقدين لها قال: «وقد نقل عن الإمامية والصوفية أنه كان قبل آدم المشهور عند أهل الكتاب وعندهنا آدمون كثيرون قال في «روح المعاني»: ذكر صاحب جامع الأخبار من الإمامية في الفصل الخامس عشر خبراً طويلاً نقل فيه أن الله تعالى خلق قبل أبيينا آدم ثلاثين آدم بين كل آدم وأدم ألف سنة وأن الدنيا بقيت خراباً بعدهم خمسين ألف سنة ثم عمرت خمسين ألف سنة ثم خلق أبوانا آدم عليه السلام، وروى ابن بابويه في كتاب التوحيد عن الصادق في حديث طويل أيضاً أنه قال لعلك ترى أن الله لم يخلق بشراً غيركم بل والله لقد خلق ألف آدم أنتم في آخر أولئك الأدميين»، ثم قال: «ثم نقل عن زين العرب القول بکفر من يقول بتعدد آدم وهذا من جرائه وجراة أمثاله الذين يتهمون على تفكير المسلمين لأوهى الشبهات»<sup>(٢)</sup>.

﴿ ثُمَّ يَحْمِلُ لَنَا السَّيِّدُ رَشِيدُ رَأْيَ أَسْتَاذِهِ لِلْأَسْتَاذِ الْإِمامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ رَأْيَانِ :

أحدهما: أن ظاهر هذه الآية يأبى أن يكون المراد بالنفس الواحدة آدم أي سواء كان هو الأب لجميع البشر أم لا، لما ذكره من معارضه المباحث العلمية

(١) «تفسير المنار» (٤/٣٢٤ - ٣٢٥).

(٢) «تفسير المنار» (٤/٣٢٥ - ٣٢٦).

والتاريخية له ومن تنكير ما بثه منها ومن زوجها، على أنه يمكن الجواب عن هذا الأخير بأن التنكير لمن ولد منها مباشرة كأنه يقول بث منها كثيراً من الرجال والنساء وبث من هؤلاء سائر الناس وعن الأول بأنه لا يزال غير قطعي.

وثانيهما: أنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع على أن جميع البشر من ذرية آدم والمراد بالبشر هنا هذا الحيوان الناطق البدني البشرة المتصلب القامة الذي يطلق عليه لفظ الإنسان، وعلى هذا الرأي لا يرد على القرآن ما ي قوله بعض الباحثين ومن اقتنع بقولهم من أن للبشر عدة آباء ترجع إليهم سلائل كل صنف.

□ ثم إن ما ذهب إليه الأستاذ الإمام يرد الشبهات التي ترد في هذا المقام ولكنه لا يمنع المعتقدين أن آدم هو أبو البشر كلهم من اعتقادهم هذا لأنه يقول: أن القرآن ينفي هذا الاعتقاد وإنما يقول: أنه لا يثبته إثباتاً قطعياً لا حتميل التأويل وقد صرحتنا بهذا؛ لأن بعض الناس كان فهم من درسه أنه وإنما القرآن ينفي هذا الاعتقاد أي اعتقاد أن آدم أبو البشر كلهم وهو لم يثبت هذا تصريحاً ولا تلوينا وإنما بين أن ثبوت ما ي قوله الباحثون في العلوم طار البشر وعادياتهم والحيوانات من أن للبشر عدة أصول ومن كون آدم ليس لهم كلهم في جميع الأرض قدرياً وحديثاً كل هذا لا ينافي القرآن ولا ينافي مذهبنا أن يكون مسلماً مؤمناً بالقرآن»<sup>(١)</sup>.

□ ثم يقول السيد رشيد: «وليت شعرى ماذا يقول الذين يذهبون إلى المسألة قطعية بنص القرآن فيما يؤمن به لتأليه قامت عنده بأن البشر من أصول؟ هل يقولون إذا أراد أن يكون مسلماً وتعذر عليه ترك يقينه في

(١) «تفسير المنار» (٤/٣٢٦).

المسألة أنه لا يصح إيمانه ولا يقبل إسلامه وإن أيقن بأن القرآن كلام الله وأنه لا نص فيه يعارض يقينه<sup>(١)</sup>.

□ ويقول الشيخ أحمد مصطفى المراغي: وجمهور العلماء على أن المراد بالنفس الواحدة هنا آدم وهم لم يأخذوا هذا من نص الآية بل أخذوه تسلیماً وهو أن آدم أبو البشر<sup>(٢)</sup>، وقال: «وقال بعض العلماء أبهم الله تعالى أمر النفس التي خلق الناس منها، فلندعها على إبهامها، فإذا ثبت ما يقوله الباحثون من أن لكل صنف من أصناف البشر أباً كان ذلك غير مخالف لكتابنا، كما هو مخالف للتوراة التي نصت صراحة على أن آدم أبو البشر فحمل ذلك بعض الناس على الطعن في كونها من عند الله ووحيه»<sup>(٢)</sup>.

□ وكان الأولى بالشيخ المراغي أن يدعو إلى إنكار هذه الفكرة والرد عليها وبيان مخالفتها لنصوص القرآن؛ حتى إذا ما ثبت للناس بعد هذا بطلان هذه النظرية وقف المسلم شامخاً معتزاً بدينه، وكأنه يقول أرأيتم الدين الحق يقول كلمته مخالفًا نظرية في وقت دولتها وعصر سلطوتها حتى حسبها بعض الناس حقيقة علمية، ولكن الإسلام يقول كلمته ولا يقف بعضُ بنائه حائراً بين تأييدها أو إنكارها جاهلاً الحق فيها أو يقف حائراً بين هذه النظرية وحقيقة دينه الناصعة فيها، بل يقول حقائق دينه، ولو خالفت ما توهمه المتشمرون وزعمه الظاعمون.

□ ويفسر الشيخ رشيد رضا المراد بالنفس بقوله: «هذا وأن المبادر من لفظ النفس بصرف النظر عن الروايات والتقاليد المسلمات - أنها هي الماهية أو الحقيقة التي كان بها الإنسان هو هذا الكائن الممتاز على غيره من الكائنات أي

(١) المصدر السابق (٤/٣٢٧).

(٢) «تفسير المراغي» لأحمد مصطفى المراغي (٤/١٧٥).

## رياض الجنة في الرد

خلقكم من جنس واحد وحقيقة واحدة ولا فرق في هذا بين أن تكون هذه الحقيقة بدئت بآدم كما دل عليه أهل الكتاب وجمهور المسلمين، أو بدئت بغيره وانقرضوا كما قاله بعض الشيعة والصوفية، أو بدئت بعدة أصول انبث منها عدة أصناف كما عليه بعض الباحثين - ولا بين أن تكون هذه الأصول أو الأصل مما ارتقى عن بعض الحيوانات أو خلق مستقلًا على ما عليه الخلاف بين الناس في هذا العصر»<sup>(١)</sup>.

ثم قال: «على كل حال وكل قول يصح أن جميع الناس هم من نفس واحدة هي الإنسانية التي كانوا بها ناساً وهي التي يتلقى الذين يدعون إلى خير الناس وبرهم ودفع الأذى عنهم على كونها هي الحقيقة الجامعة لهم فتراءهم على اختلافهم في أصل الإنسان يقولون عن جميع الأجناس والأصناف: أنهم إخوتنا في الإنسانية فيعدون الإنسانية مناط الوحدة وداعية الألفة والتعاطف بين البشر سواء اعتقادوا أن آباهم آدم عليه السلام أو القرد أو غير ذلك»<sup>(٢)</sup>.

﴿ لَا نَرِيدُ الرَّدَّ عَلَيْهِ هَذَا بِإِثْبَاتِ أَنَّ مَنَاطَ الْوَحْدَةِ وَالْأَلْفَةِ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ الدِّينُ لَا إِنْسَانِيَّةٌ ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢]﴾ اهـ.

\* الدكتور عبدالصبور شاهين يخالف إجماع الأمة ويأتي بالعجب العجاب  
فيتصدى له الدكتور عبدالعظيم المطعني ويلقمه حجرًا :

في كتابه «أبي آدم.. قصة الخلقة بين الأسطورة والحقيقة» الذي صدر فيه عام ١٩٩٨م عن دار النشر المسماة بـ «الروافد الثقافية» أنكر الدكتور

(١) «تفسير المراغي» لأحمد مصطفى المراغي (٤/١٧٥).

(٢) «تفسير المنار» (٤/٣٢٧).

عبدالصبور شاهين أن يكون آدم أباً للبشر، ولا أن يكون هو أول مخلوق عاقل من غير الجن والملائكة ولترك المجال لفضيلة الشيخ الدكتور عبدالعظيم المطعني الذي أفحمه في رده، وقال قوله شافياً.

□ يقول الدكتور المطعني في كتابه «أبي آدم.. قصته الخلقة..» بين الخيال الجامح والتأويل المرفوض: «الفكرة التي تبناها الكتاب من أول سطر فيه إلى آخر سطر، هي باختصار شديد الآن، أن آدم عليه السلام ليس هو أبو البشر، ولا هو أول مخلوق عاقل من غير الملائكة والجن؟!

بل هو أبو الإنسان، وأن الله تعالى خلق قبله من جنسه خلائق كثيرين عاشوا قبل آدم هذا ملايين السنين، وكانوا في تلك الأزمان خاضعين للتصرف الإلهي من التسوية والتعديل والتهذيب، ثم انقرضوا جميعاً بعد أن انتخب الله منهم آدم - هذا - من أب وأم منهم، كما انتخب حواء زوجة آدم من أب وأم كذلك من آخر أجيال البشر الأولين، الذين انقرضوا تماماً. ولم يصبح في الوجود منهم أحد، وأن آدم وحواء وحدهما هما اللذان بقيا ليكونا أبوبين لنوع جديد من ذلك الجنس الذي انقرض. أي نوع الإنسان المستمر تواليه حتى الآن إلى قيام الساعة؟!

والفروق بين البشر والإنسان عند الدكتور عبد الصبور شاهين نوجزها الآن في الفروق الآتية:

- البشر أقوام همجيون لا سمع ولا بصر لهم ولا عقل؟!
- الإنسان هو النوع المنتخب المذهب الرافي، لهم سمع وأبصار وعقول.
- البشر لم يرسل الله إليهم رسولاً، ولم يكونوا من أهل التكليف الإلهي، فلا إيمان بالله، ولا أوامر ولا نواهٍ كلفهم الله بها؛ لأنهم كما ردّ هذا الدكتور شاهين مرات، كانوا بمثابة مشروع إلهي تحت التنشئة، يتلقون بصنع الله من طور - إلى طور آخذين في الصعود نحو الرقي والكمال، وهذا

هو ما قاله دعاة «نظيرية النشوء والارتقاء» أو الانتخاب الطبيعي من قبل، وأن «البقاء للأصلح».

- البشر مخلوقون من تراب أو طين.

- أما الإنسان فإنه هو المخلوق من «ماء» أو من «علق» أو من «نطفة».

هذه هي الفكرة، التي تمثل خطوط العرض والطول في هذا الكتاب؛ لأنها ملكت كل حواس ومشاعر المؤلف وعاشت في وجده - كما قال هو - خمسة وعشرين عاماً أو تزيد. هذه الفكرة هي التي نواجهها في هذه الدراسة. ولكن قبل البدء في المواجهة، لا بد من تحرير مدخل لهذه الدراسة، نعرض فيه بعض الأمور المهمة، التي تتصل بفكرة الكتاب، من جهة، وبينهج المؤلف في عرضها، ثم الجهة التي اعتمد عليها في إثبات الفكرة التي تحمس لها، والنظر في الطريقة، أو الطرق، التي سلكها في انتزاع الأدلة منها، وهل سلمت له أداته فيكون قد أثبتت الفكرة التي بناها بما لا مجال للطعن فيه، أم لم يسلم له استدلال في الواقع، وإن كان هو يراه مقنعاً يفيد اليقين، أو حتى الظن القوي، الذي يشيع في النفس نوعاً ما من الاطمئنان.

فالدعوى التي ادعاها المؤلف دعوى «غريبة» حقاً، والدعوى الغريبة، إذا وجه بها مدعاوها الناس تكون في أمس الحاجة، إلى أدلة قوية تكافئ المقام الذي يحدثه رد الفعل. وإلا كانت وهمًا من أوهام الأوهام<sup>(١)</sup>.

\* موقف السلف من هذه القضية:

□ وخلاصة موقف السلف: أن هذه القضية أمر غيبي، يجب الإيمان

(١) «أبي آدم.. قصة الخلقة بين الخيال الجامح.. والتأويل المرفوض» للدكتور عبدالعظيم المطعني ص(٧ - ٨) - مكتبة وهبة.

بها كما وردت في كتاب الله، وكما أشارت إليه أحاديث الصادق المصدوق

عَلَيْهِ السَّلَامُ

والوقوف في الإيمان بها عند دلالات النصوص المقدسة دون تحريف، أو تأويل تأبه دلالات اللغة العربية التي نزل بها القرآن، أو تأبه حقائق الإسلام الواضحة. وأن هذه القضية لا يحتاج المسلم في الإيمان بها جملة وتفصيلاً إلى مصادر أخرى غير المصادر الإسلامية المقدسة.

□ وأنهم لا يقولون فيها غير ما قاله الله ورسوله. شأنهم فيها شأنهم في كل أمر غيبي لا يملك الحديث عنه إلا علام الغيوب.

□ لهذا، فإننا نختلف كل الاختلاف مع الدكتور عبدالصبور شاهين في موقفه غير المنصف، حيث ذكر في إحدى مقدمات كتابه الفقرة الآتية:

«قال المفسرون بالفاظ مختلفة، ومعان متفرقة: إن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام، أوحى إلى الأرض: إني خالق منك خلقاً منهم من يطعني، ومنهم من يعصي، فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة، ومن عصاني أدخلته النار، ثم بعث إليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها، فلما أتتها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الأرض: إني أعوذ بعزة الله الذي أرسلك لا تأخذ مني شيئاً يكون فيه غدراً للنار نصيب، فرجع جبريل عليه السلام إلى ربه، ولم يأخذ منها شيئاً. قال: يا رب، استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها؟

فأمر الله ميكائيل عليه السلام، فأتى الأرض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيئاً، فرجع إلى ربه، ولم يأخذ منها شيئاً؟

فبعث الله ملك الموت، فأتى الأرض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيئاً، فقال ملك الموت: وإنني أعوذ بالله أن أعصي له أمراً، فقبض قبضة من زواياها الأربع من أديمها الأعلى، ومن سبختها وطينها، وأحمرها وأسودها

وأيضاً وسهلها وحزنها، فكذلك كان في ذرية آدم الطيب والخبيث، والصالح والطالع، والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم ..<sup>(١)</sup>.

□ قَدْمَ المؤلف لهذه الفقرة بقوله:

«جوهر القصة كما تلقيناها عن القدماء، وكما رواها صاحب قصص الأنبياء المسمى بـ «العرائس ..» ثم عقب عليها بقوله:  
على هذه مضت كل كتب التفسير تقريرًا، وكلها تنقل عن مصدر واحد، مع انطواء الرواية، على كثير من صور السذاجة»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الصنيع من المؤلف يوحى لجمهور قراء كتابه أن ما ذكره صاحب «عرائس المجالس» هو التصور الإسلامي الوحيد في قصة آدم، بدليل أن جميع المفسرين أطبقوا على ترديد ما ذكره صاحب «العرائس» وهو ينقل في كتابه خرافات لا حصر لها، لا يصدقها عقل، ولم يرد بها نقل مع بُعد ما ذكره عن الاعتقاد الإسلامي الصحيح في نشأة آدم عليه السلام.

وهذا الذي ذكره إنما هو مجرد رواية، أو روایات غير معتمدة في النظر الصحيح. فلم ينص عليه السلف في مسائل الاعتقاد، ولم يرد في مسائل ما أجمعت عليه الأمة، ووجوده في كتاب التاريخ والسير، ليس معناه اعتماده والإيمان به، وهذه الروايات وإن وردت في بعض المصادر الإسلامية بدون تنبية عليها، فإنها لا تسلم من الطعن في مصادر أخرى. وعلماء الكلام، وغيرهم نصوا بكل وضوح على مسائل الاعتقاد الصحيح الذي يجب على المسلم الوقوف عندها. ولهم في ذلك مؤلفات مطولة وموجزة، مثل «منهاج السنة النبوية» للإمام ابن تيمية، و«مجموعة الفتاوى الكبرى» له، ومثل «الإبانة» للإمام أبي الحسن الأشعري.

(١) «أبي آدم» لعبدالصبور شاهين ص(٧).

(٢) المصدر السابق ص(٩).

فكان حريًا بالدكتور شاهين أن يغفل هذا الجانب ولا يذكر ما يسيء إلى سلف الأمة الصالح، ثم يكتفي به ليضع السلف موضع السخرية أمام قراء كتابه ويظهرهم بعذر المرددين - بلاوعي - لأكاذيببني إسرائيل، والنقل عنهم بلا أدنى رؤية. وهو يعلم الحركات النقدية الوعائية، التي قام بها العلماء حول الأكاذيب الإسرائيلية في التفاسير والسيرة والتاريخ والأحاديث النبوية، ووضع الضوابط التي يعرف بها الصحيح من الأقوال، ويعرف بها كل ما هو مكذوب أو معلول. وقد استمرت هذه الحركات الوثابة من عصر الإمام البخاري، وبلغت ذروتها في عصر ابن الصلاح صاحب كتاب «علوم الحديث» المتوفى في القرن السابع الهجري. وما يزال أهل العلم حتى يومنا هذا يضيفون إضافات حسنة إلى جهود أولئك العلماء الأعلام. ولكن يبدو أن بريق الفكرة، التي أراد الدكتور شاهين عرضها على الناس، قد أنساه الإشارة إلى بعض الأساسيةيات «الواقية» التي تحول بين القراء وبين سوء الظن بعلماء الأمة، الذين نحن عالة عليهم الآن<sup>(١)</sup>.

□ يقول الدكتور المطعني في رده على الدكتور عبدالصبور شاهين:

«عرض المؤلف في الشطر الأول بعد المقدمة لثلاث نقاط هي:

- القصة بين العقل والنقل.

- النظرة العلمية.

- نظرة القدماء إلى وجود الخليقة.

أما المقدمة فقد أشار فيها إلى خطورة الفكرة التي وضع من أجلها الكتاب، وهي الفصل التام بين البشر والإنسان وأشار فيها إلى أن باحثاً معاصرًا من تونس كتب بحثاً ذهب فيه إلى أن البشر غير الإنسان. وأن

(١) «أبي آدم» للمطعني ص(١٤ - ١٢).

المؤلف - أعني الدكتور عبدالصبور شاهين - يتفق معه في أصل الفكرة ويختلف معه في التفاصيل<sup>(١)</sup>.

أما النقاط الثلاثة الأولى، فقد كان الغرض منها لدى المؤلف أن قصة الخلية يغلب عليها الغموض والاضطراب بين العقل والعلم والروايات الدينية بوجه عام، وأن إزالة هذا الغموض، وذاك الاضطراب، لا يمكن حصوله من جهة العلم العملي التجريبي، ولا من جهة الروايات الدينية التي ساق جانبًا منها، وإنما السبيل الوحيد هو ما ورد في القرآن الكريم، لكن لا على فهم القدماء للآيات القرآنية التي تحدثت عن «قصة آدم» بل على نظر جديد مغاير تماماً لما ذكره المفسرون، وما قام عليه إجماع علماء الأمة، وفي ذلك يقول:

«أما القرآن، وهي الكلمة النهائية في الخطاب ما بين السماء والأرض، أو ما بين الأعلى والأدنى، فإنه - ولا شك - يقدم للعقل الإنساني الحقائق النهائية في الموضوع. ولكن الأجيال تتفاوت في فهم النص المقدس؛ حتى ليبدو ما استخرجه الفكر الديني، حتى الآن من النصوص، مناقضاً للعلم، ولا سبيل إلى اللقاء بينهما»<sup>(٢)</sup>.

ظاهر جداً أن الدكتور عبدالصبور شاهين ينكر في هذه الفقرة التي نقلناها عنه، ينكر ما أجمعـت عليه الأمة في فهم الآيات التي تحدثـت عن خلق آدم وزوجـه وذرـيـته، والسبـب عـنـده أن هـذا الفـهم يـبـدو منـاقـضاً لـلـعـلـمـ، وـيعـني بـالـعـلـمـ تـلـكـ النـظـرـيـاتـ المـتـضـارـيـةـ، النـاتـجـةـ عـنـ درـاسـةـ بـعـضـ الجـمـاجـمـ وـالـأـثـارـ. وـنـذـكـرـ القـارـئـ الـكـرـيمـ أـنـناـ نـقـلـنـاـ مـنـ قـبـلـ مـنـ كـلـامـ الدـكـتـورـ شـاهـينـ مـاـ أـفـادـ رـفـضـهـ هـوـ نـفـسـهـ لـتـتـائـجـ التـجـارـبـ الـعـلـمـيـةـ. وـحتـىـ إـذـاـ فـرـضـنـاـ أـنـ اـخـتـلـافـاـ مـاـ

(١) «أبي آدم» لعبدالصبور ص(١٣ - ١٦) واسم الباحث هو: بشير التركي.

(٢) «أبي آدم» لعبدالصبور ص(٤٢).

حدث بين معانٍ وردت في القرآن، وبين نتائج علمية من هذا النوع تحدث عنه في كتابه، فإن الخطأ يكون في نتائج التجارب العلمية لا في معانٍ القرآن إذ لم يثبت - ولن يثبت - حدوث تناقض بين الحقائق العلمية اليقينية، وبين المعانٍ القطعية الواردة في كتاب الله العزيز. والدكتور شاهين نفسه يدرك هذه الحقيقة تماماً.

وبعد أن هونَ من شأن ما أجمعَت عليه الأمة في شأن خلق آدم وذريته، نراه يقترح البديل الذي يزيل ما بين العلم والعقل وبين القرآن من تعارض، أو تناقض فيقول بعد أن تسأله هل يمكن التوافق بين ما يفهم من القرآن وبين العلم والعقل: وهذه عبارته بالحرف «وهل من سبيل إلى لقاء بينهما؟»

«نحن نرى أن ذلك ممكن، من خلال فهم واعٍ للنصوص القرآنية. فهم يخرج عن المذهب التقليدي، الذي التزمت به التفاسير كلها؟ ويسعى إلى استطاق النظم القرآني، ما دام هناك إمكان لالتقاء العلم بالقرآن»<sup>(١)</sup>.

﴿مَعْنَى هَذَا الْكَلَامُ أَنْ تَنَاقِضًا عَظِيمًا حَدَثَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ فِي مَسَأَةِ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ، وَأَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ أَبُو الْبَشَرِ وَالإِنْسَانِ وَالنَّاسِ وَالْإِنْسَنِ، وَأَنَّ هَذَا التَّنَاقِضُ لَنْ يُزَالْ إِلَّا بِالنَّظَرِ الْجَدِيدِ فِي دراسةِ الْآيَاتِ الْقَرَآنِيَّةِ، الَّذِي سِيقُومُ بِهِ الدَّكْتُورُ عَبْدُ الصَّبُورِ شَاهِينَ بَعْدَ قَلِيلٍ، بَعْدَ رَفْضِهِ الْقاطِعِ لِمَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأَمْمَةِ - سَلْفًا وَخَلْفًا - مِنْ فَهْمِهِمَا لِلآيَاتِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ خَلْقِ آدَمَ وَمَا تَرَبَّتْ عَلَيْهِ مِنْ وَقَاءٍ؟

ولَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِهِ هَذَا أَنَّهُ يَرِيدُ تَلْكَ الرَّوَايَاتِ الْوَاهِيَّةِ، مِنْ خَارِجِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيفِ؛ نَحْنُ نَرْفَضُ أَنْ يَكُونَ مَرَادُ الْمُؤْلِفِ تَلْكَ الرَّوَايَاتِ.

(١) «أَبِي آدَم» لِعَبْدِ الصَّبُورِ ص(٤٢).

ولرفضنا هذا سببان قويان:

**الأول:** أن تلك الروايات الواهية التي وردت في كتب التراث ليست هي عقيدة الأمة، ولا فهمها المجمع عليه في وقائع الخلق الأول. بل إن عقيدة الأمة أرفع قدرًا وأصدق تصوراً، وأصح سندًا مما حفلت به الروايات النظرية التي لا تثبت أمام النظر الغامض السليم، ومن يدعى قصر عقيدة الأمة على تلك الروايات الواهية فقد أعظم على الله الفريدة. وسلوك الدكتور شاهين نفسه - كما سيأتي - هو الدليل أو السبب الثاني الذي حملنا على القول - بكل اطمئنان - على أنه لم يرد هذا الذي نفينا آنفًا أن يكون هو مراده من عبارته الثانية التي نحن بصدده التعليق عليها هنا.

**الثاني:** أن الدكتور شاهين - فيما سيأتي عمد إلى الآيات التي تحدث عن خلق آدم، ورفض تفسير علماء الأمة لها، وقام بوضع تفسير آخر من عنده مخالف كل المخالف للتفسير المجمع عليه عند سلف الأمة وخلفها سعيًا وراء إثبات الفكرة التي من أجلها وضع كتابه «أبي آدم».

وهذا يؤكد - بكل قوة ووضوح - أنه لم يقصد رفض الروايات الواهية، فهي مرفوضة قطعًا - وإنما أراد رفض التفسير الصحيح، الذي أجمعت عليه الأمة جماعة ثم بنت عقيدتها في خلق الله آدم عليه، وهو نفسه يعلن ذلك مرات، ويسم منهج سلف الأمة وخلفها بالذهب التقليدي، الذي ترتب عليه حدوث صدام عنيف بين العلم والقرآن؟!

ومسألة بدء الخلق مسألة غبية محضة. والأمور الغبية لا صلة للعلم التجريبي بها لا من قريب ولا من بعيد، والمعول عليه فيها هو الوحي الأمين، أو الخبر الصادق عن لسان رسول الله ﷺ. فإذا ورد على لسان الشرع معنى قطعي، وجب على العقل التسليم به سواء فهم وأدرك كنهه، أو لم يفهم ولم يدرك. أما العلم فإن جاءت نتائج بحثه مطابقة لخبر الشرع فتلك

هي محمدة تحسب للعلم وأهله، وإن اختلفت فعلى العلماء أن يتهموا أنفسهم بالعجز أو الخطأ في الاستدلال. ويبقى الحق مع ما قرره الوحي أو الرسول ﷺ. إذن، فما كان ينبغي - أصلاً - وضع العلم التجريبي في درجة مكافئة للوحي، تهدى لنشوء خصومة بينهما، ثم تحمل هذه الخصومة بعضنا للاعتداء على النصوص المقدسة فتنزلها من هاماتها العلّى، لنعقد مصالحة بينها وبين دلالات العظام البالية، والجامجم المحطمة ونحن كما قال ربنا: ﴿وَمَا أُوتِيْتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ والله وحده هو «علام الغيوب».

أما الشطر الثاني من الكتاب، فقد وقفه المؤلف على حديث القرآن عن الإنسان.

والغرض منه إثبات التفرقة بين مفهوم «بشر» ومفهوم «إنسان» وأن «بشر» الواردة في مثل قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَالقُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ ليس هو آدم فقط بل هو أبو بشر كثيرين.

وأن «بشر» هذا ليس هو الذي أمر الله الملائكة بالسجود له، وليس هو المخلوق الذي خلقه الله لعبادته، وأرسل إليه رسلاً؛ لأن «بشر» هذا ومن تناслед منه كانوا مثل الدمى لا عقل ولا سمع ولا أبصار لهم. بل هم «مشروع بدائي جدًا» موضوع تحت التعديل والتسوية والترقي شيئاً فشيئاً، خاضع للتنشئة عبر ملايين السنين؟ وبعد ما لا يعلمه إلا الله من تطاول الأزمان حدثت تصفيية جذرية فانقرض بنو البشر جميعاً، ولم يصطف الله منهم إلا اثنين هما: آدم وحواء، اصطفاهما بعد تلك التجارب الطويلة من أبوين وأمرين؟

فآدم هذا غير «بشر» الذي قال الله فيه: ﴿إِنِّي خَالقُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾. وهكذا تطور الوجود من بشر مخلوق من تراب ثم انقرض تماماً إلى «إنسان» مخلوق من ماء، هو الذي أسجد الله له الملائكة، وكلفه بعبادته.

وأرسل إليه رسلاه، ثم راح الدكتور عبدالصبور شاهين يستدل على هذا الزعم الغريب بالأيات القرآنية بعد حملها على غير معناها كما سترى فيما يأتي :

\* المنهج الذي سلكه في كتابه :

لكل باحث منهج يختاره في سبيل الوصول إلى غايته من بحثه. ويصطبغ هذا المنهج بصبغة المادة موضوع الدراسة ومتزع الاستدلال. ومنهج الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين في محاولته إثبات الفكرة التي تبناها لا يخرج عما أثبتناه في عنوان هذه الدراسة أو المواجهة، وهما دعامتان رئستان :

الأولى: الخيال الجامح أو المفرط في التصور؛ لأن التفرقة بين البشر الذي انقرض عنده، والإنسان الذي يعمر الأرض - الآن - ويتناضل ويتوالد إلى يوم القيمة، أن تصور هذه التفرقة من صنع الخيال الجامح، أو الوهم الموغل في الإيهام، ومحال أن يكون لهذا التصور مثقال ذرة من واقع، أو خيال مقبول.

إن عمل هذا الخيال هو المسيطر على هذه الفكرة من الألف إلى الياء، أو من ما قبل الألف إلى ما بعد الياء.

أما الدعامة الثانية: فهي التأويل المرفوض المرفوض، حيث لم يدع المؤلف نصاً واحداً، يقف حجرة عشرة في طريق فكرته إلا سارع إلى تأويله بما يتفق مع مراده. ولو لا ذلك الخيال الجامح، وهذا التأويل المرفوض لوئدت فكرته في صلب أبيها قبل أن تستقر في رحم أمها، ولكنه بهاتين الدعامتين طارت الفكرة بلا جناحين، ولكنه طيران وقف بها عند نقطة البدء، فلا صعود ولا إقدام، وذلك شأن كل ما ليس له وجود إلا في الوهم.

والمنهج الذي سلكه الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين يذكرنا بمذهب المعتزلة في الانتصار لمعتقداتهم وأرائهم في مسائل النظام السياسي وسائل الاعتقاد.

فهم - مثله - ما كانوا يأخذون الأحكام من واقع النصوص المقدسة، بل كانوا يقررون ما يرون من آراء ومذاهب، ثم ينزلون النصوص المقدسة عليها، بما وافق معتقداتهم اعتمدوه، وما خالفها فلهم فيه مسلكان:

الأول: أن يصرفوه عن ظاهر معناه ويؤولوه بما يتفق وآرائهم، غير عابئين بدللات اللغة وطرائق البيان في المفردات والتركيب، وقد سجل عليهم خصومهم شناعات منكرة نتجت عن تأويلاتهم التعسفية للنصوص مما لا يقره نقل، ولا يقبله عقل.

أما الثاني: فقد كانوا يطعنون في صحة النص إذا استعصى عليهم تأويله، وهذا خاص بما كان غير قرآن؛ لأن القرآن قطعي الثبوت.

هذا ما أردنا بيانه في هذا المدخل، ونكتفي به. أما ما يتعلق بالشطر الثاني من الكتاب فهو ما عنون له المؤلف بـ «حديث القرآن عن الإنسان» وهو غرضنا الأهم من تحرير هذه الصفحات. فلنلول وجوهنا شطره، وبالله ومن الله التوفيق<sup>(١)</sup>.

□ يقول الدكتور المطعني على تفرقة عبدالصبور بين بشر وإنسان: «وهذا تحكم بغيض حمله عليه التعصب لرأيه بعد أن أقام فواصل وهمية بين البشر من جهة والإنسان والإنسان والناس من جهة أخرى.

□ وهذه البدعة لم يقل بها أحد من أهل العلم، ولا وردت بها الآثار اللغوية. بل اللغة تقرر أن هذه الكلمات: البشر، الإنسان، الناس، الإنس،

(١) «أبي آدم» للمطعني ص(١٤ - ٢٠).

تطلق على بني آدم عليه السلام، وهي وإن كان لكل منها اعتبار خاص في التسمية بها، فلا يراد لغة ولا عرفاً ولا شرعاً منها إلا الدلالة على بني آدم. والدكتور شاهين يعلم ذلك جيداً، ولكن تعصبه لرأيه المعروض في كتابه «أبي آدم» أنساه كل الضوابط اللغوية، وغير اللغوية.

□ وبقى في هذا المبحث تحكّم آخر، مهد له بقوله:

«غير أن خلق زوج آدم من نفسه مشكل. فهل حواء من ضلع آدم، كما ورد بذلك آثار؟ أو أن حواء خلقت خلقاً مستقلاً - يعني من أب وأم - كما هو شأن آدم؟».

ثم يختار المؤلف الرأي الثاني كما أشرنا في المدخل، ونراه هنا يشير إلى حديث صحيح رواه الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، يقرر أن حواء خلقت من ضلع آدم بلا أب ولا أم، وهذا الحديث يتفق مع ظاهر المعنى في آياتي النساء والأعراف: «وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا» في النساء، «وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا» في الأعراف.

لكن المؤلف يضرب بدلالة الآيتين والحديث عرض الحائط، ويتشبث بتأويلين لا وزن لهما، ولم تدع إليهما ضرورة شرعية أو عقلية أو لغوية؟ الأول: تأويل النفس في الآيتين بال النوع أو الجنس، أي خلق الله حواء من فصيلة آدم وجنسه، لا من جنس آخر.

والثاني: حمل الخلق من ضلع آدم على التمثيل والتشبيه والمعنى المراد منه الرمز إلى اعواعاج في طبع المرأة؟

□ وإنما قلنا إن هذين التأويلين لا وزن لهما لسبعين:

الأول: أن إبقاء المعنى على ظاهر المراد من الآيتين والحديث سائغ لا حرج فيه. والتأويل يُحتاج إليه حين يمنع من ظاهر الكلام مانع شرعي أو

عقلٍ، ولا مانع هنا قط.

الثاني: أن إجراء المعنى في الآيتين على الظاهر يتضمن أن حواء مخلوقة من جنس آدم وفصيلته وفي هذا تمام النعمة المراد وهو الامتنان بالخلق والجعل<sup>(١)</sup>.

﴿ ويقول الدكتور المطعني أيضًا: «يعلم القارئ قبل اطلاعه على كتاب «أبي آدم» للدكتور عبدالصبور شاهين أن البشر والإنسان لهما معنى واحد هو ابن آدم، أو أبناء آدم. ولا يعرف لهذا مخالف من سلف الأمة أو خلفها. لكن الدكتور شاهين يفاجئنا بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فجاء كتابه هذا ببدعة «العصر» وأعلن أن البشر غير الإنسان، وأن الأمة طوال خمسة عشر قرناً من الزمان غفلت عن هذه الحقيقة، أو ضل عنها بصرها وزاغ<sup>(٢)</sup>.

### \* مشروع إنسان !!

﴿ يقول د. عبدالصبور في كتابه «أبي آدم» ص(٨٨): «فقبل التسوية لم يكن المخلوق البشري إنساناً، بل كان مشروع إنسان في حيز الفطرة قبل أن يكون إنساناً في حيز القوة»؟!!.

﴿ يقول الدكتور المطعني: «ولم يقتصر ذكر كلمة «مشروع، أو المشروع» في كلامه على هذا الموضع، بل ذكره مرات في كتابه «أبي آدم»، الدكتور شاهين - هنا - يغرق في الخيال أو الوهم بلا حدود، أو يترجم بالغيب بلا ضوابط.

(١) «أبي آدم» للمطعني ص(٢٧ - ٢٨).

(٢) المصدر السابق ص(٣٠).

## رياض الجنة في الرد

ثم يغرق ويغرق مرة أخرى حين يكرر في كتابه أن هذا المشروع ظل تحت الرعاية الإلهية المكثفة ملايين السنين؟ يا سبحان الله؟ ملايين السنين وهو مشروع إلهي؟ فلماذا هذا البطء يا دكتور؟ العجز في قدرة الله، تعالى الله عما نقول علواً كبيراً؟ أم لحكمة غابت عن مدارك ذوي التبصير؟!!!، ثم يأتي الدكتور المطعني بالآيات التي وردت فيها «كن فيكون»، ثم يقول: «هذه سبع آيات يخبر الله فيها عن نفسه، بأن أداة الخلق والتكوين عنده هي كلمة «كن» فيكون ما قضى وأراد دون مسافة فاصلة بين صدور الأمر، ووقوع المأمور به».

□ ثم يقول الدكتور المطعني ص(٣٩ - ٤٠): «نُسَأِّلُكْ يَا سِيَادَةُ الدُّكْتُورُ: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا أَكْبَرُ وَأَظَهَرُ أَمْ خَلَقَ النَّاسَ؟ أَنْتَ لَا بَدَّ قَاتِلُ فِي الْجَوَابِ: بَلْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا أَكْبَرُ وَأَظَهَرُ؛ لَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْقِهِ: ﴿لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

هذا الخلق الأكبر من خلق الناس خلقه الله في ستة أيام كما جاء في القرآن مرات عديدة:

\* ففي سورة الأعراف {٥٤} جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾.

\* وفي سورة السجدة {٤} قال عز وجل: ﴿الَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾.

فإذا كان خلق السموات والأرض وما بينهما من أفلاك ونجوم وكواكب، هؤلا العمل الضخم الفخم ثم إنجازه بما فيه من دقائق وأسرار وإحکام في ستة

أيام، فكيف يقع الوهم أن مشروع تطوير «البشر» إلى «إنسان» استغرق ملايين السنين؟ ولو كان الأمر هكذا لذكر الله تعالى بياناً عنه كما ذكر مدة خلق الكون، ومراحل الأجنحة في بطون أمهاطها».

\* دعوى الدكتور عبد الصبور شاهين بخلو المجتمع البشري من التكليف:

□ يقول الدكتور المطعني ص(٥٥): «ومن غرائب مدعيات المؤلف، أنه بعد أن سلب عن مفهوم «البشر» كل وسائل الإحساس، وصورهم في أشكال مسوخة لا تعرف لهم وجهاً من قفا، ولا بطنًا من ظهر، ادعى أنهم كانوا مهملين من جانب الله، بل هم كالأنعام أو هم أضل:

فلم يكلفهم الله بعمرفة ذاته، ولم يطالبهم بتواجده، ولم يأمرهم بخير، ولم ينفهم عن شر، ولم لم يكونوا كذلك عند المؤلف وهم - عندـه - صم بكم عمي، في صورة جماد متحرك، ولكن حركاته وسكناته همجية غشيمة ليس من ورائها قصد ولا إرادة؟!

وهذه الدعوى من المؤلف هي - كما يمثل الفلاسفة والمناطقة لكل أمر وهمي - القبعة السوداء التي يبحث عنها في غرفة مظلمة لا وجود لها».

□ وفي هذه الدعوى يقول المؤلف: «ولامر ما وجدنا القرآن لا يخاطب البشر، بل يخاطب الإنسان، والتكليف الديني منوط بصفة الإنسانية لا بصفة البشرية، فلم يعد للبشر وجود منذ ظهر آدم عليه السلام وتناسلت ذريته، وورث الأرض، وما عليها»<sup>(١)</sup>.

□ ثم يقول الدكتور المطعني: «إذن تعالى نحتمكم إلى فيصل ما بين الحق والباطل والصواب والخطأ:

\* ففي سورة آل عمران الآية (٧٩) يقول الله جل شأنه: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾

(١) «أبي آدم» للدكتور عبد الصبور ص(٩٨).

## رياض الجننة في الرد

أن يؤتِيهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ). فقد وضع القرن أفراد البشر في هذه الآية موضعًا فوق درجة التكليف العام (العادي) الذي هو صفة لكل فرد منهم، ذلك الموضع (الفوق) هو:

- أن البشر صالحون لأن ينزل الله على من يختار منهم وحيًّا من عند الله (الكتاب).

- أن البشر صالحون لأن يجعل الله من يختار منهمولي أمر أو حاكماً عاماً لشعب أو أمة (الحكم).

- أن البشر صالحون لأن يتخذ الله منهم أنبياء (النبوة) وهذا فضل الله في أعلى درجاته يهبه الله لمن يشاء من البشر.

\* وفي سورة المدثر (٣١) يقول أ الحكم الحاكمين: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾.

\* وفي السورة نفسها الآية (٣٦) يقول رب العالمين: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾. فلو كان البشر غير مكلفين لما أنزل الله عليهم وحيًّا، وما جعلهم ساسة الناس على الأرض، وما بعث منهم رسولاً ولانبيًّا، وما لفت أنظارهم مذكراً لهم، وما اندرهم بطشه وعقابه. أليس هذا هو التكليف بدرجاته العليا والدنيا يا دكتور عبدالصبور؟

لو كنا نواجه غيرك لقلنا له: ألم أن التكليف معنى آخر عندك لم يعلمه الله، ولا رسوله، ولا صالح المؤمنين؟

شيء واحد يزيل كل هذه التحكمات والمغالطات، هو أن تقرَّ أن البشر والإنسان وصفان لموصوف واحد. إذا أقررت بهذا وقفت مع الأمة في صف واحد، وإن أصررت - ولا نخالك تصر وقفت وحدك في صف، ووقفت الأمة كلها وراء رسولها في صف واحد أمامك.

﴿ يا سيادة الدكتور: هل أنت ما تزال متمسكاً بقولك: «أما الإنسان فلا يُطلق بمفهوم القرآن إلا على ذلك المخلوق بالتوحيد والعبادة لا غير، وهو الذي يبدأ بوجود آدم عليه السلام، وآدم على هذا هو (أبو الإنسان) وليس (أبو البشر) ولا علاقة بين آدم والبشر الذين بادروا قبله، تمهيداً لظهور ذلك النسل الجديد»؟!؟!﴾<sup>(١)</sup>

لقد غالبت وأسرفت في الادعاء يا سيادة الدكتور، وزاد من خطر مغالاتك استنادك فيها إلى القرآن الأمين، والقرآن بريء كل البراءة مما تنسب إليه. أما تخشى يا دكتور أن ينطبق عليك قول الحق عز وجل: ﴿يُحرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

إنهم كانوا يحرفون الألفاظ والمعاني، قاتلهم الله، وأنت تحرف المعاني، وفي كلام التحريفين جرأة مذمومة وخيمة العواقب. ونحن - والله - ما كنا نتوقع صدور هذا عنك مع ما لك من جهاد في سبيل الدعوة، فهل هذا من باب «لكل جود كبوة، ولكل حليم نبوة» أم من باب «من مأمنه يؤتى الحذر»؟

﴿ إن الأمل كبير في أن يعلن الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين براءته من هذا «اللغو» وأن يسارع بإعدام كتابه «أبي آدم» لأن في بقاء نسبته إليك فضائح؟ أم ترى أنك مجتهد، والمجتهد إذا أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر. لا يا دكتور، ليس هذا اجتهاداً، وإن كان الاجتهاد مع النص واقعاً في فهم النص إن كان احتمالي الدلالة أو احتمالي الثبوت.

لكن النص الذي حاولت الاجتهاد فيه نص قطعي الثبوت وقطعي الدلالة، يعني إنه في «حصانة من التأويل» فيجب التسليم بظاهر معانيه،

(١) «أبي آدم» لعبدالصبور ص(٩٨).

وبخاصة أن هذه القضية التي تناولتها في كتابك «أبي آدم» فوق أن نصوصها مقصومة من التأويل، فإن لها محسنًا ثانينًا، وهو إجماع الأمة على التسليم بظواهر معانيها، فهل تسمح لنفسك استمراء الاعتداء على حرمة النص المقدس، وإهدار إجماع الأمة - خاصتهم وعامتهم - القائم عليها.

إنه لمن أصعب الصعوبات علينا أن نراك منفردًا عن الأمة فتشمت فيك أعداءك إياهم وما أكثرهم؟ وما الأمهم؟ وما أغدرهم؟ وما أخسهم؟<sup>(١)</sup>

وفي مقدمة هذه الأمة - بعد رسولها الكريم - أصحابه الكرام البررة، الذين قال فيهم علام الغيوب: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَعًا سُجَّدًا يَتَغَوَّنُ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التُّورَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

هؤلاء الذين أنتى الله عليهم في هاتين الآيتين من آل عمران والفتح، وفي غيرهما من آيات كتاب الله العزيز، في مقدمة من قسا عليهم المؤلف في الحكم وجار، ورماهم بالسذاجة والبله والبهلوية. درى الدكتور أو لم يدر؛ لأنّه وهو يرسل هذه الأحكام - جزافاً - وبلا ضوابط أو معايير، ما كان يقيم وزناً لفهم اللفظ بل قصر ذهنه على «منطق اللفظ». والإنسان قد يقع في بحور من الإثم بإهماله مراعاة «مفهوم اللفظ» والدكتور على دراية بالمعاني التي تستفاد من دلالات الألفاظ والتركيب سواء كانت تلك الدلالات قريبة أو بعيدة.

□ وننقل للقراء هذه الفقرة من كلامه بالألفاظ والتركيب التي خطها هو

(١) «أبي آدم» للمطعني ص (٥٥ - ٥٨).

بقلمه: «ومعنى هذا أن خلق الإنسان تم عبر ثلاث مراحل هائلة، هي (الخلق، والتسوية، والنفخ).

«ومن السذاجة أن نفسر هذا النفخ بأنه بث الروح في الجسد؟! فقد حدث ذلك في مرحلة «الخلق» الأولى، التي أحالت التراب أو الطين إلى مخلوق ظاهر (بشر) يتحرك على الأرض بالروح الحيواني، كما يتحرك سائر الكائنات من (حشرات)<sup>(١)</sup> وطير، وحيوان»<sup>(٢)</sup>؟

□ قف أمام قوله: «ومن السذاجة أن نفسر هذا النفخ بأنه بث الروح في الجسد»؟!

المؤلف يقصد النفخ في قوله الله عز وجل: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ هذا النفخ عند المؤلف نفخ من نوع خاص سيأتي ذكره بعد قليل أما عند الأمة - بدءاً من رسولها الكريم، وأصحابه البررة، والذين اتبعوهم بإحسان، إلى يومنا هذا فإن المراد بنفخ روح من الله في ذلك البشر الأول (آدم) هو النفخ الذي صار به «الجماد» إنساناً ارجع إلى أحاديث رسول الله كلها فلا تجد فيها ما يخالف هذا الفهم، ثم إلى تفاسير علماء الأمة لكتاب الله العزيز، وكتب السيرة والتاريخ وكل مصادر المعرفة الإسلامية، فأنت غير واجد فيها ما يخالف هذا المعنى البدهي.

فإذا بحثت عن من وصفهم المؤلف بالسذاجة في عبارته المذكورة لم تبصر أمامك إلا أمة الإسلام لم يتختلف منها أحد. أفلست معي - إذن - بأن سيادة الدكتور قد وصف كل أفراد الأمة بالسذاجة والبله والبهلوية؟!

وهل هذا الاتهام الآثم عندك - أيها القارئ - هين أم عظيم؟ إن هذا

(١) هي في الأصل (حشر) وكتبناها هكذا (حشرات) جريأا على العرف اللغوي السادس.

(٢) «أبي آدم» ص(٥٠١).

## رياض الجنّة في الود

التفسير للنفح عند المؤلف تفسير بدعى شنيع، ولا نملك إلا أن نرده على القائل به مهما كان حظه من الثقافة والمعرفة. وإذا استقصينا استعمال القرآن لهذا النفح وجدناه في كل مواضع وروده يحيل الجماد أو الأموات أحياء، إما ببعث الروح في الجسد لأول مرة. وإما لإعادة الحياة إليها بعد الموت، كما هو الشأن في البعث العام يوم القيمة. وليس فيه موضع واحد أريد به المعنى البدعي الذي انفرد به المؤلف ووصف مخالفيه فيه بالبله.

### \* معنى النفح عنده:

بقي أن نعرف معنى النفح عند الأستاذ الدكتور، ولكن قبل بيان معنى النفح عنده، نذكر بمعنى التسوية التي سبقته في الآية ﴿فَإِذَا سُوِّيَتْ وَنَفَخْتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ إنها عنده هي مهمة المشروع الإلهي لتهجين البشر عبر ملايين السنين - تحت المراقبة الإلهية الدقيقة - أمكن من خلالها نجاح ذلك المشروع المدهش فصار البشر إنساناً، ودخل بوابة الزمان بحضوره وحضارته هكذا قال؟!

هذا هو معنى التسوية، كرره في كتابه «أبي آدم» مرات عديدات. وقد شبّه المؤلف هذه التسوية بالهندسة «المعمارية» هندسة البناء وتجميده ومن الطريف أن المؤلف يسمى التسوية الإلهية: الهندسة المادية الظاهرية، وقد استغرق ملايين السنين؟!

أما النفح عنده - فهو كما يقول: «ثم جاءت المرحلة الثالثة للهندسة الداخلية، وهي المتمثلة في تزويد المخلوق السوي بالملكات والقدرات العليا، التي جوهرها العقل؟ والحياة الاجتماعية ثمرة العقل، واللغة وسيلة الاتصال بين أفراد المجتمع من العقلاء».

وبذلك اكتمل مشروع بناء الإنسان، فكان آدم هو أول «إنسان» وطليعة

سلالة التكليف بتوحيد الله وعبادته<sup>(١)</sup>.

يعني: أن نفح الروح في الآية كان بشق السمع والبصر وتركيب جهاز العقل فيه!!<sup>(٢)</sup>.

#### \* مصدر الأمة في نشأة الإنسانية:

من البواعث التي دعت المؤلف إلى تأليف كتابه «أبي آدم» حماية الأمة من التصديق بالروايات الإسرائيلية في نشأة الحياة الإنسانية على الأرض وإيجاد صيغة توفق بين القرآن والعقل والعلم فيها.

وقلنا آنفًا أنه لا منافرة بين القرآن والعقل والعلم في هذه القضية: لأنها قضية غيبية من اختصاص الوحي الصادق والقرآن لم يأت فيها بما يثير العلم، أو يغضب العقل، وعلى العقل والعلم أن يجثوا على الركب أما صوت الوحي لا في قصة آدم وحدها، بل في كل مسائل الغيب، أو أمام يسمى بما وراء الطبيعة. فإن أصطنع علم عالم أو عقل عاقل خصومة مع الوحي في هذه الأمور فإنما يرجع ذلك إلى جهل العلم، وجنون العقل، ورحم الله كل شيء عرف قدر نفسه.

ونقول هنا: إننا نختلف مع سيادة الدكتور كل الاختلاف في دعواه أن الأمة استقت عقيدتها في نشأة الحياة الإنسانية من الروايات الإسرائيلية الباطلة، كلا يا سيادة الدكتور: لأن الأمة لم تخرج قيد أئمלה عن وحي ربها، وكفاحها القرآن هادياً وموجهاً، وما جاء به القرآن حول هذه القضية واضح كل الوضوح، كامل كل الكمال.

فلا الأحافير التاريخية ولا الروايات الإسرائيلية هي التي لقتها عقيدتها

(١) «أبي آدم» لشاهين ص(١٠٥).

(٢) «أبي آدم» للمطعني ص(٦٩ - ٧٢).

في نشأة الحياة الإنسانية، وإنما هاديهما هو القرآن في ماضيها وحاضرها ومستقبلها بإذن الله.

ولم تتأثر كل التفاسير بالروايات الإسرائيلية. بل القليل منها، وأنت تعلم أن التفسير غير المفسّر (اسم مفعول)؟ فرنين الآيات في الآذان، وأثيرها في القلوب يمحو تلك الأساطير من النفس، وإن ظلت أسطراً سوداء على الورق. وسل - إن شئت - أي مسلم عن قصة آدم فلن تجد على لسانه إلا ما جاء به القرآن مالئاً كل قلب مسيطرًا على كل نفس... وأما الزبد فيذهب جفاء كما قال عز وجل، والإسرائيليات - عموماً - نهض جيش عرموم من العلماء الأقدمين والمحاذين، وتبعوها أثراً أثراً، وخبراً خبراً في شتى مصادر الفكر الإسلامي: في كتب التفسير وفي كتب الحديث، وفي كتب السيرة والتاريخ، ونبهوا عليها، وحدروا منها. وهي في كتب التفسير هي أمرها، أما في كتب الحديث فإن البلاء بها عم وطم، وهذا ما دعا الأقدمين من التصدي لها، فوضعوا تاريخ الرواة وصنفوهم أصنافاً كثيرة ونصوا على من تقبل روايته ومن ترد روايته، وجمعوا الأحاديث الموضوعة في مجلدات شتى ورتبوها ترتيباً منهجياً رائعًا، وأمام هذه الأعمال المجيدة، يسهل التمييز بين الحق والباطل والغث والسمين ولا يخشى على الأمة بعد هذا من ضلال، لكن بقيت كتب بعضها وضعها مؤلفوها بحسن نية أو بسوء نية، يحشو أدعية الدعوة عقولهم بها في مادة وعظهم وخطبهم ودروسهم، ولو أن الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين أنفق من الخمسة والعشرين عاماً، التي أنفقها في هذا الكتاب «أبي آدم» لو أنفق خمسة أعوام منها في إحصاء تلك الكتب الضالة المضلة، وكتب تقريرات عنها، ونشرها في كتاب ليحذر منها أو طالب بجمعها من على الأرصفة وإعدامها، لقدم للدعوة أجل عمل، بدلاً من شغل نفسه بموضوع العلم به لا ينفع، والجهل به لا يضر.

وآخر ما نذكر به أن هذا الكتاب «أبي آدم» من أوله إلى آخره، إنما هو مجموعة من أخبار مستندة إلى الله، أي أن المؤلف يسوق أحداثاً ليس لها في الوجود فاعل لو كانت صواباً، إلا الله عز وجل:

فالله هو الذي خلق آدم الأول (!?) والله الذي خلق ذرية آدم الأول، بلا سمع ولا بصر ولا عقل، وجعلهم يتناследون عبر ملايين السنين، والله الذي أهملهم وحرمهم من النور والهدى فلم يرسل إليهم رسولاً، ولم يعرفهم بالتوحيد، ولم يطلب منهم عبادة، والله هو الذي أبادهم وطهر الأرض منهم، وأحل آدم الثاني وزوجه وذريته محلهم.

والله الذي خلق آدم الأول من تراب، أما آدم الثاني فقد خلقه من صلب أب، وترائب أم، إن له والداً ووالدة، وحواء لم تخلق من ضلع آدم، بل لها أب وأم كذلك.

إن هذه كلها أخبار تروى عن الله في كتاب «أبي آدم» وتستند إليه على لسان الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين، فما هي المصادر التي استقى منها هذه الحقائق، التي غابت عن فكر الإنسانية جموعاً؟ وإذا كان الإسلام مجرّم من يتحدث عن لسان الرسول بغير سند، وينعى الرواية عنه بغير دليل، فما بالنا بإسناد وقائع خطيرة إلى الله، بغير ما أخبر الله به عن نفسه، ولا أخبر بها عنه رسوله؟ هذا ما نريد من المؤلف تدبره، وإنعام النظر فيه، ثم اتخاذ القرار المناسب نحوه فإن الأمر جد خطير.

ونذكر الداعية الكبير بقول الله تعالى، وهو يتوعد الذين خاضوا في أمر غيبي، ليس لهم به علم، فوصف الله خوضهم هذا بأنه «شهادة زور، وأنه سوف يسألهم عنها يوم القيمة، وذلك في سورة الزخرف.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهِدُهُمْ خَلْقَهُمْ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسَأَلُونَ﴾.

إنهم شهدوا شهادة زور واحدة.. وأنت شهدت - مجتهداً - عشرات الشهادات. فماذا أنت فاعل حين يقول الله لك: أشهدت خلقهم يا عبد الصبور؟!

والأمر لله من قبل ومن بعد.. وعلى الله قصد السبيل.

نداء: «من كل قلوبنا ننادي الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين أن يعود إلى حظيرة الأمة في فهمها لقصة آدم؛ لأن خطو الأفراد نحو الأمة مقبلين عليها، أخف من خطو الأمة نحو الأفراد مقبلة عليهم؛ لأن الأمة هي الأصل. ومن نأى عن أصله اغترب. ومن عاد إلى أصله اقترب. ولا يأكل الذئب من الغنم إلا القاصية». عزيزنا الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين: ما كان أحوجنا نحن وأنت، إلى غير هذا منك، وإلى غير هذا منا. وفقنا الله وإياك إلى ما يرضيه، ويرضي رسوله، وصالحي المؤمنين، وسلم على عباده الذين اصطفى والحمد لله رب العالمين»<sup>(١)</sup>.

\* رئيس قسم السموم بجامعة القاهرة الدكتور إسماعيل منصور يث

سمومه في الأمة فيتصدى له الرجال:

الدكتور إسماعيل منصور رئيس قسم الطب الشرعي والسموم بجامعة القاهرة والخطيب بمسجده بمنطقة الإمام الشافعي بعد انتقاله من المنصورة حيث كان يخطب بمساجد الجمعية الشرعية، ثم أخرج سمومه للناس من خلال كتبه «تذكير الأصحاب بتحريم النقاب»، وكتاب «شفاء الصدر بنفي عذاب القبر»، وكتاب «تبصير الأمة بحقيقة السنة»، وهو يرى أن تدوين الحديث بدعة ضالة أحلت بالأمة، وكتب السم بقلمه: نجمع صحاح البخاري ومسلم

(١) «أبي آدم» للمطعني ص(١٥٨ - ١٦٠).

وشنن الترمذى وأبى داود وابن حبان وابن ماجه ومسند أحمد والدارمى وابن خزيمة والنثائى والدارقطنى على الترتيب ثم نرمى بها في محقة الباطل.  
وعلى دربه يسير الدكتور محمد بن الشيخ عبداللطيف مشتهرى، وقد كان والده داعية فذاً فإذا بالابن العاق الضال يسود الصفحات طعنًا في السنة الصحيحة عامله الله بما يستحق.

\* أخي : عش مع الحديث تفز .. ودر معه حيث دار .. اقصد النهر وخل القنوات .. إذا جاء نهر رسول الله ﷺ بطل نهر معقل «فحكمة الله مطوية فيما يأمر به على السنة رسلاه، وليس ما ينسبه ذو العلم بعلمه، ولا يستدل عليه ذو العقل بعقله، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» كما يقول ابن الأثير الأديب.

\* أخي : إن هذه الأقلام التي حادت عن سوء السبيل وتنكب الصراط المستقيم وأنكرت وردت الأحاديث الصحاح بهواها حسابها شديد عند ربها ومولاها .

ضررت على الآذان سداً عاتياً تجتاب ليل الغيّ أسفع داجياً بعثوا بهنّ عقاربأ وأفاعيَا ويظلّ جدّ القول عنها نابياً <sup>(٢)</sup>	لا بُورِكت تلك الأكْفُ فإنها حجبت صديع <sup>(١)</sup> الرشد عنها فارتلت بعثوا الصحائف يلتؤين كأنما صحف يَزِلُ الصدق عن صفحاتها
--	---

\* \* \*

(١) الصديع : الصبح .

(٢) انظر «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» للدكتور محمد محمد حسين (١/٢٢٠).





## **فهرس الموضوعات**



الصفحة

الموضوع

٧	* منكرو السنة كلياً أو جزئياً العقلانيون أفراخ المعتزلة - القرآنيون
١٢	* الشيخ محمد حسين الذهبي والمدرسة العقلية الحديثة .....
١٦	* نتائج سياسية .....
١٦	* النتائج الفكرية .....
١٧	* قول هام للدكتور محمد محمد حسين عن المدرسة العقلية الحديثة: .....
١٨	* الدكتور التركي محمد توفيق صدقى دجال من الدجالية .....
١٩	* إسماعيل أدهم يفتري على الأئمة .....
٢٠	* أحمد أمين وإنكاره للسنة وخيانته للأمة وأسفه على موت المعتزلة .....
٢١	* الدكتور محمد حسين هيكل صاحب: «حياة محمد» من الطاعنين في السنة .....
٢٣	* عدو السنة وعدو أبي هريرة محمود أبو رية يتصدى لظلماته العلман الجليلان: محمد عبدالرزاق حمزة وعبدالرحمن المعلماني .....
٢٣	* زكي مبارك .....
٢٥	* «كُبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً» .....
٢٩	* أخي: .....
٣٠	* الكذاب الأشر المدعو «السيد صالح أبو بكر» وجنونه العجيب .....
٣٤	* الرد القوي على المجرم الأثيم لفضيلة الشيخ حمود التويجري .....
٣٧	* الدكتور أحمد زكي أبو شادي وإنكار السنة .....
	* توفيق الحكيم أستاذ المتمردين على السنة ورد الدكتور

## الصفحة

## الموضوع

٣٨	عبد العظيم المطعني عليه .....
	* الشيخ محمد فايد منكر المعجزات .. يرد بعض الأحاديث
٤١	فيلقمه شيخ الإسلام مصطفى صبري الحجر .....
	* القرآنيون منكرو السنة بالهند وباكستان وتصدي شيخ الإسلام
	أبي الوفاء ثناء الله الأمر تسري لدجالهم غلام أحمد القادياني .
	* الشيخ أبو زيد الدمنهوري صاحب كتاب «الهداية والعرفان في
٤٤	تفسير القرآن بالقرآن»: .....
	* صبحي منصور الدجال منكرو السنة نائب مسلمة الكذاب
	بتوسان والمروج لنبوته الكاذبة وتصدي فضيلة الشيخ الدكتور سعد
٥١	ظلم له وفضحه إيه: .....
٥٧	* ومن أنكرو بعض الأحاديث المتواترة أو الصحيحة: .....
٥٧	* الشيخ محمد بخيت المطيعي .....
٥٧	* وعلى درب الوالد سار ابن .....
٥٨	* وعلى الدرب سار الدكتور مصطفى محمود .....
	* منكر السنة مصطفى كمال المهدوي صاحب كتاب «البيان
٥٨	بالقرآن» وتصدي الشيوخ في ليبيا له: .....
	* العقيد معمر محمد عبد السلام أبو منيار - القذافي وإنكاره للسنة
	وتصدي العلماء له وعلى رأسهم شيخ الإسلام عبدالعزيز ابن باز -
٦١	رحمة الله - .....
٦٢	* وفرية أخرى: ادعاء النبوة .....
٦٦	* شطح وانفلات .....
	* ذجالي السودان حسن الترابي يرد السنة وينحرف عن قواعد
	الدين ويطعن في الصحابة وينكر حد الردة والرجم ويجد الفن
٧٠	ورقص الغرب!! .....

الصفحة

الموضوع

٧١	* آراؤه في العقيدة
٧٣	* إنكاره لبعض الحدود
٧٥	* موقفه من الفن
	* روجيه جارودي من صنع الجهال حوله حالات النور وهو يهدم دين الله من أساسه ويحطم الثوابت والسنّة فيتصدى له شيخ الإسلام الفذ الشيخ عبدالعزيز بن باز
٧٦	* ويقول عن القدر والإنسان
٧٧	* أما عقيدته في اليوم الآخر
٧٨	* مفهوم البعث
٧٨	* أما السنّة
٧٩	* الوحدة الفيديرالية الإبراهيمية
	* بيان حكم الشرع في الجارودي على ضوء المقابلة معه في مجلة المجلة لسماحة الشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
	* الشيخ ابن باز يحكم بردة من تنقص الرسول ﷺ ويرد على جريدة المساء المصرية:
٨٠	* حكم من استهزأ بالرسول العظيم عليه الصلاة والسلام أو سبه أو تنقصه أو استحل شيئاً مما حرم:
٨٩	* لله در شيخ الإسلام ابن باز - رحمه الله -
٩١	جنابة المدرسة العقلية الحديثة وروادها على الإسلام
٩١	* الدكتور فهد الرومي يكشف زيف المدرسة العقلية الحديثة
٩٢	* جمال الدين بن صافدر الأفغاني
٩٢	* الجامعة الشرقية لا الجامعة الإسلامية
٩٣	* نشاطه الماسوني
٩٩	* حقيقته والماخذ عليه

## الصفحة

## الموضوع

١٠١	اليهود والنصارى من حوله .....	*
١٠٢	صلته بالإنجليز .....	*
١٠٦	الشيخ محمد عبده .....	*
١٠٦	ما يؤخذ عليه .....	*
١٠٧	التقريب بين الأديان .....	*
١١٠	فتوى لعالم الإسلام الرباني ابن باز في «التقريب بين الأديان» .....	*
١١٤	ومن المأخذ على الشيخ محمد عبده .....	*
١٢٥	محمد عبده وتلميذه قاسم أمين .....	*
	موقف المدرسة العقلية الحديثة من بعض القضايا القرآنية .....	*
١٣٠	والاعتقادية .....	
١٣٣	ولنأخذ من انحرافاتهم أمثلة .....	*
١٣٥	وفي القضاء والقدر .....	*
١٣٦	المعجزات .....	*
١٣٧	معجزات محمد ﷺ .....	*
١٤١	إحياء الموتى .....	*
١٤٤	من معجزات عيسى - عليه السلام - .....	*
١٤٦	انشقاق القمر .....	*
١٤٨	قولهم في الملائكة .....	*
١٥٦	قولهم في الجن .....	*
	شذوذ الشيخ محمد عبده وشطحه في تفسير قوله تعالى:	
١٥٧	﴿وأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طِيرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحَجَّارَةٍ مِّنْ سَجِيلٍ﴾ .....	*
١٦٣	قول المدرسة العقلية في القصة القرآنية .....	*
١٦٧	منهج المؤولين للقصص .....	*
١٧٩	المنهج الثاني - منهج القائلين بالتخيل .....	*

## الصفحة

## الموضوع

* إنكارهم نزول عيسى - عليه السلام - آخر الزمان وردهم للحديث المتواتر .....	١٨٠
* نقل رشيد رضا تأويل الشيخ عبده لهذه الآية بقوله .....	١٨٨
* أثر المدرسة العقلية الحديثة في الفكر الإسلامي .....	١٩١
ب - في السنة النبوية .....	١٩٣
ج - في القصة القرآنية .....	١٩٣
د - في الفقه .....	١٩٤
ه - في السياسة .....	١٩٨
و - في الاجتماع والأسرة .....	٢٠٤
* موقف علماء المسلمين منهم .....	٢١١
(أ) المعاصرين لهم .....	٢١٢
* الشیخ محمد الجنیہی مؤلف کتاب «بلایا بوزا» والشیخ یوسف النہانی یتصدیان لحمد عبده وشیخه الأفغانی .....	٢١٢
(ب) من بعدهم .....	٢٢٣
* موقف الاستعمار البريطاني منهم واعترافه بما قدموه له من خدمات .....	٢٢٩
* ترحیب المستشرقین بالمدرسة ونتائجها .....	٢٣١
* من رفض هذه الحجج وردتها ندعوه إلى المباہلة: .....	٢٣٤
* الشیخ صالح بن عبدالعزیز آل الشیخ یدافع عن اهل الحديث ويرد على الشیخ محمد الغزالی .....	٢٣٦
* أيها الصاحب .....	٢٣٨
* ردہ على الغزالی في طعنہ على السلفیة .....	٢٤٣
* تفسیره أحادیث بخلاف فهم اهل السنة .....	٢٤٤
* ضعفه النفسي أمام الغرب وحال العصر .....	٢٤٤